اللمع من خطب الجمع
(المجموعة السادسة)

الشيخ عبدالله بن صالح القصيِّر

(معنى كلمة التوحيد وفضلها والحذر ممَّا ينافيها ويضادها)

الحمد لله له الملك، ﴿أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 40]، ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 31 - 32].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: 3 - 4].

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، المخاطب بقول الحق: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: 2 - 3].

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

أما بعد:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 21- 22].

﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 17].

﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: 77، 78].

أيُّها المسلمون:

إن أساس الدِّين هو إخلاص القصد في الأقوال والأعمال، والدعوات والنفقات والأحوال لله رب العالمين؛ بأن يبتغي المرء بما يفعل أو يترك من هذه الأُمور وجهَ الله، ولا يلتفت قلبُه فيها إلى أحدٍ سواه كائنًا من كان، وفي أيِّ زمان أو مكان، فحقيقة التوحيد إفراد الله - تعالى - بالعبادة، وترْك الشِّرك به، والبراءة من الشِّرك وأهله، وهذا هو الدِّين الذي بعث الله به جميع المرسلين.

قال - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال - سبحانه -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وأخبر - سبحانه - أن أولئك المرسلين خاطبوا أممَهم مبلِّغين وناصحين قائلين: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

فكلُّ الرسل إلى جميع الأُمم من العرب والعجم، بُعِثوا بدعوة الناس إلى أن يقولوا: لا إله إلا الله، ومعناها: لا معبود بحق في الوجود إلا الله، وتحقيقها ألاَّ يعبد إلا الله، وأن يكفر بكل معبودٍ سواه، فلا إله إلا الله هي أساس الدين، وتحقيقها أوَّل واجب على المكلفين؛ فإنها كلمة الإخلاص، وتحققها للمرء من النار خلاص، وهي الركن الأول للإسلام، وعليها تبنى عبادة الأنام، فمن قالها عارفًا بمعناها، عاملاً بمقتضاها، فهو المقبول عند الله، ومن قالها وجهل معناها أو لم يعمل بمقتضاها، فإنه الخاسر الذي خسر دنياه وأخراه.

أيها المسلمون:

إن هذه الكلمة هي أصل الدين، والفُرقان بين المؤمنين الموحِّدين والكافرين المشركين، وهي كلمة التقوى، والعروة الوُثقى، والشجرة الطيِّبة التي أصلها ثابتٌ في القلوب وفرعُها في السماء، تؤتي أُكُلها من الكلم الطيب والعمل الصالح كلَّ حين بإذن ربها، فهنيئًا لِمَن ثبَّتها الله في قلبه، وذلَّل بها لسانه، واستعمل بها جوارحه وأركانه، فصلَحتْ بها سريرتُه، وجملت بها سِيرته، فسُدِّدت بها أقواله، وحسُنت بها أحواله؛ إذ زيَّنه الله بزينة التقوى، وثبَّته على الاستمساك بالعروة الوثقى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

أيها المسلمون:

إنَّ تحقيق لا إله إلا الله، هو إفراده – سبحانه – بجميع العبادات، وتخصيصه – تعالى – بالقصد والإِرادات، ونفيها عمَّا سواه من المعبودات، التي نفَتْها لا إله إلا الله عن سائر المخلوقات، وذلك هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، الذي لا يُبقي في القلب شيئًا لغير الله، ولا إرادة لما حرَّم الله، ولا كراهة لما أمر به الله، هذا هو واللهِ حقيقة لا إله إلا الله، وأمَّا من قالها بلسانه، ونقضها بفعاله، فلا ينفعه قول لا إله إلا الله، إنَّ مَن صرَف لغير الله شيئًا من العبادات، أو أَشرَك به أحدًا من المخلوقات، فإنَّه كافر بالله ولو نطق ألف مرة بلا إله إلا الله.

قيل للحسن البصري – رحمه الله –: إن أُناسًا يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: من قالها وأدَّى حقَّها وفرضها، أدخلتْه الجنة لا إله إلا الله.

وقال وهب بن منبه لِمَن قال له: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، لكن ما من مفتاحٍ إلا وله أسنان، فإن جئتَ بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك؛ لأنك في الحقيقة لم تقل: لا إله إلا الله، يعني بأسنانها: العلم بمعناها، والعمل بمقتضاها، وترك ما يضادُّها ويخل بها وينافيها.

فيا أيها المسلمون:

لا تظنُّوا أمور الشرك منكم بعيدة؛ فإنَّ كثيرًا من الناس وقعوا فيه في مهاوٍ شديدة تقدح في لا إله إلا الله.

أين مَن وحَّد الله بالحب والخوف والرجاء والعبادة؟

أين مَن خصَّه – سبحانه – بالذلِّ والخضوع والتعظيم وإخلاص القصد والإرادة؟

أين مَن أفرده – تعالى – بالتوكُّل، وفوَّض إليه في الحقيقة أمره، وجعل عليه اعتماده؟

فإنَّ كلَّ هذه من معاني لا إله إلا الله.

فسارِعُوا – عِبادَ الله – إلى مغفرة من ربكم وجنةٍ عرضُها كعرض السماء والأرض أُعدَّت للمتقين، الذين آمنوا بالله ورسوله، فقاموا بواجبات لا إله إلا الله، فتمسَّكوا – عبادَ الله – بعرى لا إله إلا الله، فإن من نفى ما نفتْه، وأثبت ما أثبتتْه، ووالى عليها وعادى، رفعتْه إلى أعلى عليين، منازل أهل لا إله إلا الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١١ - ١٥].

بارَك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعني وإياكم بما فيه من الهدى والبيان، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

(من شأن المؤمن استشعار معية الله والطمأنينة إليه)

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونستهديه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن إحساس المؤمن بحفظ الله له، ويقينه أنَّ الله معه؛ يَسمعه إذا شكا، ويُجيبه إذا دعا، ويأخذ بيده إذا كبا، ويمدُّه إذا ضعُف، ويعينه إذا احتاج، ويلطف به إذا خاف، كلُّ ذلك من أسباب ارتياح النفس وانشراح الصدر، وطمأنينة القلب وتيسير الأمر، وطيب العاقبة في العاجل والآجل؛ فإنَّ ثقة العبد بربِّه ويقينه بأنه - سبحانه - المتولي لأموره، وأنه - تعالى - سائقُ كلِّ خير، وكاشفُ كل ضر - لا تتركه نهبًا للوساوس والأوهام، ولا تلقيه في بيداء اليأس من روح الله، أو ظلمة القنوط من رحمة الله؛ بل تجعله يضرع إلى الله - تعالى - عند كلِّ نازلة، ويستجير به عند كل مصيبة، ويشكره ويذكُره، ويحمده عند كلِّ نعمة ورحمة، فيتَّجه إلى الله في سائر أحواله، داعيًا متضرعًا موقنًا بالإجابة، منتظرًا للفرج من الله، لا يتَّجه إلى غيره، ولا يُنزل حاجتَه بسواه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]، فيتذكَّر ربَّه في كلِّ أحواله ذاكرًا وشاكرًا على السرَّاء، وصابرًا ضارعًا منتظرًا للفرج عند الضرَّاء، ويسأل الله أن يجود عليه بحفظ النعماء، والعافية من البلاء، واللطف في القضاء.

فاتقوا الله - عبادَ الله - وثقوا بمعية الله للمؤمنين؛ فإنَّها لكلِّ مَن اتقى الله في سرِّه وعلنه، وأحسن ابتغاء وجه الله في قوله وعمله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وهي المعيَّة الخاصة التي مقتضاها العون والتسديد، والحفظ والتأييد، واللطف بالعبيد، ومَن كان الله معه فقد آوى إلى ركنٍ شديد.

أيها المسلمون:

ليس للمصائب حدٌّ تقف عنده، ولا للبلايا نهاية في هذه الحياة، ولا للفجائع التي تحدُث في الزمن لونٌ خاص؛ فكلُّ مصيبة أو بليَّة أو محنة يجب اتقاء أسبابها قدر المستطاع، فإذا وقعتْ تعيّن الصبر عليها، وانتظار حُسن عاقبتها، والخلف منها، واحتِساب أجرها عند

مُقدِّرها ومُجريها - تبارك وتعالى -: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

وكم في الصبر على المكاره من جميل العواقب، وكريم العوائد، التي أعظمُها تجريد التوحيد بالإخلاص لله وحده، وصرْف القلوب عن التعلُّق بالعبد، ومنها زيادة الهدى والإيمان، وعظم الأجر في الميزان، وتكفير الخطايا، ورفعة الدرجات، ومضاعفة الحسنات: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

فالصبر ذخر وضياء، وخير ما تحلَّى به العبدُ عند البلاء، وحال البأساء والضراء، كيف لا وقد وعَدَه الله بنصره وتأييده وبشره؟ ويقول ﷺ: ((واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا))، ويقول ﷺ: ((وما أعطي أحدٌ عطاء خيرًا وأوسع من الصبر، ومن يتصبَّر يصبِّره الله)).

أيها المسلمون:

ومن عُدَّة المؤمن في سيْره إلى ربه التوكلُ على الله؛ الذي حقيقته الاعتماد على الله في حصول ما ينفع العبدَ في دينه ودنياه، ودفع ما يضره، مع تفويض الأمر إليه تعالى، وانجِذاب القلب إليه محبَّة له، وثقة به، واعتمادًا عليه، وتكميل ذلك بمباشرة ما شرعه الله - تعالى - من أسباب توصِّل إلى المقاصد، وتُحمد بها العوائد، فإنَّ التوكل للمؤمن من خير الخصال، وجليل الأعمال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وجزاؤهم من الله الكفاية، فمَن توكَّل على الله كفاه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]؛ أي: كافيه: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

ومَن توكل على الله ووثق بكفايته حقيقةً، فلن يتمكَّن منه عدوٌّ، ولن يخيب له مطلوبٌ، ولن يفوته مرغوب: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

أمَّا التوكُّل المزعوم الذي هو مجرَّد دعوى باللسان، مع فقْد الثقة بالله من القلب وتعطيلِ

طاعته من اللسان والأركان، وترْك مباشرة الأسباب التي جعلها أسبابًا يُنال بها المحبوب، ويُتَّقى بها المرهوب، أو الاعتماد على الأسباب والإعراض عن مسبِّبها - تبارك وتعالى - فهذا توكل ادِّعائي لا يفيد أهلَه شيئًا؛ بل يكون من أسباب شقائهم في العاجل والآجل.

ومن مظاهِرِه أنَّك ترى أهله يتصرَّفون عند وجود ما يقتضيه تصرُّفَ فاقدي الإيمان، ومَن لا يؤمن بكفاية الرحمن، ويظنون بالله ظنَّ السَّوء، فمثلاً عندما تحدث حوادثُ مثيرةٌ للقلق، وتنشب حرب في جهة، ينسَوْن لُطف الله ورحمتَه بعباده، يذهب أحدُهم إلى الأسواق ليشتري من السلع فوق حاجته ولو بأثمان مضاعفة، ليدخرها لليوم المشؤوم أو الأسود في زعمه؛ فيتسبب ذلك التصرف في ارتفاع أثمان الأرزاق، واضطراب الأسواق، وإغراء ضعفاء النفوس في احتكار الأرزاق، وإرجاف البسطاء من النساء والسفهاء، ويذهب ضحيَّة ذلك الفقيرُ والمسكين والأرملة، والأجير الذي لا يجد غير أجره اليومي، وتلك نظرةٌ مادية تقدح في التوكل، فتؤثِّر فيه أو تضعفه وليستْ من الأسباب المشروعة، ولا من باب: ((اعقلها وتوكَّل))، ولكنها من باب الاعتماد على الأسباب، والإعراض عن ربِّ الأرباب ومسبِّب الأسباب.

فاتَّقوا الله - عباد الله - واصدُقوا في التوكُّل على الله، وخُذوا بالأسباب المشروعة، وهو اللطيف بعباده، بيده الخير، وله ملكوت كلِّ شيء، وهو القادر على كل شيء، والظاهر على كل شيء: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢-٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعًا بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم وللمسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

(متى يكون العمل عبادة مقبولة؟)

الحمدُ لله عالِمِ الخفيَّات، المطَّلع على السرائر والنيَّات، ولا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السموات، أحمده سبحانه أنْ هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأسأله أن يجعلنا من خير أمَّة أخرجت للناس؛ تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]. وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله المبعوث رحمة للناس بشيرًا ونذيرًا، لتطيعوه وتتبعوه لعلكم تفلحون، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا.

أما بعد؛ فيا أيها الناس:

اتَّقوا الله تعالى، واعلموا أن الله خلقَنا لعبادته، وأمرَنا بطاعته، وبعَث إلينا خيرَ خلقِه وأشرف رسله محمدًا ﷺ لنتَّبعه على شريعته، ونقيِّد أعمالنا وأقوالنا وأحوالنا بهدْيه وسنته، فالعبادة أيًّا كانت قولية أو فعلية، لا تكون عبادةً حقيقية، ولا تتمُّ ولا تنفع صاحبَها فيُثاب عليها في الدارين، إلا إذا تحقَّق فيها أمرانِ لا يكفي أحدهما عن الآخر:

أحدهما: الإخلاص لله، وهو إفراد الله - تعالى - بالقصد في الطاعة دون مَن سواه، بأنْ يقصد بها وجه الله - تعالى - متقربًا بها إليه، رغبةً ورهبة، وخوفًا وطمعًا، فينقِّيها ويصفِّيها من قصْد ثناء الناس ومحمدتهم، أو المنزلة في قلوبهم، أو تحصيل شيء مما في أيديهم من الحطام، أو اتِّقاء ما قد يوجهونه للشخص من المذمة والملام، قال - تعالى -: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: 5]، وقال - سبحانه -: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١١ - ١٥].

فالإخلاص لله هو القاعدة التي تُبنى عليها العبادةُ، وتكون حَرِيَّة بالقبول والنفع والمثوبة؛ فهو معيار باطن الأعمال الدقيق، ومقياسُها الصادق الذي يميِّز طيبها من خبيثها، وصحيحَها من فاسدها، ومقبولَها من مردودها، ونافعَها من ضارِّها.

صحَّ في الحديث عن النبي ﷺ أنَّه قال: ((إنما الأعمال بالنيَّات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى؛ فمن كانت هجرتُه إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأةٍ ينكحها فهجرتُه إلى ما هاجر إليه)).

وفي الحديث القدسي قال الله – تعالى –: ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشِركَه)).

ولقد قال – سبحانه – في تنزيله المبين: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

أيها المسلمون:

وأما الشرط الثاني الذي يكون به العمل عبادةً حقيقية: حرية بالقبول والنفع والثواب في الدارين، فهو أن يكون العمل على وَفق سنة النبي ﷺ وهو معيار ظاهر الأعمال، قال – تعالى –: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو ردٌّ))، وفي لفظ: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد))، وقال ﷺ: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور؛ فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة)).

وقال ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئتُ به))، وقال – عليه الصلاة والسلام –: ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا مَن أبَى))، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: ((من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)).

فالإخلاص – أيها المسلمون – هو ميزان أعمال القلوب، التي لا يطَّلِع عليها إلا علاَّمُ الغيوب، ويقابله الشرك الأصغر أو الأكبر، والمتابعة هي ميزان أقوال اللسان وأعمال الجوارح الظاهرة، ويُقابِلها المعصية أو البدعة، والناس شهداء الله في أرضه، وإنما يشهدون للإنسان أو عليه، بما يرَوْن من أعماله ويسمعون من أقواله، والغالب أنهم لا تتَّفق شهادتهم وثناؤهم للإنسان أو عليه – خاصة بعد موته – إلا وهو كذلك، وفي الحديث: ((أنتم شهداء الله في أرضه؛ مَن أثنيتم عليه خيرًا وجبتْ له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبتْ له النار)).

فاتقوا الله – عباد الله – ولازموا الإخلاص لربِّكم، والمتابعة لنبيِّكم محمد ﷺ في أقوالكم

وأعمالكم ونيَّاتكم؛ فكلُّ عمل أو قول ممَّا شرع الله لا يراد به وجه الله، فهو باطلٌ لا ثواب له عليه في الآخرة، وإنْ أدرك شيئًا من حُطام الدنيا، يقول - سبحانه -: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

ويقوله - تعالى -: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩]. ويقول - تعالى -: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

ولقد ذمَّ الله - تعالى - الذين يعملون على غير هدي الأنبياء، وتوعَّدهم وعيد الأشقياء، فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٢-٧]، فأولئك عمِلوا وتعبوا؛ لكنهم خابوا وخسروا، فلم يستريحوا من عَناء العمل، ولم يفوزوا برضوان الله - عزَّ وجلَّ.

وهذا الوعيد يشمَل فيما يشمل صنفينِ من الناس:

أحدهما: المنافقون؛ فإنهم استقاموا في الظاهر على الدِّين، ولكنهم لم يُخلصوا في الباطن لربِّ العالمين، وإنما قصَدُوا حقْن دمائهم، وصيانة أموالهم وحرماتهم: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]؛ ولهذا توعَّدهم الله بالدَّرْك الأسفل من النار؛ لأنهم شرٌّ من المشركين والكفَّار، وأخطر منهم على الدين والمسلمين؛ إذ يفشون الأسرار، ويكيدون آناء الليل والنهار.

والصنف الثاني: المبتَدِعة، الذين قد يخلصون لله في العمل؛ ولكنهم لا يعبدونه بما جاءت به الرسل، وكذلك المشركون الذين قد يُخلِصون لله في بعض الأعمال؛ ولكن يبطلونها بالشرك فلا تنفعهم في المآل.

فاتقوا الله - عباد الله - وأخلصوا كلَّ أعمالكم لله، وأَوْقِعوها على وَفْق سنة عبده ورسوله ومُصطفاه؛ فإن ذلك هو سر النجاح والفلاح بغاية الأرباح، واعلَموا أنَّ الله مطَّلع على

سرائركم، وعالمٌ بما أكنَّتْه ضمائركم، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعَنا جميعًا بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم، إنَّه هو الغفور الرحيم.

(خطر البدع والتحذير منها ومن أهلها)

الحمد لله الذي هَدانا للإسلام، وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسُل ربنا بالحقِّ المبين، أحمده سبحانه، أكمل لنا ديننا، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام دينًا إلى يوم الدِّين، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

وأشهد أنْ لا إلا إلا الله، وحده لا شريك له، ربُّ العالمين، وإلهُ الأوَّلين والآخرين، أتقَن ما صنع، فما ترى في خَلْق الرَّحمن من تفاوت، فتبارك الله أحسن الخالقين، وأحكم ما شرع، فأغنى عن البِدَع، وحفظ الذِّكر فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تَنْزيل من حكيم حميد.

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله النبيُّ الأمين، والرسول المبين، وإمام المتَّقين، وخِيرة الله من خلقه أجمعين، الذي بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصَح الأمة، وترَكَها على بيضاء نقية، لا يزيغ عنها إلا هالك: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 115]، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

أما بعد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: 102 - 107].

اللهم ثبِّتنا على دينك، وزِدْنا من هُداك، وارزقنا الاستقامة على طاعتك والتمسُّك بسنة

نبيِّك محمد ﷺ حتى نلقاك مسْلِمين مؤمنين محْسِنين، غير مبتَدِعين ولا مبدِّلين ولا مرتدِّين، اللهم بيِّض وجوهنا، وثَقِّل موازيننا، وزَحْزِحنا عن النار، وأدخلنا الجنة، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم جنِّبنا البِدَع في دينك؛ فإنَّها تغيِّر القلوب، وتبدِّل الدِّين، وتفرِّق الكلمة، وتشتِّت شمل المسلمين، ويتسلَّط بسببها الظَّلَمة على المسلمين، وتُزِيل النَّعماء، وتجلب الشَّقاء، وتسوِّد الوجوه، وتخفِّف الموازين، وتخْرِج المرء من ولاية الرحمن حتى تجعله وليًّا للشيطان، والشيطان ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: 6].

أيها الناس:

ارضُوا ما رَضِيه الله لكم من الدِّين، فكونوا لربِّكم سبحانه طائعين، ولنِعَمِه شاكرين، ولنبيِّكم محمد ﷺ في جميع الأمور مُتَّبِعين صادقين؛ حتى يَحفَظ الله عليكم نِعَمه، ويصرف عنكم نقمه، ويزيدكم من فضله، ويعامِلكم بإحسانه: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: 69 - 70].

اتَّبِعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفِيتم، واسلكوا طريق الحقِّ الذي إليه هُديتم، وعليكم بالسُّنة التي بها فُضِّلتم، تمَسَّكوا بها ولا تَستوحشوا من قِلَّة السَّالكين، واهجروا الضَّلالات، ولا تغترُّوا بكثرة الهالكين: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 116 - 117]، ألا لا يتطاولَنَّ عليكم الأمَدُ فتقسُو قلوبكم، ولا يُلهينَّكم الأمل؛ فإنَّ كل ما هو آتٍ قريب.

أيها الناس:

إيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمور؛ فإنَّ شرَّ الأمور محْدَثاتُها، وإن كلَّ بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس:

احذروا البِدَع، فإنها تُشوِّه الدِّين، وتطمس معالم السُّنن، وتُحدِث الفتنة، وتضلُّ الناس عن طريق الجنَّة، وتجعلهم يَسيرون في طريقٍ مُنتَهاه الجحيم، وتفرِّق الناس، وتجعل أهلها يُصرُّون على الحِنث العظيم، يتفرَّقون شِيَعًا ويتآمرون أحزابًا، وذلك شأن المشْرِكين، كما جاء بيانُ ذلك في القرآن المبين، وتجعلهم يفرِّقون دينهم كلُّ حزب بما لديهم فرحون، وقد نهاكم ربُّكم

عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 31 - 32].

أيها المسلمون:

ما مِن بدعة تحْدث إلاَّ ويُميت الناس من السُّنن مثلها، ولا يُحدِث رجلٌ بدعةً إلاَّ وقد ترك مِن السُّنة ما هو خيرٌ منها، وما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا إلاَّ ازداد من الله بعدًا، وعملٌ قليلٌ في سُنَّة خير من عمل كثير في بِدْعة؛ فإنَّ الله تعالى إنما يتقبَّل من المتَّقين، والمبتدِع ليس من أهل التُّقى، بل هو من أهل العَمى، لا يقبل الله من صاحب بدعة صيامًا ولا صلاة، ولا حجًّا ولا جهادًا، ولا صَرْفًا ولا عدلاً؛ قال ﷺ: ((من أحدَث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ)).

أيها الناس:

الحذَرَ الحذرَ، والفرارَ الفرار، فإنَّكم اليوم في زمَنٍ نفَقَت فيه سوقُ البِدَع، وراجَتْ تجارتها، وكثر الذين يحترفونها ويَدْعون إليها ويزيِّنونها، ويفتنون الناس بما يُضِلُّونَهُم بها عن دينهم، فيصدُّونهم عن سبيل ربِّهم، ويأكلون أموالهم بالباطل، ويستعبدونهم، ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16]، وصدُّوا الناس عن الهُدى، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 132]، فهم كما أخبر عنهم النبي ﷺ: ((دُعاةٌ على أبواب جهنَّم؛ مَن أجابهم قذفوه فيها))، قيل: يا رسول الله، صِفْهم لنا، قال: ((هم من جلدتنا، ويتكلَّمون بألسنتنا)).

فإذا عرفتم ذلك - معاشِرَ المسلمين - فاحذروا أنْ تجالسوهم أو تُصْغوا إليهم أو تعظوهم، فإنَّ النبي ﷺ قد لعَنَهم ولعن من أعانهم، يقول في الحديث الصحيح: ((لعن الله مَن آوى مُحْدِثًا)).

فاحذَرُوا أنْ تقع عليكم اللعنة، واعلموا أنَّه قد جاء في الأثر أنَّ من جالس صاحب بدعة نُزِعت منه العصمة، ووُكِل إلى نفسه، ومن مشى إلى صاحب بدعة ليوقِّره، فقد مشى في هدم الإسلام.

أيها المسلمون:

إن أهْل البِدَع يَعبدون الله بغير ما شَرع، فيفترون على الله الكذب، ويجْلِبون على أنفسهم

التَّعب، ويقطعون السَّبيل، ويشغلون الناس بالأضاليل، لسان حالهِم أنَّ الله تعالى لم يُكمل دينه فيكملوه، ولم يتمَّ نعمته فيَكفروه، أو أنَّ النبي ﷺ لم يُبلِّغ الناس كلَّ ما أوحاه الله إليه، أو بلَّغه ولكن الصحابة لم يَفهموه أو لم يَهدوا الناس إليه، فما أظلَمَهم لربِّهم! وما أقلَّ توقيرَهم لنبيِّهم! وما أعظم جنايتهم على الصَّحابة! وما أضَرَّهم على أنفسهم! وما أشأمهم على مجتمعهم! وما أجرأَهم على دين ربِّهم! فيا ويلَهم، ما أعظم ما جنوه! وما أسوأ ما افتروه! فما حجَّتُهم عند الله يوم يُلاقونه، وصدق الله العظيم إذْ يقول: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: 103 - 104].

فاتقوا الله أيُّها المؤمنون، واهجروا أهل البدع فلا تأتوا إليهم، واحذروهم فلا تُصْغوا إليهم، ونَفِّروا الناس منهم، وأبعدوهم عنهم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: 120].

نفَعَني الله وإيَّاكم بِهَدْي كتابه، وجعلنا من أوليائه وأحبابه، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه يغفِرْ لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

(معايير الحق والتحذير من البدع)

الحمد لله، نَحمده، ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضْلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده، لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، ومصطفاه وخليلُه، وأمينه على وحْيِه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلَّم تسليمًا.

أما بعد؛ فيا **أيها الناس**:

اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واتبعوا ما جاءكم من ربِّكم من النور والهُدى، واستمسكوا بسُنَّة نبيِّكم محمد ﷺ تَنْجوا من فِتَن عظيمة في زمانكم تَتْرى، وإيَّاكم والمحْدَثاتِ في الدِّين؛ فإنها هي البدع التي تُضِلُّ عن الهدى، وتورث العمى، وتَسْلب النعمى، وتجلب الردى، وتَهْوِي بصاحبها إلى حفر من النار تلظَّى.

أيها المسلمون:

كان نبيُّكم ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه مُنْذِر جيش يقول صبَّحَكم ومسَّاكم، ويقول: ((بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين))، ويَقْرِن بين إصْبَعيه السَّبابة والوسطى، ويقول: ((**أمَّا بعد**: فإنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهَدْي هدي محمَّد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكلَّ بدعة ضلالة))، وفي روايةٍ للنَّسائي - رحمه الله - زيادة: ((وكلُّ ضلالة في النار)).

ولقد حدَّث الصحابي الجليل العِرْباض بن سارِيَة - رضي الله عنه - فقال: وعَظَنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، وَجِلَت منها القلوب، وذَرِفَت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودِّع فأوصِنا، قال: ((أوصيكم بتقوى الله، والسَّمع والطاعة، وإنْ تأمَّر عليكم عبدٌ، وإنه مَن يَعِشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين؛ عَضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإيَّاكم ومحدثاتِ الأمور؛ فإنَّ كل بدعة ضلالة)).

أيها المسلمون:

هذا بيان نبيِّكم محمَّد ﷺ ووصيَّته إيَّاكم، وتبليغه لكم؛ فهل بعد هذا البيان بيان؟ وهل وراء هذه الوصية وصية؟ وهل فوق هذا التبليغ تبليغ؟ لقد تضمَّن هذان الحديثان الجليلان فيما تضمَّناه من الوصايا والنصائح المهمَّة التأكيدَ على أصول اعتقادية عظيمة، وقواعد

منهجية راسخة، وموازينَ سُلوكية مستقيمة، يقوم عليها الإيمان، ويَحفظ بها للعقيدة الأساسَ والبنيان، وتُوزَن بها المقاصد والأعمال والأقوال، وتُعرف بها أحوال الرِّجال، وتُعرَض عليها الحوادث المستجَدَّة، ويُقوَّم بموجبها سلوكُ الفرد والأُمَّة، ويَضْمن المستمْسِك بها ممَّن خَلَف السير في كلِّ الأمور على هَدْي خير السَّلَف.

أيها المسلمون:

فأَصْل تلك الأصول التي أمَر الرَّسول بالتمسُّك بها: كتابُ الله، خير الحديث، وأصْدَقُ القول، وأشرف الذِّكر، وأعظم الذُّخر؛ فإنَّه حَبْل الله المتين، ونورُه المبين، وصراطه المستقيم، الهادي لكلِّ أمر قويم، وهُدًى مستقيم، مَن تمَسَّك به رفعه الله، ومن ابتَغى الهُدى من غيره أضَلَّه الله، ومَن تركَه مِن جبَّار قصَمَه الله، نعتَه الله بأجمل نعْت، ووصفه بأكْرَم وصْف، بأنَّه ذِكْر للعالمين، ورحمة للمؤمنين، وهدًى للمتقين، وبشرى للمحسنين، ما فرَّط الله فيه من شيء؛ بل جعله تبيانًا لكلِّ شيء، يَهْدي للتي هي أقوم، ويُرْشد إلى الخُلُق الأعظم، فهو ذكرٌ وذكرى، ونور وهُدى، وموعظة وبشرى، قال فيه المتكلِّم به سبحانه: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 123 - 124].

وجاء في صحيح السُّنة المطهَّرة أنَّ القرآن يأتي شفيعًا لأهله يوم القيامة، وأنَّ مَن كان القرآن خَصْمه فإنه يُحرَم الشفاعة، ويخلَّد في النار وبئس القرار.

فاتلوا القرآن عباد الله وتدبَّروه، واعملوا به ولا تَهْجروه، وتحاكَمُوا إليه وأرضوه، وما أشكَل عليكم منه فالتَمِسوا بيانه في السُّنة الصحيحة تجدوه؛ فإنَّكم عنه مسؤولون: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: 44].

أيها المسلمون:

وأمَّا ثاني تلك الأصول التي نصَّ عليها الرسول، فهي السُّنة الغَرَّاء المبَيِّنة للهُدى، فإنها تفسِّر القرآن وتُبيِّنه أبلغ البيان؛ تفسِّر مجْمَله، وتوضِّح مشْكِلَه، وتفتح مُغْلَقه، وتقيِّد مطْلَقه، وتخصِّص منه العامَّ، وتستقلُّ عنه ببعض الأحكام، فقد وكل الله إلى نبيِّه تبْيين ما نزل إليه، كما جاء في القرآن النصُّ عليه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]، فالرسول ﷺ هو الدَّاعي إلى الله، والمبيِّن لدينه وهُداه، والدالُّ

لجميع الناس على كلِّ ما يحبُّه ويرضاه، والمنذِر للعُصاة من هوْل يوم لِقَاه، فأسلَم الناس من الفِتَن مَن تمسَّك بمأثور السُّنن، وأسعدُ الناس بشفاعتِه مَن أخلص لله في عبادته، وتمسَّك في سائر أحواله بهَدْيه وسُنَّته، وأولياء الله حقًّا هم السَّائرون على منهاجه صِدْقًا؛ فإنه ﷺ أُسْوة المؤمنين، قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

فمن كان يرجو الله واليوم الآخِرَ فلْيَتأسَّ بنبيِّه ﷺ في الباطن والظاهر، ومن ادَّعى محبَّة الله فلْيأتِ ببيِّنة على ما ادَّعاه، باتِّباع حبيبه محمد ﷺ ومصطفاه، ومَن تولَّى عن دينه وهداه، ولاَّه الله ما تولاَّه، وما ظلَمه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 31 - 32].

ولهذا شَهِد الله بالإيمان والفلاح لِمُتَّبعيه، وتوعَّد بالفتنة والعذاب مخالِفيه، قال - تعالى -: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63].

ومَن خالف أمره ﷺ فقد رَغِب عن سُنَّته، ومن رغب عن سُنَّته خُشِي عليه ألاَّ يكون من أهل مِلَّته، وأن يُحال بينه وبين رحمة الله وجنَّته، قال ﷺ: ((فمن رغب عن سُنَّتي فليس منِّي))، وقال: ((كلُّ أمتي يدخل الجنة إلا مَن أبى))، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: ((من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)).

فمن تمسَّك بالكتاب والسُّنة فقد أخذ بأسباب الرَّحمة، وفاز بالعصمة، وأَمِن من الضَّلالة والفتنة، فالمتمسِّك بهما محفوظ، ولْيُبْشِر من الله تعالى في الدُّنيا والآخرة بخيرٍ وأعظَمِ الحظوظ.

أيها المسلمون:

وأمَّا سُنَّة الخلفاء الراشدين والصحابة المهديِّين، فإنَّها طريق الاستقامة، ومِنهاج الكرامة، وهي على توفيق متَّبعهم فيها علامة، فإنَّهم - رضي الله عنهم - هم خيار أصحاب النبيِّين، وأشرف الحواريِّين، كيف لا وهم قومٌ اختارهم الله لِصُحبة نبيِّه؟ وائتمَنَهم بَعْدَه على دينه ووحْيِه؟ فهُم خلفاء الرسول في أمته، السائرون على هداه وطريقته، والقائمون بعده بتبليغ

رسالته، أبَرُّ هذه الأمة قلوبًا، وأصدَقُها ألْسُنًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلُّفًا، قوم اختارهم لصحبة نبيِّه، فهم أئمة الأئمة، وهُداة جميع الأمَّة، أثنى الله عليهم بالمسارعة إلى الخيرات، وشهد لهم بالسَّبْق إلى أعلى الدَّرجات، وأخبر أنهم خير أمَّة أُخرِجت للناس، وجعلهم في الدُّنيا ويوم القيامة الشُّهداء على الناس، من سلَك سبيلهم فهو على الهُدى، ومَن ترك طريقهم فقد اتَّبع الهوى فهوى، وسيولِّيه الله يوم القيامة ما تولَّى، قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 115].

فعليكم - عبادَ الله - بما كان عليه الصحابة؛ فإنهم أهل الجنَّة والفلاح والإصابة، أخبر النبي ﷺ أن الأمةَّ ستَفْتَرِق على ثلاث وسبعين فرقة، كلُّها في النار إلا واحدة، فسُئِل عنها، فقال: ((هم مَن كان على مِثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي))، فأَتْباعهم هم الفرقة المبرورة المشكورة، والطائفة الظاهرة بالحقِّ والمنصورة، التي لا يَضُرُّها مَن خذَلها ولا مَن خالفها، حتى يأتي الله بأمره، جعلنا الله وإيَّاكم بهم مقْتِدين، ولهم في كلِّ شيء متَّبِعين، وبهَديهم ظاهرين، وجمَعَنا بهم في دار كرامته يوم الدِّين.

أيُّها المسلمون:

فالكتاب والسُّنة وما كان عليه الصحابة وأتباعهم من سلَف الأمَّة، هي براهين الحقِّ، وموازين الاستقامة، ومعالم التَّوفيق، وهي القِسْطاس المستقيم التي يَنبغي أنْ يوزَن بها كلُّ جديد، وأن تحْكُم في القريب والبعيد، وأن يخضع لها الدَّقيق والجليل، والكثير والقليل، فهي - واللهِ - قاصمةٌ لظهور المنافقين، وقاضية على بِدَع المبتدعين، وكاشفة لشبهات المشبِّهين، ومبيِّنة لزيغ الضالِّين المبْطِلين في الحقِّ والصِّدق: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: 18]،﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 3].

أيُّها المسلمون:

وأمَّا الأمور التي حذَّر منها النبي ﷺ في خطبته، وزجَر عنها في بليغ موعظته، فهي مُحْدَثات الأمور التي يخترعها ويرتكبها مُتَّبعو الأهواء في سائر العصور، وكم فيها من أنواع الفِتَن في الأرض والفساد الكبير! فإنَّ المبتدع يتقرَّب إلى الله بعمل يخترعه من عند نفسه أو يتَّبع فيه

غيره، ويعدُّه من دين الله، ويدعو إليه مَن استطاع من عباد الله، مع أنه ليس له أصل في القرآن، ولم يَقُم عليه من سُنَّة النبي ﷺ برهان، ولم يكن من هَدْي الصحابة الكرام، ولا التابعين وأتباعهم من أئمَّة الإسلام.

فالبدع كلُّها شرٌّ وضلال، وشقاء عظيم في الحال والمآل، فإنها تبديلٌ للدِّين، وتضليل للمسلمين، واتِّباع لِسنَن الجاهلين والمغضوب عليهم والضالِّين، وهي استدراك على الله في شَرْعه، أو اتِّهام للنبي ﷺ في تبليغه وبيانه، أو وَصْف للصَّحابة - رضي الله عنهم - وحاشاهم، بالسَّذاجة وعدم الفقه، أو سوء القَصْد، أو قِلَّة الرغبة في الخير، وهي تفريق للدِّين وتشتيت للمسلمين، وفتحٌ لباب يدخل منه الكافرون والمشركون في حربهم للدِّين وأهله المؤمنين، قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 31 - 32].

وأي ضلال أعظم من الاستدراك على الله في شرعه، أو القول عليه بلا علم؟! وأيُّ نفاق أخطر من اتِّهام النبي ﷺ في تبليغه ما أُنزل إليه من ربه؟! وأيُّ غرور أشدُّ من ازدراء الصحابة بنسبتهم إلى التقصير فيما يكمل الإيمان؟ أو نقص شكرهم لنِعَم الله مولى الفضل والإحسان؟ فقبَّح الله المبتدعة، ما أنقص عقولهم وسفه أحلامهم! وتبًّا لهم ما أقبح بضاعتهم وأخسر صفقتَهم! ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16]، كيف يتقرَّبون إلى الله بما اخترَعُوا من البدع، ويعدُّونها من أفضل وأحسن ممَّا شرع؟! ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: 103 - 104].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعًا بما فيه من الهدى والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أمَرَنا بالاتِّباع، ونهانا عن الابْتِداع، وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله، وحده لا شريك له في الخَلْق والإبداع، فحقُّه أن يُعبَد وحده ويُطاع، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي فرَض اللهُ على المؤمنين به الطاعة له والاتِّباع.

أما بعد؛ فيا أيها الناس:

اتَّقوا الله تعالى، واحذروا البِدَع في الدِّين، وتجنَّبوا سُبُل المبتدعين؛ فإنَّ الله تعالى قد أكمل لكم الدِّين، وأتمَّ به النِّعَم على جميع المسلمين، وإن البدع تُسوِّد الوجوه، وتطمس القلوب، وتعمي البصائر، وتصدُّ عن الهُدى، وتجلب على أهلها التعاسة والشَّقاء، فالمبتدعة مشغولون ببدعهم عن حقيقة طاعة الله، معرِضون عن سُنَّة نبيِّهم محمد ﷺ وهُداه قد زيَّن لهم الشيطان سوء أعمالهم فصَدَّهم عن سبيل الجنَّة، وسبب السعادة والنجاة، وعَدَهم الشيطان ومنَّاهم غرورًا، حتى أدخَلُوا في دينهم آصارًا، وحملوا من سوء أعمالهم وقبيح فعالهم أوزارًا.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: 201].

عباد الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

فاذكروا الله العظيم الجليل يَذْكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولَذِكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

(فضل التقوى وحال أهلها)

إنَّ الحمد لله، نحمَده ونستَعِينُه، ونستَغفِره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، مَن يَهدِه فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادي له، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، ومُصطَفاه وخليله، وأمينه على وحيِه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا.

أمَّا بعدُ أيُّها الناس:

أَطِيعوا الله - تعالى - فيما تأتون وما تَذَرون، واخشَوْه فإنَّه يَعلَم ما تُسِرُّون وما تُعلِنون، واتَّقُوه لعلَّكم تُفلِحون؛ ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: 52].

أيُّها المسلمون:

لا شَكَّ أنَّنا اليومَ في زمان فتن، نعوذ بالله ممَّا ظهَر منها وما بطَن، والفتن يلتَبِس فيها الحقُّ بالباطل على كثيرٍ من الناس، ومن شأنها أنها ينتج عنها في الغالِب ضِيق الحال ونقص الأرزاق، وتعسُّر الأمور، وكثْرة الفَواحِش والمنكَرات، وعظم المصائب والخوف والجوع، ونقْص من الأموال والأنفس والثَّمرات، وينشط فيها شَياطين الإنس والجن في التَّحريش بين الناس، وإيقاع العَداوَة والبَغضاء التي تجرُّ الحروب التي تُزهِق الأرواح، وتستَنزِف الثروات، وتذهب بالدين، وتكون من أسْباب تَسلُّط الكفَرَة من أهل الكتاب والمشركين على المسلمين، إلى غير ذلك من الشرور ومُحدَثات الأمور التي لا تخطر للكثيرين على بال، ولا تدورُ لهم في خَيال، ولا عصمة منها إلا برحمةٍ من ذي الكرم والجلال.

أيها المسلمون:

ولقد وعَد الله - تعالى - المتَّقين بالوقاية من الفِتَن، واللُّطف عند حُلول المِحَن؛ فقال - سبحانه -: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2 - 3].

وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4].

وقال - عز وجل -: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 5].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: 29].

وقال – تعالى –: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: 62 – 64].

وقال – تعالى –: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201].

وقال – سبحانه –: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 282].

وضَمِن – سبحانه – للمتَّقِين النَّجاةَ من النار والفَوْزَ بالجنَّة، فحين ذكَر – سبحانه – النار قال: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [الليل: 17]، وقال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: 72]، وحين ذكَر الجنَّة أخبَرَ – سبحانه – أنها: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]، وقال: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 63].

فضَمِن – سبحانه – لأهل التقوى المخرَج من الضِّيقِ، والرِّزقَ بأهون سبب، وتيسير العسير، وتَكفِير السيِّئات، ومغفرة الزلاَّت، والأمن من الخوف، وعدم الحزن على فائت، وتَوالِي البِشارات بأنواع المسرَّات، في الحياة وبعد الممات، كما شَهِدَ لهم بالعصمة من الشيطان، ووعَدَهم بالعلم المثمِر للإيمان، والهداية لما اختُلِف فيه من الحق بإذنه، والفوز بالجنَّة والنَّجاة من النار، فما أجلَّها من عَواقِب، وما أطيَبَها من ثمراتٍ للتقوى، فهنيئًا للمتَّقين، اللهمَّ إنَّا نسألك الهدى والتُّقى، والعَفاف والغنى.

أيها المسلمون:

التقوى هي شِعار المؤمنين، وحِليَة المحسِنين، وسِلاح المجاهِدين، وزبدة رِسالات المرسَلين، وسببٌ لطيب الحياة والفوز والفَلاح والسعادة وعلو الدرجات في الدارَيْن، وهي زينة المؤمن في الدنيا، وخيرُ زادٍ في السفر إلى الأخرى.

ولعظيم أثَر التقوى على المتَّصِف بها، وجميل عاقبتها في الدنيا والأخرى، وشرف الاتِّصاف بها من أولي النهى – كانت الوصيَّة من الله – تعالى – بها للسابِقين واللاحِقين من المكلَّفين؛ كما قال – تعالى –: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾

[النساء: 131].

فكانت مَدار كلِّ الشرائع، ومهمَّة جميع الرسل، ومَضمُون جميع الكتب، ورسالة الله - تعالى - إلى كلِّ أمَّة، وجعَلَها الله أوَّل مَوعِظة كلِّ نبي أرسَلَه إلى أمَّةٍ من الأمم، فأوَّل ما يَقرَع به أسماع أمَّتِه من كلامه قولُه تبليغًا عن ربِّه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 65].

كما جاء ذلك على لسان نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى وعيسى ومحمد، صلَّى الله عليهم أجمعين وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

وكم في القرآن من النَّعْي على مَن خَلا منها، ولقد جاء الأمرُ بالتقوى في القرآن وحدَه بأكثر من ثمانين موضعًا، فضلًا عن المواضع التي جاء فيها ببيان فضْل التقوى والثَّناء على أهلها.

أيها المسلمون:

إنَّ المرء إذا تَحَلَّى بالتقوى اتَّصَف بالإخلاص لله في كلِّ عمل، وصدق الاتِّباع للنبي المرسَل، فصار جميل الخلق، طيِّب القول، مُنافِسًا في الخير، سبَّاقًا إلى كلِّ فضيلةٍ، يعبُد ربَّه عبادةَ مَن يُوقِن بالوقوف بين يدَيْه والعَرْض عليه، ويَخشَى خشيةَ مَن يَعلَم أنَّ الله مُطَّلِعٌ عليه، ويَراه في كلِّ مكان، وفي سائر الزمان، وأنَّه يجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويَجزِي الذين أحسنوا بالحسنى.

أيها المسلمون:

إنَّ التقيَّ يتميَّز من بين سائر الناس بهجْر فاحِش القول من السبَاب والشَّتائم، والكذب والإفك، والغِيبة والنَّمِيمة، والخصومة والمِراء والجدل، ويتجنَّب كذلك الغشَّ والنميمة والزُّور والبهت، والغدر ونقض العهود، وظلْم الناس وأكْل أموالهم بالباطل، وهتْك أعراضهم وانتِهاك حرماتهم؛ لأنَّه يَخاف عذاب الآخِرة: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: 103 - 105].

ولسان حال التقي يقول: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: 10 - 12].

أيُّها المؤمنون:

اتَّصِفُوا بالتقوى يحببكم الله ويَرضَى، ويجنبكم نارًا تلظَّى، لا يَصلاها إلاَّ الأشقى، ويجعَلُكم من أهل الدرجات العُلا، جنَّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وذلك جزاء مَن تزكَّى.

فالمتَّقون يُوَحِّدون الله، ويُحافِظون على الصلاة، ولا يَبخَلون بالزكاة، ويَصُومون ويَحُجُّون؛ رغبةً في تكفِير الذنوب وستْر العُيُوب، وطَمَعًا في عفْو ورحمة علاَّم الغيوب.

والمتَّقون لا يَأكُلون الرِّبا، ولا يستَحِلُّون الرِّشا، ولا يستمِعون الغِناء، ولا يتنكَّبون عن طريق الهدى، وهم أيضًا يفشون السلام، ويُطعِمون الطعام، ويَصِلون الأرحام، ويُصَلُّون بالليل والنَّاس نِيام؛ طمعًا في دخول الجنَّة دار السلام بسلام، والمتَّقون يأمُرون بالمعروف وينهَوْن عن المنكر، ويُخلِصون النَّصِيحة، ويَتواصَون بالحق والمرحَمة، ويُحِبُّون لإخوانهم في الله من الخير ما يُحِبُّون لأنفسهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9].

ويُؤثِرون طاعة الله ورسوله على طاعة أيِّ أحدٍ من الخلق، وهم أيضًا كما وصَفَهم الله بقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 54].

ومن صفات أهل التقوى أنهم لا يستهِينون بصغيرةٍ من المعاصي، ولا يجترِئون على كبيرة، ولا يُصِرُّون على خطيئة وهم يعملون؛ قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 135].

فاتَّقُوا الله أيها المؤمنون، وابتَغُوا إليه الوسيلة لعلَّكم تُفلِحون، واشكُرُوا نعمة الله عليكم إنْ كنتم إيَّاه تعبُدون: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ * وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: 113 - 114].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

ضرورة الثبات على الحق، والحذر مما عليه أكثر الخلق

الحمد لله الكبير المتعال، أحمَدُه وأشكره فهو مستحقٌّ للحمد والشكر واجبٌ له على كل حال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمد عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومَن سلَك سبيله إلى يوم الدين.

أمَّا بعد؛ فيا أيها الناس:

اتَّقوا الله - تعالى - وأطِيعُوه، واشكُرُوا له ولا تعصُوه، وراقِبُوه - تعالى - واحذَرُوه، واعلَمُوا أنَّ من أعظم خِصال المسلم الحق وأجَلِّ مميزاته الثَّبات على دينه، والمحافَظَة على أخلاق نبيِّه محمد ﷺ دون أيِّ تذبذب فيه أو انحِراف عنه لشبهةٍ عارضة، أو شهوةٍ جامحة، أو فتنة بين الناس شائعة، فإنَّ التذبذُبَ بين الحق والباطل وترْك السنة الثابتة بعد التخلُّق بها - ليس من شأن أهل الإيمان، بل هو من شأن ذوي النِّفاق والكفران، الموصوفين في مُحكَم القرآن، بالتناقُض بين الأقوال والأعمال، والتقلُّب في المسالك في سائر الأحوال؛ قال - تعالى-: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: 11].

وقال - سبحانه -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: 10 - 11].

أمَّا المؤمن الحق فإنَّه يكون مغتبطًا بإيمانه بالله، محقِّقًا لعبوديَّته لله، متشرِّفًا بالانتِساب لدينه، والاتِّباع لنبيِّه ﷺ فيظل على الدوام معتدًّا بإيمانه وعقيدته، معتزًّا بشخصيَّته ورأيه، لا يَنقاد لهوى باطل من قِبَل نفسه، ولا يُتابع غيرَه على خطأ، ولا يَرضَى بأيِّ خطَّة لا تُستَمدُّ من كتاب الله - تعالى - وهدْي نبيِّه ﷺ لعلمه أنَّ للناس أهواءً وغايات، وللبشر أخطاء ونزوات، وليس لذي لُبٍّ سليم أنْ يتابع الناسَ على أخطائهم، أو يُجارِيهم على أهوائهم، بل لا بُدَّ من طلَب البيِّنة على الدعوى، والحجَّة على المذهب؛ يقول - تعالى-: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 111]؛ أي: على صدق دعواكم أنَّه لن يدخل الجنة سواكم.

ويقول - سبحانه - فيمَن حرَّموا ما أحلَّ الله: ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام:

143]؛ أي: فيما ذهبتم إليه وشرعتموه لأتْباعكم من ضُلاَّل البشر أشباه الأنعام.

أيها المسلمون:

رُوِي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: ((ومَن أعطى الذلَّة من نفسه طائعًا غير مكرهٍ فليس منَّا))، وفي ذلك الوعيدُ الشديد والتهديد الأكيد لِمَن ألقى قيادَتَه لغيره ممَّن لم تُكتَب له العصمة، ورضي بتقليده وتبعيَّته له في كلِّ ما يتَّجِه إليه، فإنَّ ذلك هو الإمَّعة الذي يَرضَى بالتبعيَّة والذلَّة والهوان، ويُسلِم قيادته لشِرار بني الإنسان، وفي الأثر: ((لا يكن أحدكم إمَّعة؛ يقول: أنا مع الناس، إنْ أحسَنَ الناس أحسنتُ، وإنْ أساؤوا أسأتُ، ولكنْ وَطِّنوا أنفسَكم إنْ أحسَنَ الناس أنْ تُحسِنوا، وإنْ أساؤوا أنْ تجتَنِبوا إساءتهم)).

فالمؤمن ينبغي أنْ يكون صلبًا في دينه معتزًّا بنفسه، مستقبلًا برأيه، ويكون في ذلك كلِّه على هدًى من كتاب الله - تعالى - وسنَّة نبيِّه ﷺ حتى لا يقع في شططٍ أو جور، أو يرتَدِي رداءَ العظَمَة والكبر، فيُصبِح من الهالكين الخاسِرين، بل يكون في سائر أحواله مؤمنًا قويًّا؛ فالمؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، وإنما تتحقَّق القوَّة في اتِّباع الحق والشجاعة في لزوم الثبات عليه، ولو جانَبَه سائر الخلق، فلا يقبل الذلَّة في دينه، ولا المداهَنة في عقيدته، ولا المساوَمة على أخلاقه وقيَمِه، بل يُلازِم الحقَّ في كلِّ حال، ويُحارِب الباطل وأهل الضلال، ويردُّ الباطل على ما جاء به من الناس كائنًا مَن كان.

أيُّها المسلمون:

المؤمن الحقُّ هو الذي يدعو الناس إلى الخير ويَسبِقهم إليه، ويأمُرُهم بالمعروف ويكون أشدَّ التزامًا به، ويَنهاهم عن المنكر ويكون أعظمهم بعدًا عنه، ويحب للناس من الخير ما يحبُّه لنفسه؛ فيتَّفِق قوله وفعله على الخير، ويَشهَد ظاهره لباطنه على الاستقامة؛ فيجمع بين صَلاح السَّريرَة وجمال السِّيرة، والناس شُهَداء الله في أرضه، مَن أثنَوْا عليه بخيرٍ وجبت له الجنَّة، ومَن أثنَوْا عليه بشرٍّ وجبَتْ له النار، وإنما يتحقَّق النَّبأ ويَصدُق الثناء يومَ الموت، فيوم الجنائز هو يوم الشهادة الصادقة في الدنيا للشخص أو عليه، ويوم القيامة هو يوم الجوائز، ففريقٌ جائزته تسرُّه وتُرضِيه، وآخر جائزته تَسُوءُه وتُخزِيه، فرَّقت بينهم الأقوال، وتَبايَنوا في الفعال والأحوال، وعلى قدْر نيَّاتهم وسعيهم النَّوال، ولهذا أمَرَ الله - سبحانه - بملازمة الإيمان والتقوى، واستِمرار الاستمساك بالعروة الوُثقَى، وأخبَرَ ﷺ أنَّ: ((مَن مات على عمَلٍ

بُعِثَ عليه))، فليُلازِمِ السعيدُ الإيمانَ، وليتَّصِف بصفات عِباد الرحمن، وليَحذَر الكفر والفُسُوق والعِصيان، وليُجانِب أهل النِّفاق والكذب والبُهتان.

فاتَّقُوا الله عِباد الله وأنيبوا إليه، واثبتوا على الإيمان، وكونوا أقوياء فيه، وتخلَّقوا بأوصاف أهل التقوى والإحسان، وما أكثرها في القرآن، وحافِظُوا على سنَّة نبيِّكم ﷺ فإنها نجاةٌ لكم من الضلالة والهَلَكَة وفتنة كلِّ فتَّان، وليكن لكم من انقضاء الأيَّام وتصرُّم العمر حافز لِمُلازَمة الحق والعض عليه بالنواجِذ، ونذير لتدارُك الخطأ واستِصلاح الفاسد وإقامة العوج، فاليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل؛ ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 94].

نفعَنِي اله وإيَّاكم بهدي كتابه، وجعَلَنا من خاصَّة أوليائه وأحبابه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتَّقِين، ولا عدوان إلاَّ على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخِرين، وقيُّوم السماوات والأرضين، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين، والناصح المبين، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحابه أجمعين.

أمَّا بعد؛ فيا أيها الناس:

اتقوا الله - تعالى - حقَّ التقوى، واستَمسِكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واعلَموا أنَّ من الدين والنهج الذي ينبَغِي أنْ يكون عليه مسلك أولي النهى - البعدَ عن المعاصي، والتعاون على محاربة الفساد وقمْع المفسِدين، والقضاء على كلِّ داعيةٍ إلى ضلال أو متزعِّم لفتنةٍ أو مبتغٍ في الإسلام سنةً جاهليَّة؛ ليُحقِّق الله - تعالى - للمسلمين وعدَه الكريم بالنصر والتَّمكِين بقوله المبين: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: 51]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47]، وقوله: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 7].

وإنَّ الفرص يا عباد الله ما برحت مواتية، فإنَّ النكبات التي جرعت المسلمين الغصص وألبسَتْهم ثوب العار إنما كانت نتيجةً لإعراضهم عن شرْع الله، وجرأتهم على معصية وارتِكاب محارِمه؛ وهذا ممَّا يُضاعِف المسؤوليَّة ويُحَتِّم الواجب، فمَن لم يهتمَّ بأمر المسلمين فليس منهم، فعلى الجميعِ التعاونُ على البرِّ والتقوى، ونبذ الهوى، واتِّباع الهدى، والعاقبة للمتقين.

واعلَمُوا عبادَ الله أنَّنا في زمنٍ جَرَتْ فيه أمور، وحدَثَتْ فيه حوادث أقَضَّت المضاجِع، ينبغي أنْ يأخذ منها المسلمون العبرة، وأنْ يعوا الدرس قبل أنْ يُصابوا بأنفسهم بشديد النَّوازِل وعظيم المصائب، فعلى اللبيب الفَطِن أنْ يُحاسِب نفسه على ما سلَف من عمله، ويستَزِيد من الخير، ويجدِّد التوبة، ويُلازِم الاستغفار، ويَسعَى في استصلاح الحال والمآل؛ فإنَّ ذلك من أسباب دفْع البلاء وصرْف العذاب، فإنَّه ما نزَل بلاءٌ إلا بذنب، ولا رُفِع إلا بتوبة، والمجتمع الرشيد هو الذي تَتضافَر جهودُ أفرادِه على استِصلاح ما فسَد من أمره، والأخْذ على أيدي الخارجين فيه على شريعة العدل، وكم في المجتمع اليومَ من مظاهر التفريط وبراهين التقصير.

فخُلطة الرجل بالمرأة الأجنبيَّة في بيته، أو دخوله دارَ غيرِه من قريبٍ ونحوِه حالَ غيابه - من المنكَرات التي تُورِث فظيعَ العقوبات.

والسَّماح للنساء بمصاحبة الأجنبي، والخلوة به في السيَّارة عند الذهاب إلى المدرسة أو السوق ونحوهما - من مظاهر ضعْف الغيرة، والله - تعالى - غيور يَغار على حرماته حين تُنتَهك، وقبل ذلك وأعظم منه التخلُّف عن الصلوات في الجماعات في سائر أو بعض الأوقات، فذلكم زيغٌ عن الحق يصبح أهله عرضةً لأنْ يزيغ الله قلوبهم، ويسلبهم ما أعطاهم من النِّعَم، ونحو ذلك من الأخطاء الشائعة والمنكَرات الواقعة التي ينبَغِي للجميع أنْ يبتَعِدوا عنها.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: 201].

عباد الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

فاذكُروا الله العظيم الجليل يَذكُركم، واشكُروه على نعمه يزدْكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

(الحث على التمسك بالدين والبشارة بظهوره وعزة المسلمين وفشل كل دين سواه)

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستَغفِره، ونستهديه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا وسوء ظنوننا، ونسألُه - تبارك وتعالى - للجميع الهدى والسدادَ، والتوفيقَ لكلِّ خير في العاجلة ويومَ يقوم الأشهاد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، الذي رَضِي لنا الإسلام دينًا، وجعلنا بالتمسُّك به خير أمَّة أخرجت للناس، ونحن في الدنيا والآخرة الشُّهَداء على الناس.

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، المبعوث رحمةً للعالمين، وبشيرًا للمؤمنين، ونذيرًا للمُعرِضين المعانِدين، صلَّى وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه على هُداه، الذين يدعون مَن ضلَّ إلى الهدى، ويَصبِرون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب الله الموتى، ويُبَصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائهٍ قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطِلين، وتأويلَ الجاهلين، الذين عقَدُوا راية البدعة، وأطلَقُوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مُخالِفون للكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلَّمون بالمتشابِه من الكلام، ويخدعون جُهَّال الناس بما يُشبِّهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلِّين.

أمَّا بعد؛ فيا أيها الناس:

اتَّقوا الله - تعالى - كما أمَرَكم، وتمسَّكوا بالدين الذي اصطفَى لكم، وأخلِصُوا شكركم له كما اختاركم له.

أيها المسلمون:

إنَّ دين الإسلام هو الدين الحق الذي شرَّف الله به المسلمين: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

فهو الدين الحقُّ الذي كتَب الله له البقاء إلى آخِرِ الزمان، وحفِظَه - تعالى - من التبديل والزيادة والنقصان، وحكَم له بالظُّهور على سائر الأديان، ولو كَرِه المشركون والكافرون من أهل الكتاب وعبَدَة الأوثان؛ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: 8 - 9].

ووَعَد سبحانه أهلَه المتمسّكين به بالنصر والتمكين؛ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41].

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: 51].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: 55 - 56].

وإنَّ دينًا كتَب الله له الظهور ولأهله النصر والتَّمكين في الأرض لا بُدَّ أنْ يستعلي ويهَيمِن، وأنْ يُصبح أهله أهل القيادة والسيادة، فيملأ الأرض عدلًا كما مُلِئت جورًا، وأن يُحَرِّروا الناس من عبوديَّة المخلوقات من الأموات والجمادات والشهوات والطُّغاة، وأنْ يُوجِّهوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، الذي: ﴿فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر: 68].

﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 17].

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: 78].

أيها المسلمون:

اعرفوا حقيقة دينكم وتفقَّهوا فيه، وتمسَّكوا به واثبتوا عليه، واغتَبِطوا به وحافظوا عليه، ولا يهولنَّكم إرجاف المرجفين ووَعيد المتسلِّطين ممَّن طغَى وبغَى وجانَب الحق والهُدَى، ولا يفتننَّكم زخرف المبطِلين وتشبيه المشبِّهين ممَّن آثَر الدنيا على الأخرى، وانحَرَف من بعد ما تبيَّن له الهدى، وناب عن الشيطان في الدعوة إلى سبل الرَّدى، فلقد كان لكم في سلفكم الصالح خيرُ مثالٍ يُحتَذَى؛ في الثَّبات على الحق، والتمسُّك بالدين عن إخلاص وصدق،

والحذر من مكائد المغضوب عليهم والضالِّين، ومؤامرات المنافقين والمبتدعين، وتلبيس أئمَّة السوء المفتونين، فعَصَم الله السلف من الضَّلالة، وسلَّمَهم من الغواية، ونَجَّاهم من الفتنة، وأنقَذَهم من الهلَكَة.

وإنَّ مَن يتأمَّل تاريخ الإسلام الطويل في سائر الأعصار وشتَّى الأمصار، لَيتَجلَّى له حفْظ الله للإسلام، وصِدْق وعده ببقائه وظهوره على سائر الأديان، وتحقيق وعْد الله جلَّت قدرته للمؤمنين بالعز والتَّمكين، والنصر المبين على سائر أعداء الدين، مهما كانوا عليه من قلَّة العدد وضعْف العُدد، ومهما كان عليه أعداء الدين من كثْرة في العَدد وقوَّة في العُدد، وإنَّ ذلك ممَّا يبعد خواطر التشاؤم عن القلوب، ويَبعَث على التفاؤل بتمكُّن الإسلام في القلوب، وضرورة غلبته وظهوره وهَيْمَنته على سائر الأمم والشُّعوب.

وفي الحديث الصحيح عن النبيِّ ﷺ قال: ((ليبلغنَّ هذا الدين ما بلَغ الليل والنهار))، وقال ﷺ: ((إنَّ هذا الدين لا يترُك بيتَ مَدَرٍ - أي: طين - ولا وَبَرٍ - أي: غزل - إلاَّ دخلَه، بعزِّ عزيز وذلِّ ذليل)).

وبشَّر ﷺ بانتصار المسلمين على اليهود والرُّوم آخِر الزمان، وبفتح روما عاصمة الفاتيكان؛ ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 6]، ((وإنَّ الله ليُؤيِّد هذا الدينَ بالرجل الفاجر)).

أيُّها المؤمنون:

إنَّ هذا القرن المبارَك - إنْ شاء الله - من قرون الظُّهور والغلَبَة للدين والعز والتَّمكين والنصر للمسلمين، فلقد مضى عُشرُه مشتملًا على أحداث ذات عِبَرٍ، وحاملًا لبشائر بعد النذر، تُنبِئ عن مستقبل مُشرِق للإسلام، وهزائم مُنكَرَة للمنافقين وأهل الكتاب والكَفَرَة أشباه الأنعام، فلقد ظهَر خلال السنوات الماضية فشَل الإلحاد، وأعلَنَ أهل إفلاسهم على رؤوس الأشهاد، وتلك خَسارة الدنيا، وخَسارة الآخِرة أعظمُ لِمَن لم يعد إلى سبيل الرَّشاد، ولقد تهاوَتْ فيه عُرُوش الطُّغاة الظَّلَمَة الذين طغَوْا في البلاد، واضطهدوا العِباد، وأكثَرُوا في الأرض الفساد، أخَذَهم الله على حين غرَّة، وجعَلَهم لأمثالهم والمعتَبِرين بهم عِبرَة، ومَن بَقِي فإنما أمهَلَه الله ليأخذ ممَّا أصاب أسلافه دِراسة، وليستَكمِل أنفاسه، وليستَيقِن خيبته وخسارته وإفلاسه، فإنَّ الله ليُملِي للظالم حتى إذا أخَذَه لم يُفلِته؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾

[الفجر: 14].

أيها المسلمون:

ومن العبرة الظاهرة ودَلائل قدرة الله الباهرة أنَّ الإسلام والمسلمين يَتآمَر عليهم أعداؤهم من كلِّ جهة، ويتنادَوْن عليهم من كلِّ صوب، تُسخَّر في حربهم عظيمُ الميزانيَّات، وتُحشَد عليهم أصناف الجيوش والقوَّات، وتكفلهم بدراسة أحوالهم وتنظيم خطط القضاء عليهم عريقُ المؤسَّسات، وتسلط عليهم ظلَمَة الحكَّام، ويصدر في حقِّ الدُّعاة إلى الله والمرشِدين لعباده أقسى الأحكام من التعذيب والإعدام، ويُكال أنواع السبِّ والشتْم والاتِّهام، ومع ذلك - ولله الحمد - لا يَزداد الإسلام إلا تمكُّنًا من القلوب، وتغلغلًا في الشُّعوب، وانتِشارًا في الأوطان، وظهورًا على الأديان، ولا يزداد أهلُه إلا إقبالًا عليه ورغبةً فيه، والتِزامًا به وجِهادًا من أجله، وصَدَق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: 36 - 37].

فمع جُهود أعداء الإسلام الجبَّارة لحرب الإسلام وكثْرة مُؤامَراتهم ومُؤتَمراتهم على أهله على الدَّوام، فإنَّ الصَّحوة في المسلِمين قد عمَّت الآفاق، وأغاظَتْ - بحمد الله - الكافرين وأهل النِّفاق، فثِقُوا عبادَ الله بوعْدِ الله بالنصر للإسلام والمسلمين، واستَقِيموا على الإسلام وادعوا إليه، ودافِعُوا عنه، تكونوا من أولياء الله المتَّقِين وأحبابه المؤمنين وجنده الغالبين؛ ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: 38].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: 54 - 55].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعَنا جميعًا بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستَغفِروه يَغفِر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(الغبطة بالدين والحذر من كيد المفسدين)

إنَّ الحمد لله، نحمَده ونستَعِينُه، ونستَغفِره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا.

أمَّا بعد؛ فيا أيها الناس:

اتَّقوا الله - تعالى - حقَّ التقوى، واستَمسِكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واحذَرُوا الذنوب فإنها تُورث العَمَى، وتجلب الرَّدَى، وتَذَكَّروا أنَّ الله - تعالى - اصطَفَى لكم الدين وسمَّاكم المسلِمين، ومَيَّزكم بذلك بين العالمين، وجعَلَكم به خيرَ أمَّة أُخرِجت للناس، تهدونهم إلى الحقِّ الذي ليس به التِباس، وجعَلَكم أهلَ القرآن، وشرَّفكم باتِّباع محمد ﷺ أوَّل مَن يستَفتِح أبواب الجنان، وضاعَف أجورَكم على صالِح العمل، ويومَ القيامة تُوفَّون سبعين أمَّة أنتم خيرُها وأكرَمُها على الله - عزَّ وجلَّ - فما أعظَمَ ما خصَّكم الله به من منَّة، كيف لا وأنتم شطرُ أهل الجنة؛ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 58].

أيها المسلمون:

إنَّ الإسلام دينٌ كاملٌ، وشرعٌ شاملٌ، محيطٌ بمصالح الأنام، ومشتملٌ على عظيم الحِكَم وجليِّ الأحكام، مبنيٌّ على اليسر ورفْع الحرَج، وللعبد فيه عند كُلِّ ضائقةٍ فرج، تدور أحكامُه على تحصيل المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتعطيلها، فهو دين الفطرة والحنيفيَّة السمحة، برَّأه الله من الآصار والأغلال، وجعَلَه الشرعَ الخالد حتى يُؤذَن لهذه الدنيا بالزَّوال، قد حفِظَه الله وكمَّلَه فلا يحتاج إلى زيادة ولا يَقبَل النقصان، ولا يتحقَّق للناس التمتُّع بالنِّعَم إلاَّ بالاستِقامة عليه في سائر الأزمان؛ يقول - سبحانه -: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: 3].

فهو طريق الاستِقامة ومِنهاج الكرامة، وأهلُه المستَمسِكون به هم الظاهرون المنصورون والأئمَّة إلى يوم القيامة؛ يقول ﷺ: ((لا تَزال طائفةٌ من أمَّتي على الحقِّ ظاهِرين))، ويقول -

تعالى -: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139].

أيها المسلمون:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]، ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: 83]، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

فتبًّا لعبدٍ لم يرضَ من الدين ما رضيه له ربُّه ومولاه، وما أخسر صفقته يومَ يقف بين يدَيْه مُعرِضًا عن هُداه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: 124 - 127].

فالإعراض عن ذكْر الله وترْك الاتِّباع لهداه يجلبُ على أهل الدنيا ضِيقَ المعيشة وعَمَى البصيرة، وفي الآخِرة العَمَى حقيقةً، وأنْ يُؤخَذوا إلى العذاب الباقي الشديد طريقه، فإنَّه دليلٌ على انتِفاء الإيمان، وعنوان الكفر بالرحمن؛ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: 68].

فليس لمؤمنٍ أنْ يختار غيرَ ما اختار الله له دينًا؛ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36].

أيُّها المسلمون:

لقد حذَّركم ربُّكم من الذين يتَّبعون الشهوات ويُثِيرون الشبهات، وكان الله بهم عليمًا؛ ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 27].

وإنَّ من الظواهر الخطيرة والمنكَرات الكبيرة أنْ يتفَوَّه بعضُ المفتونين في هذا الزمان، وفي مهبط الوحي ومأرز الإيمان، بتَسفيه مَسلَك المتديِّنين، والسُّخرية من عِباد الرحمن المهتَدِين، والتَّشكِيك فيما هم عليه من الحقِّ المبين، ويدعون الناس إليه ناصِحين مُخلِصين مُقتَدِين

بسَلَف هذه الأمَّة الصالِحِين.

إنها ظاهرةٌ مُنكَرة، وبادِرةٌ خَطِيرةٌ، تَنُمُّ عن استِخفاف المتفوِّهين بها دين الله واستِحقارهم لسنَّة محمد ﷺ رسول الله ومُصطَفاه، واستهزاء بصالِحِي عِباد الله، ورُكُون إلى الذين ظلَمُوا من شِرار خلْق الله، وقد قال الله – تعالى – لأسلافهم من المنافقين الهالكين: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: 65 – 66].

فلا ينبغي لمؤمنٍ بالله واليوم الآخِر أنْ يَرضَى بما هم عليه، ولا لمسؤولٍ يَخاف الله ويتَّقِيه أنْ يسكت عنهم، فلا يُؤاخِذهم بما تفوَّهوا به، فإنهم تارَةً يَزعُمون أنَّ ما يدعون الناس إليه من ضلالٍ لا يَتعارَض مع شرع ربِّ العالمين، وتارَةً يُشكِّكون العوام بأحكام الدين، وأخرى يستَهزِئون بسنَّةٍ من سنن سيِّد المرسَلين، وثالثة يَسخَرون من سلوك ومَظهَر المتديِّنين المستَقِيمين، تالله لقد آذوا الله ورسوله وعباده الصالحين؛ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 57 – 58].

فيا وَيْحَ مَن يؤيِّدهم أو يُجادِل عنهم؛ ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا * هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء: 108 – 109].

أيُّها المسلمون:

لو تتبَّعنا سيرَ أولئك المفتونين المفسدين لظهر لنا أنهم عاشوا فترةً في غير بلاد المسلمين، بل في بلادٍ يَظهَر فيها الخنا، ويُجاهَر فيها بالزنا، وتُعاقَر فيها الخمور، وتُرتَكب فيها عَظائِم الأمور، ويوفر فيها الفساد في كلِّ ناد، وتُحكَم بقوانين البشر، وتلك إحدى الكُبَر، وما للحماقة طب، وليس بعد الكفر ذنب، فشاهَدُوا وربما شاركوا في فاحش الفِعال، وغرقوا في حَضِيض تلك الأوحال إلى الأذقان، وتتلمَذُوا على شِرار بني الإنسان من مَلاحِدة أساطين شياطين اليهود والنَّصارَى، الذين تمكَّنوا من قلوبهم، فصاروا في حبِّهم مجانين سَكارَى؛ إذا تربَّوا في أحضانهم، وارتَضَعُوا خبيثَ لبانهم، وتشبَّعوا بعَظِيم ضلالهم، وتلقَّفُوا عنهم عظيمَ إفكهم وبهتانهم، وكلُّ إناء بما فيه ينضَح.

فلهؤلاء الهَلكَى هناك في كثيرٍ من المناسبات آهات، ولهم في أوطاننا بعد مجيئهم هنات، يَتمنَّون الفساد، ويُخَطِّطون للإفساد، وتَفُوح من أفواههم روائح الإلحاد، يُفكِّر أحدهم كيف يجلب لوطنه الفساد برمَّته، وما الحيلة التي يُورِدها لإقناع أمَّته، وقد شرعوا الآن ولا شَكَّ في إفساد المجتمع، وهم يَسِيرون على خطٍّ مرسوم، ومنهج تلقَّوه من شياطينهم معلوم؛ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 112 - 113].

فوَصَف - سبحانه - هؤلاء المفسِدين بأنهم شياطين، وأنهم يَتعاوَنون على نشْر باطلهم مُتواطِئين، وهذا هو واقِعُهم؛ فإنهم يَتعاوَنون على نشْر الفساد وتَضلِيل العباد، فلهم في كلِّ جهةٍ فُوَيسِقات ينشرن الفساد، وشيطان يشرف على الإفساد، يُرِيدون من المجتمع أنْ يتنكَّر لدعوة أهل الغيرة الناصحين المخلِصين، وأنْ يتحلَّل من الدِّين، وأنْ يتجرَّد من أخلاق النبيِّين وأتباعهم من المؤمنين، وأنْ يَأخُذ بما عليه اليهود المفسِدون والنَّصارى الضالُّون وأذنابهم من الملاحدة والمنافقين، وسلاحهم في ذلك زخرفُ القول وخبيث الفعل، يلبسون الحقَّ بالباطل، ويُشكِّكون بما عليه سلَفُنا الأوائل، وأخبر - سبحانه - أنَّه لا يصغي إلى أقوالهم، ولا يقبل خبيث أفعالهم إلا الذين لا يُؤمِنون بالآخرة، فيؤثرون متاع الدنيا الحاضرة.

فاحذَرُوا عِبادَ الله من الإصغاء إليهم والافتتان بهم؛ فإنهم جنودُ الدجال وجُيوش الضُّلاَّل، وهم في زمانكم كثير والخطر عليكم منهم كبير، فانأوا عنهم ولا تأتوهم، وتعوَّذوا بالله من فتنتهم؛ ففي الحديث عن النبيِّ ﷺ قال: ((يا أبا ذر، هل تعوَّذت - أو قال: تعوَّذ بالله - من شياطين الإنس والجن))، وهو حديثٌ قال فيه الحافظ ابن كثير: له طرقٌ مجموعُها يفيد قوَّته وصحَّته.

أيُّها المسلمون:

لقد جاء وصْف هذا الصِّنف المفسِد من الناس في القرآن والسنَّة بما يبيِّن خطر فتنته وعظم شبهته، فمن ذلك قوله - سبحانه - فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: 4]، وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة: 11- 12]، وقوله: ﴿ثُمَّ

جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: 62 - 63]، وقوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: 30]؛ أي: فيما يَبدُو من كلامهم الدالِّ على مَقاصِدهم، يعرضون بتَقبيح ما عليه المسلمون.

ولقد رُوِي عن النبيِّ ﷺ أنَّه خافَ على أمَّته المنافق عليم اللسان، وحذَّر من أقوامٍ مفتونين، يلبسون للناس مُسُوح الضأن من اللين وقلوبُهم قلوبُ الشياطين: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 167].

وأنَّه في آخِرِ الزمان يَسُود الناس أراذلهم، ويتَصَدَّرهم شِرارهم، ويَنطِق الرُّوَيبِضَة في الأمور العامَّة.

وجاء في الصحيح عنه ﷺ الإخبارُ عن نزْع الأمانة - أي: الإيمان - من القلوب حتى يُقال للرجل: ما أجلده، ما أظرفه، ما أعقله، وما في قلبه مثقال حبَّة خردلٍ من إيمان، فقد وقَع والله شيءٌ من ذلك؛ حيث تصدَّر الفسَقَة، وتولَّى السفلة أمورَ العامَّة، واؤتُمِن الفجَرَة الخوَنَة على الأعراض والأموال، وكم في دنيا الناس اليوم ممَّن يتولَّى الصَّدارة ويحتلُّ مَوقِع الإشارة من أمثال المفتونين المفسِدين ممَّن يُوصَف بالظرافة واللباقة في جسمه ومنظره، والعقل في رأيه وتدبيره، والجلادة في إدارته وعمله؛ وظاهره وفلتات لسانه وسيرته وحاله يدلُّ على أنَّه ليس في قلبه مثقالُ حبَّةٍ من خردل من إيمان، بل هو عدوٌّ للمجتمع المسلم، متربِّصٌ ومفتون ومهووس بأعداء الإسلام.

أيُّها المسلمون:

إنَّ هذا الصِّنف المفسِد من الناس يُريدون أنْ يصبح الإسلام دينًا اختياريًّا وأدبًا سمحًا مع أهوائهم، فلا يَتعارَض مع هوى ضالٍّ يتبعونه، أو مبدأ هدَّام يَنشُرونه، أو شهوة محرَّمة يتمتَّعون بها، أو غاية فاسدة يهدفون إليها، يُريدون إسلامًا لا ولاء فيه لمؤمن، ولا براء فيه من كافر أو مُتزندِق، ولا التزام فيه بشعيرة، ولا تَعظِيم فيه لحرمة، ولا التزام فيه بفضيلة، ولا حذر فيه من رذيلة، يُريدون إسلامًا تُباع فيه الفضيلة بأبخَسِ الأثمان، وكل ذي مروءةٍ وأنفَةٍ يُهان، وأنْ يُصبِح المسلمون أذلَّة لأهل الكتاب وعبَدَة الأوثان، تُستَعاض فيه الدِّياثة بالغيرة، والمهانة بالكَرامة، فذلك في نظرهم رقي وتجديد وتقدُّم وتطوُّر، فما يُوجَد في بلاد الكفر من خَلاعةٍ

وتهتُّك، واستِهتار وعري، وإباحيَّة وزندقة - هو في نظرهم مِيزان الحضارة، وبراهين التقدُّم، ومعالم التطوُّر، أولئك هم الأخسَرُون أعمالًا: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: 104].

أيها المؤمنين:

الحذرَ الحذرَ من كيْد المفسِدين وفتنة المبطِلين، والنَّجاةَ النَّجاةَ بأنفُسِكم وذَوِيكم من هذا الكيْد المدبَّر والإفساد المخطَّط، وإيَّاكم إيَّاكم أنْ تنخَدِعوا بزخرف المبطِلين وشُبهات المشَبِّهين من دُعاة الفساد، والمخرِّبين في البلاد، فإنَّ الخسارة كبيرة، والمصيبة عظيمة، إنها فساد الدِّين وتَدمِير الأخلاق، وبذلك تَذهَب الدنيا والآخرة، ويتحقَّق شَقاء الأبد وشؤم المنقَلَب، إنهم يهدفون إلى أنْ يستَدرِجوكم عن دينكم ويُزَحزحوكم عن عقيدتكم ومبادئكم، ويُفسِدوا عليكم أخلاقَكم وقِيَمَكم بشتَّى أنواع الحِيَل، من زخرف القول ومُجُون الفعل، والوَسائِل المغرِيَة والمشكِلات المشغِلة، ويأتونكم من بين أيديكم ومن خلفكم، وعن أيمانكم وعن شمائلكم؛ لتُصبِحوا كافِرين لا شاكِرين، ومُنحرِفين لا مستقِيمين.

فاستَمسِكوا بالحق الذي أنتم عليه، واحمدوا ربكم إذ هداكم إليه، ولا تستَمِعوا للمُبطِلين فيصدوكم عنه، أو يفتنوكم فيه، فقد أفلَحَ عبدٌ أطاعَ مولاه، واستَمسَك بالدين الذي له ارتَضاه، حتى لقي الله على الحق غير مفتون؛ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعَنا جميعًا بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم.

أقول قولي هذا، وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستَغفِروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(التحذير من السفر إلى بلاد الكفار)

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتَّقِين، ولا عُدوان إلاَّ على الظالمين، أحمده - سبحانه - أنْ هَدانا لهذا الدين، فجعَلَنا مسلمين، ومَن يبتَغِ غيرَ الإسلام دينًا فلن يُقبَل منه وهو في الآخِرة من الخاسرين، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، إله الأوَّلين والآخِرين، وقيُّوم السماوات والأرضين، له الأسماء الحُسنَى والصِّفات العُليَا، ولا يَخفَى عليه ولا يُعجِزه شيءٌ في الأرض ولا في السَّماء، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله، ومُصطفَاه وخليله، وخِيرَتُه من خلقه، وصَفَه ربُّه بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه وأتْباعه على سنَّته بإحسانٍ إلى يوم يُبعثون.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناس:

اخشوا ربَّكم واتَّقوه، وخافُوه لا تعصُوه، واذكُروا نِعمَه عليكم واشكُروه؛ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

فاشكُرُوا الله ولا تكونوا ممَّن قال الله فيهم: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: 83]، فإنَّ كُفرَ النِّعَم من أسباب النِّقَم، وهو مُتحقِّق بجحودها ونسبتها إلى غير مُوليها، والاستِهانة بها ووضعها في غير مَواضِعها اللائقة بها، وتعريضها لأسباب زوالها وتَبديلها بأضدادها من أصناف المِحَن وألوان النِّقَم؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 53].

أيُّها المسلمون:

إنَّ الله - تعالى - قد خَصَّ أمَّة محمد ﷺ بنِعَمٍ كثيرة عظيمة، ومزايا فريدةٍ كريمة، فأكمَلَ لها دينها، وأتَمَّ عليها نعمَتَه، ورَضِيَ لها الإسلامَ دينًا، وسمَّاهم المسلمين، وخَصَّها بمحمدٍ خاتم الأنبياء والمرسلين، وخير خلق الله أجمَعِين، وأنزَلَ عليه القرآن مُصَدِّقًا لما بين يديه من الكتاب ومُهيمنًا عليه، وتبيانًا لكلِّ شيء، وحَفِظَه من الباطل فلا يَأتِيه من بين يديه ولا من خلفه، وجعَلَه هدًى ورحمةً وبشرى للمسلمين.

وجعَلَ هذه الأمَّة خيرَ أمَّةٍ أُخرِجت للناس، تأمُر بالمعروف، وتَنهَى عن المنكر، وتُؤمِن بالله،

وجعلَها أمَّة وسَطًا شهيدةً على الناس في الدنيا والآخرة بما جاءَها من ربها - سبحانه - على لسان نبيِّها ﷺ تَشهَد على تبليغ الرسل - صلوات الله وسلامُه عليهم أجمعين - لأُمَمِهم رسالات الله ونصحهم لها، وكما أنَّ هذه الأمَّة خير الأُمَم في الدنيا فهي خيرُها وأكرَمُها على الله - عزَّ وجلَّ - يوم القيامة؛ فإنها توفي سبعين أمَّة يوم القيامة هي خيرُها وأكرمُها على الله - عزَّ وجلَّ - وهي أوَّل مَن يجوز الصراط ويدخُل الجنة، وهي أكثر أهلِ الجنَّة؛ إذ تبلُغ نصف أهل الجنة وتَزيد، بل يُرجَى أنْ يكونوا ثلثي أهل الجنَّة، فالحمد لله على جَزِيل عطائه وسابغ نعمائه.

معاشر المسلمين:

إنَّنا - أهلَ هذه البلاد - قد خَصَّنا الله - تعالى - بفضْلٍ منه ومنَّة من بين سائر مُجتَمَعات الأرض في الجملةِ بنِعَمٍ كبيرة عظيمة، ظاهرة وباطنة، وحُلَلٍ من الرَّخاء والعَطاء سابغة: مُعتَقَد صحيح، وعمل صالح، وسلوك قويم، وصحَّة في الأبدان، وأمن في الأوطان، ووَفْرَة في الأرزاق، وولاية نحسبها لا تألو جهدًا في تَحقِيق ما فيه خيرُنا وصلاحُنا في العاجل والآجل، والمعصوم مَن عصَمَه الله، والموَفَّق مَن وفَّقَه الله، والسَّعِيد مَن تاجَر بنِعَمِ الله مع الله؛ ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: 29 - 30]، فاغتَنِموا نِعَمَ الله فيما يُقَرِّب إليه، وسارِعُوا بها إلى ما يُرضِيه.

عبادَ الله:

إذا كانت الحال ما وصَفتُ، والنِّعَم ما إلى جُلِّها أشرتُ، فما بال أقوامٍ إذا سَنَحَتْ لهم الفُرَص، وتهيَّأت لهم النقلة فرُّوا من بِلاد النِّعَم إلى مَواطِن النِّقَم بأنفسهم ومَحارِمِهم وأموالهم، وربما أرسَلُوا سُفَهاءهم وغير ذوي الرشد منهم! يَخرُجون من بلاد التوحيد التي يَعلُو فيها الأذان، وتُقام فيها الجمعة والجماعة، ويُؤمَر فيها بالمعروف ويُنهَى فيها عن المنكر، وتُقام فيها الحدود والتعزيزات، ويُدعَى فيها إلى الخير من حيث الجملة، ولم يَظهَر فيها - بحمد الله - الزنا، ولم تُعلَن فيها الخمور، فيخرجون من هذه البلاد الآمِنة المطمئنَّة إلى بلادٍ يُحكَم فيها بالطاغوت، ويُعلَن فيها الزنا، وتُشرَب فيها الخمور، ويَخفَى فيها الأذان، ويُشاد فيها بالإلحاد، ويُنصَر الكفر، ويُهضَم الحق؛ بلاد تَمُوجُ بالفَساد وشر العباد من شتَّى مِلَل الكفْر، وأصناف أنواع الظُّلم، وأبشَع صُوَر الفجور والإجرام؛ حتى يعزَّ فيها أنْ يسمع الرجل مَن يَقول: ربِّي

الله، ومَن يُضلِل الله فما له من هاد، ومَن يهدِ الله فما له من مُضِلٍّ، إنَّ الله عزيز ذو انتقام.

أيها المسلمون:

إنَّ هذا الصِّنف من الناس قد خاطَر بعقيدته، واستَهان بحرماته، وفرَّط بدنياه وآخِرته، وحقيقة أمرِه أنَّه ما نقَم إلاَّ أنْ أغناه الله من فضله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]، ﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: 74].

كيف يُسافِر المرء بدون ضرورة إلى بلادٍ وصَف الله ذوي الشأن فيها بقوله - تعالى -: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: 105]، وقوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120]، وقوله - جلَّ شأنُه -: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 217]، وقوله - تبارك اسمُه -: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 118]، وقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: 89].

كيف يُلقِي مؤمنٌ عاقلٌ نفسَه في بلادٍ هذا شأنُ أهلِها مع المسلمين، ويَطمَع بالسلامة من ضرَر المقام فيها عليه في الدين؟!

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا ... إِنَّ السَّفِينَةَ لاَ تَجْرِي عَلَى اليَبَسِ

كيف يَبقَى بمَحارِمه والمراهقين من أبنائه في مَواطِن قد أشرعت فيها مَواخِير الزنا، وأترعت فيها حانات الخمور، وقد ألِفَ أهلُها العُرْيَ وتربَّوا على الفجور؟! ولكن حقًّا إنها لا تعمَى الأبصار ولكن تَعمَى القلوب التي في الصدور.

أيها الناس:

إنَّ الذين يُسافِرون إلى بلد الشرك بأنفسهم أو بأهليهم، أو يَأذَنُون لأحدٍ منهم بذلك، دون حاجةٍ شرعيَّة أو ضرورة حتميَّة، لا شكَّ أنَّهم قد غيَّروا ما بأنفُسِهم، فيُوشِك اللهُ أنْ يغيِّر عليهم نعمته، وقد زاغُوا عن أمْر الله، فيوشك الله أنْ يزيغ قلوبهم؛ قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾

[هود: 113].

ولا شكَّ أنَّ هؤلاء قد ظلَمُوا أنفسَهم، فماذا لو جاء أحدُهم الموت فتَوَفَّتْهم الملائكة ظالِمِي أنفُسِهم بالإقامة في بلد الشرك والكفر؛ قالوا: فيم كنتم؟ أي: في أيِّ بلد وفي أيِّ مجتمع؟ فهؤلاء على خطرٍ من آخِر الآية؛ قال - تعالى -: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 97].

ولقد تبرَّأ النبيُّ ﷺ من مسلمٍ يُقيم بين المشركين، فقال: ((أنا بريءٌ من مسلمٍ يُقيم بين المشركين لا تراءى ناراهما))، وبيَّن ﷺ أنَّ مثل هذا لا يَقبَل الله من عمله ما دام في تلك البلدان الكافرة، فقال ﷺ: ((لا يَقبَل الله من مسلمٍ عملًا بعدما أسلم أو يُزايِل المشركين))، وقال ﷺ: ((مَن جامَع المشرك - أي: اجتمَع به - أو ساكَنَه فهو مثلُه)).

فاتَّقوا الله أيُّها المسلمون؛ ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 24 - 25]، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 8]، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: 5].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعَنا جميعًا بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستَغفِروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

(خطبة الشيخ عبدالله القصير بمناسبة الأحداث هذه الأيام في عدد من الدول)

الحمد لله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، أحمده سبحانه وأشكره على نعم سابغة نرفل بها ممسين ومصبحين، وأسأله جل ذكره للجميع العصمة من مضلات الفتن في الدنيا والدين.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي جعل كتابه وسنة نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – منجاةً من الفتن وجُنةً من كيد كل عدوٍ ظهر أو بطن.

وأشهد أن محمداً – صلى الله عليه وسلم – عبدالله ورسوله الذي حظ أمته على القعود والنأي عن الفتن، والحذر من كل فتانٍ ومفتتن.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه على أحسن دين وأكملِ شرعة وخير سَنن.

أما بعد؛ فيا أيها الناس:

اتقوا الله تعالى حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، وتعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء، وسوء القضاء وشماتة الأعداء، فإنكم في زمن جهالة وفتنة، ودنيا مؤثَرَة، وهوى متبع، وتسلط من أعداء الأمة.

عباد الله:

ثبت عن نبيكم محمد – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((إن الله تعالى جعل عافية هذه الأمة في أولها وسيصيب آخرها فتن وأمور تنكرونها فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتوه إليه))، وأخبر – صلى الله عليه وسلم – عن فتن كقطع الليل المظلم يرقق بعضها بعضاً، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا، وذكر – صلى الله عليه وسلم – فتناً القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، أي كلما كان أضعف وأعجز فيها كان أخير وأفضل، كما أرشد – صلى الله عليه وسلم – من أراد النجاة من تلك الفتن بلزوم إمام – أي ولي أمر – المسلمين وجماعتهم، ولما قيل له فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة ؟ قال: فاعتزل تلك الفرق ولو أن تعض على أصل – أي جذع – شجرة، وأمر – صلى الله عليه وسلم – من حضر الفتن أن ينأى – أي يبعد –

عنها، ومن سمعها بأهلها فلا يأتيهم، وأخبر – صلى الله عليه وسلم – أن من يستشرف لتلك الفتن تستشرف له، وأن من يصغي لدعاتها يفتن بهم فيتبعهم فيهلك معهم بخسارة دينه ودنياه وآخرته، وتعرضه لعذاب ربه وسخطه ومقته.

أيها المسلمون:

ومما أثر من كلام السلف قول أحدهم: "الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها"...

وإنما يوقظ الفتن أحد ثلاثة:

إما جاهل بدين الله، أو ذو هوى، متقول على الله داع لهواه مضل لعباد الله، وأما الثالث فمنافق أفاك، لئيم حاقد سفاك، فالأول مشقٍ لنفسه ومن اتبعه، والثاني مفسد للدين الذي منّ الله به وشرعه، وقرن كل خير به ومعه، والثالث تارك للفرض مفسد في الأرض، ساعٍ إهلاك الحرث والنسل سيء الحظ، فجنايته كبيرة وخطرة، بالتعدي على حرمات المسلمين، وتغيير صورة الدين، والتمكين للأعداء المتربصين، ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾، والكل منهم ﴿إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾.

أيها المسلمون:

وقد ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قوله: ((لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ولا يدعو به من قبل أن يأتيه فإن كان لابد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي))، ذلكم عباد الله لأن تمني الموت أو الدعاء به – من أجل الضر من مرض شديد أو عيش جهيد أو تسلط ظالم عنيد أو حاكم ذي جور لا يزيد – مبناه على سوء الظن بالله أو التسخط لقدر الله، أو اعتقاد المتمني أو الداعي أن اختياره لنفسه أفضل أو أرحم من اختيار الله، وقد قال تعالى في مثل هؤلاء: (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية)، وقال سبحانه: ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين * فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾، وفي الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه))، وأخبر – صلى الله عليه وسلم – أن الله تعالى يقول: ((أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء))، يعني إن ظن بالله خيراً وجده وأثيب عليه دنياً وآخرة، وإن ظن بالله شراً

أهلك نفسه وباء بالصفقة الخاسرة في العاجلة والآجلة.

أيها المسلمون:

وإذا كان تمني الموت والدعاء به منهي عنه لشؤمه وسوء عاقبته على أهله، فإن مباشرة المرء العاقل لقتل نفسه بالشنق أو الحرق أو الطعن أو إلقائها من مبنى عالٍ ونحو ذلك من وسائل القتل والتخلص من ضيق الدنيا بغير القتل في الجهاد في سبيل الله أشنع جرماً وأكبر إثماً، كأولئك الذين ابتدعوا قتل نفوس حرقاً وشنقاً احتجاجاً على البطالة وضيق المعيشة، أو إشعالاً للثورة على الحكام والدول، فإن هذا القتل سفه ممن فعله وأعجب به، وسنة سيئة يبوء بإثمها ومن اتبعه عليها، وهو تعجيل بالنفس إلى النار وغضب الجبار، فقد قال تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ وقال سبحانه: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا﴾، وقال جل ذكره: ﴿إنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا﴾، وقال عز شانه: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما﴾، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة وأُصلي به جهنم مع الحسرة والندامة، ففي الصحيحين عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((من تحسى سماً فمات فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا، ومن تردى من جبل فمات فهو يتردى فيه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا، ومن وجأ بطنه – أي شقه – بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا))، وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إذا قتل العبد نفسه قال الله تعالى: عجل عبدي بنفسه إلي فله النار)) فمن عصى الله بشيء أو قتل به نفسه عذب به يوم القيامة.

معشر المسلمين:

وإنما يترتب هذا الوعيد الشديد والتهديد الأكيد على قتل النفس لأن قاتل نفسه جمع بين عدة كبائر موبقة وجرائم مهلكة؛ أولها: سوء الظن بالله، وثانيها: اليأس من روح الله، وثالثها: القنوط من رحمة الله، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾، ويقول: ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً﴾.

أمة الإسلام:

وإذا كان قتل الإنسان لنفسه جريمة غليظة العقوبة فإن إظهاره أمام الملأ أعظم جرماً وأكبر

إثماً فيعظم جرمه ويكبر إثمه ويغلظ عذابه لكونه سنّ سنة سيئة في الإسلام يتبع عليها، ويشوه الإسلام ويجعل أهله شماتة لأعداء الأمة المتربصين بها الدوائر، قال – صلى الله عليه وسلم – : ((من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من يعمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا))، وقال عليه الصلاة والسلام: ((لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول – يعني الذي قتل أخاه المذكور في سورة المائدة – كفل "أي نصيب" من دمها "أي وزر قتلها" لأنه أول من سن القتل))، ولذا قال – صلى الله عليه وسلم –: ((لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً)).

أمة الإسلام:

لا تغتروا بهؤلاء المحرقين لأنفسهم ولا بمن اتبعهم على ضلالهم فقتل نفسه بأية طريقة أو وسيلة، فإنهم مجرمون في حق أنفسهم وجانون على أمتهم ودين ربهم، قال تعالى: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر * يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر﴾.

(التحذير من مخالطة الكفار ومعاشرتهم)

الحمد لله الذي شرَّف الإسلام على سائر المِلَل، ونسَخ به جميع الشرائع والنِّحَل، وكبَت به أعداءَه أهلَ الضَّلالة والزَّلَل، أحمَدُه - سبحانه - على أنْ بعَث إلينا محمدًا عليه الصلاة والسلام، وهَدانا به إلى دين الإسلام، وفضَّلَنا به على سائر الأَنَام، وحرَّم علينا مُوالاة الكفَرَة من أهْل الكتاب وعبَدَة الأصنام.

وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الذي خَصَّ نفسَه بالعِزَّة ورسوله والمؤمنين، ووَعَد بالنَّصر والتَّمكِين مَن نصَر الدين، وتقرَّب إلى الله - تعالى - ببُغْضِ وعَداوَة الكافرين، وجعَلَ الذلَّة والهوان لِمَن خالَف أمرَه من العالمين.

وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله الذي أخبَرَ أنَّ الله لا يقبَلُ من مسلمٍ عملاً حتى يُفارِقَ المشركين، وتبرَّأ ﷺ من مسلمٍ يُقِيم بين ظَهرانيهم، فإيَّاكم وخلطة الكافرين.

اللهم صَلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه السابقين الأبرار، المنعُوتِين في الكتب السابقة بالتراحُم فيما بينهم والشدَّة على الكفَّار، **أمَّا بعد:**

فيا أيها المسلمون:

اتَّقوا الله مولاكم، واشكُرُوه على ما أوْلاكم، واذكُرُوه كما هَداكُم، واعلَمُوا أنَّ الله - تعالى - قد خلقَكُم لعبادته، وأمرَكُم بطاعته، ونهاكُم عن معصيته، وتوعَّدَكم على مشاقَّته، وافترَضَ عليكُم محبَّة ومُوالاة أوليائه، وبغْض وعداوة أعدائه، كما وصَف ربنا - سبحانه - أحبابه في قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: 54 - 56].

فأحبوا أهلَ الإسلام والإيمان، وآثروهم بما تبذلون من الخيرة والإحسان، ولا تُفضِّلوا عليهم الكفَرَة وعبَدَة الأوثان؛ فإنَّ ذلك ضلالٌ مبين، ومن أسباب الشَّقاء والهلاك في الدارين.

أيها المسلمون:

إنَّ من واسع فضْل الله عليكم، وعظيم إحسانه إليكم، وكريم برِّه ورأفته ورحمته بكم، وهو أرحَمُ الراحمين - أنْ حذَّرَكُم من عموم أعدائكم في الدين، من اليهود والنصارى والمشركين

وسائر الجاهليين، ونهاكم عن مودَّتهم وصلتهم، وأمركُم ببغضهم وعداوتهم، وألزَمَكم بقطيعتهم ومباعدتهم؛ كما قال - سبحانه -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: 1].

وذلك كلُّه من ملَّة أبيكم إبراهيم الذي أثنى الله عليه بها في كتابه العظيم، وجعلَها منهجًا لأتْباعه المؤمنين إلى يوم الدين؛ فملَّة إبراهيم - عليه السلام - هي: إخلاص الدين لله، والكفر بكلِّ معبودٍ سواه، والبراءة من كلِّ مَن يدعو غيرَ الله، ومبارزتهم بالعَداوَة والبَغضاء أبدًا حتى يؤمنوا بالله رب الأرض والسماء؛ قال - تعالى -: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ [الممتحنة: 4]، وقال - تعالى -: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ}﴾ [البقرة: 130].

فالمؤمن بالله لا يُوالي مَن حادَّ الله ولو كان أمَّه أو أباه، أو أخته أو أخاه؛ قال - تعالى -: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: 22].

وتوعَّد - سبحانه - مَن يتولَّى الكفار ويُدنيهم ويتلطَّف لهم؛ إيثارًا للقرابة أو المصاهَرة، أو حميَّة للعشيرة والقبيلة، أو طمعًا في التجارة والمتاع؛ فقال - سبحانه -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 23 - 24].

أيها المسلمون:

إنما نهانا الله عن مُوالاة الكافرين، ومُعاشرة الفاسقين، ومُخالَطة المشركين؛ لعلمه - سبحانه - بخبث ما انطوَتْ عليه سرائرُهم، وسوء ما أكنَّته ضمائرهم نحو المسلمين والمؤمنين من الحسد، وتدبير عظيم الكيد، فكَشَف لنا - سبحانه - ستْر هذه الطوائف التي هي شرُّ

الخلائق، وأظهر لنا ما اشتمَلَتْ عليه قلوبهم، وأَوْضَح لنا غاية مطلوبهم، وهو أنهم يَكرَهون لنا الخير، ويتربَّصون بنا الشر، ويحسدوننا على الهدى، ويتمنَّون لنا الرَّدى، ويُرِيدون أنْ نضلَّ السبيل فنكفُر كما كفَروا، ونخسر كما خسِرُوا، فهل بعد هذا البيان بيان؟ وما الحيلة فيمَن لم تشفه مواعظ القرآن؟

فاتَّقوا الله أيها المسلمون، واعلَموا أنَّ الله خبيرٌ بما تعمَلُون، وأنَّكم غدًا بين يدَيْه موقوفون، وتقرَّبوا إليه بمحبَّة المؤمنين، والنُّصح لهم في أمور الدنيا والدين، وإيثارهم بالنَّفع والإحسان والولاء دون أعداء الدين، وأروا الله من قلوبكم بُغْضَ الكافرين، وأَظهِروا عداوتهم والبَراءة منهم ما دامُوا عن دينكم مُعرِضين، وإيَّاكم والثقة فيهم؛ فإنهم الخونة الفجَّار، واحذروا معاشرتهم؛ فإنهم يدعونكم إلى النار، ولا تتَّخِذوا منهم بِطانةً؛ فما هم والله أهلاً للأمانة؛ يقول الله - تعالى -: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [هود: 113].

وقال - تعالى - مُبيِّنًا حالهم مع المسلمين: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: 2].

وقال - تعالى -: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: 118].

وقال - سبحانه -: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: 89].

وقال - تعالى -: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 217].

فأخبر ربُّنا - سبحانه - في محكم بيانه، وهو الصادق في قوله، اللطيف بعباده، عن حال الكفَرَة، وحذَّر من موالاتهم وخلطتهم، وبيَّن خطورتهم، ونبَّه على قبيح صفتهم، وكشَف ما انطوَتْ عليه نيَّتهم، وأخبر أنهم يُبَيِّتون الكيد العظيم لأهل الإسلام، ويمكُرون بهم على الدَّوام، ومَن كان هذا شأنه حرمت مودَّته ووجبَتْ عداوَتُه، ولزم بُغضُه وتعيَّن رفضُه، فإنهم بطانة شريرة خاسرة، تجلب على صاحبها البلاء والضرر في الدين والآخرة.

فاتَّقوا الله أيها المسلمون، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكم النار، وما لكم من دون الله

من أولياء ثم لا تُنصَرون، وتفكَّروا وأنتم في هذا المكان لتتجلَّى لكم من الواقع حقائقُ ما جاء بشأن أهل الكتاب وعبَدَة الأوثان من بيان القرآن، وتتذكَّروا عواقِبَ استِخدامهم وما جلب علينا من الشرور، وكم أفسَدُوا من أمور الناس في الأسواق والدور، أمَا أماتوا الغَيْرَة على الدين والعرض عند كثيرٍ من المسلمين؟ أمَا أضلُّوا مَن استَطاعُوا من إخواننا في الدين؟ وكم انتهَكُوا من الأعراض، ونشَرُوا من الأمراض، وكم من جريمةٍ ارتكَبُوها في وضح النهار، أمَا أزهَقُوا الأرواح البريئة، ونهبوا الأموال بحِيَلٍ جريئة؟ أمَا نشَرُوا في الأرض الفساد، وعموا بضررهم أصناف العِباد ونواحي البلاد؟ لقد نشَرُوا الخمور وروَّجوا المخدرات، وأسهَمُوا في ارتِفاع معدَّل الجريمة ونشْر الجنايات، وأنهكوا الاقتِصاد، وتسبَّبوا للتجارة بالكساد، وتجسَّسوا واطَّلعوا على أسرارٍ مهمَّات، وعرَفوا المداخل على الناس والعَوْرات، ومنهم الجيوش الاحتياطيَّة وعُمَلاء القُوَى الدوليَّة، فاحذَرُوهم تسلَمُوا، وابغضوهم وعادوهم تفلحوا، وقاتلوهم تُنصَروا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 24 - 25].

بارَك الله لي ولكم في القُرآن العظيم، ونفَعَنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستَغفِروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(مهمات من منهاج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الحكَّام)

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارَك على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه نصيحةٌ بشأن نازلةِ المظاهرات على الحُكَّام والحكومات، أذكُرها حفظًا للدِّين، ونصيحةً للمسلمين، وتحذيرًا من مكايد أعداء الملة وخصوم الأمَّة، وبيانًا لمناهج السلف الصالح من الأمَّة، المجتمعين على الكتاب والسُّنة، المخالفين لأهل الأهواء والبِدعة.

وأمَّا الحكَّام والحكومات: فمن كان منهم ناصرًا للدِّين، ورحيمًا بالمسلمين، وغائظًا لأعداء الدين، فإنَّ الله مبتليه وناصره ولو بعدَ حين؛ كما قال - تعالى -: عن موسى - عليه السلام - أنَّه قال لقومه: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: 51]، وقال - تعالى -: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 129]، ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 6].

وأما مَن خان الأمانة، وأفسد الدِّيانة، وغش الأمَّة، ومكَّن ومهد لأعداء الملة، فإنَّ الله منتقم منه ولا بد، إنْ عاجلاً أو آجلاً؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: 14]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 19].

وفي الصحيح عنِ النبي ﷺ قال: ((إنَّ الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذَه لم يُفلِته، ثم تلاَ قوله الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102])).

وممَّا يبيِّن خطورة فقْدِ المجتمع للحاكم العام، وما يترتب عليه من المفاسد التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى قدْرًا ونوعًا: ما أورده ابنُ أبي العز - رحمه الله - في شرح الطحاوية عن بعض السلف أنَّه قال: "ستون سَنَة بإمام ظالم خيرٌ مِن ليلة بلا إمام"

قلت: فكيف إذا كانت أسابيع وأشهرًا وسِنين؟!

ومما أُثر عن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قوله: "إمام غشوم - يعني: ظلوم - خير

مِن فتنة تدوم".

والتاريخ بدواوينه في سائرِ الأعوام والأماكن شاهدٌ أنه ما حرَّض أناس على حاكمهم وثاروا ونالوا منه، إلا فتحوا على أنفسهم مِن أنواع الشر والمصائب ما لم يكن يخطُر لأحدٍ منهم على بال، أو يدور له في خيال؛ لذا أحببت أن أُذكِّر بجمل وأصول مأثورة معلومة مِن منهاج السلف الصالح في التعامُل مع الحكاَّم، مهتدين بهَدْي الكتاب والسُّنة، ومتميِّزين به عن أهل الأهواء والبِدعة، وبناء على ما سبق فإني أُذكِّر بأمور:

الأول: كان السلف الصالح يُولُون أمر الولاية العامَّة اهتمامًا خاصًّا - لا سيَّما عند ظهور بوادر الفتن - نظرًا لما يترتَّب على الجهل به أو إغفاله، ومعصية الله - تعالى - بشأنه مِن الفساد العريض في الدِّين والعباد والبلاد، والانحراف عن سبيلِ أهل الرشاد، فكانوا يُبيِّنون السُّنة في التعامل مع الولاة، ويُحذِّرون من طرائق وتصرُّفات أهل الأهواء والبدع؛ لما فيها من الفتن والشر؛ لأنَّ أهل السنة والجماعة يرَوْن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما تُوجِبه الشريعة، خلافًا لأهل الأهواء والبدعة الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وَفْقَ أهوائهم وبدعهم، كالخوارج والمعتزلة والرافضة، وأشباههم من أهل الباطل.

الثاني: وجود الحاكِم العام صمامُ أمان للمجتمع، به يتوفَّر الأمن العام، ويندحر السُّرَّاق وقُطَّاع الطرق وأطماع الدول.

الثالث: أنَّ مِن أعظم نعم الله تعالى على خلقه عامَّة والمسلمين خاصَّة، أن أوجب عليهم تحقيقَ ما فطرَهم عليه من تولية وليِّ أمر - حاكم عام - يكون مرجعًا للأمة، ويرجع إليه، ويُصدر عنه في أمر الأمْن والخوف، ويكون رأسًا لوحدة الأمة، وسببًا في حفظ الهيبة، وتأمن به السبل، وينتظم به الأمر والأمن العام، ويُدفع به أهلُ الفِتنة والشر والفساد، إلى غير ذلك من المصالح الكاملة أو الراجحة.

قال عليٌّ - رضي الله عنه -: "إن الناس لا يُصلحهم إلا إمام - حاكم عام - بَرٌّ أو فاجر، فإن كان برًّا فللراعي والرعية، وإن كان فاجرًا عبَدَ فيه المؤمن ربَّه، وعمِل فيه الفاجر إلى أجله"، ويُروى عن أنس - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: ((إذا مررتَ ببلدة ليس فيها سلطان، فلا تدخلْها؛ إنما السلطان ظلُّ الله ورمحُه في الأرض)).

الرابع: أنَّ قيام الحاكم العام بمسؤولياته نحوَ الأمة من عظيم واجبات الدِّيانة، وأخصِّ أنواع

الأمانة، التي ينبغي أن يتقرَّبَ إلى الله تعالى بتحقيقها، وأن يتقيَه - سبحانه وتعالى - فيها بأداء أمانتها، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: 58].

وقال ﷺ: ((كُلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته...))، وقال ﷺ: ((اللهمَّ مَن وَلِي من أمور أمَّتي شيئًا فشقَّ عليهم فاشْقُقْ عليه، ومَن رَفَق بهم فارْفُقْ به))، وقال: ((ما مِن عبدٍ يسترعيه الله رعية فلم يَحُطْها بنصيحة إلا لم يجد رائحةَ الجنة))، فإن قام بواجبه فله وللمسلمين، وإن فرَّط في أمانته فالله محاسبُه ومجازيه بما يستحق، وهو سبحانه يتولَّى الصالحين.

الخامس: أنَّ تضييع الحاكم لأماناته، وتفريطه في مسؤولياته، لا يُبرِّر امتناع الأمة عن طاعته بالمعروف، ولا يسوِّغ لها عصيانه ومعارضته، فيجب على الأمة أن تطيع الحاكِمَ العام ونوَّابه بالمعروف، ولا تطيعه في المعصية، وأن تُعظم شأنه مِن غير غلو ولا جفاء؛ تعظيمًا لمنصبه، وحفظًا لهيبة الولاية، وقطعًا لأطماعِ أهل الشر والفِتنة فيه، وأن تصبر على أَثَرته وجَوْره؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59]، وقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: 91]، وقولِه ﷺ: ((أَدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخُنْ مَن خانك))، وقوله ﷺ: ((اسْمَعوا وأطيعوا - أي: للحكَّام - فإنَّما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم))، وقوله - عليه الصلاة والسلام -: ((على المرءِ المسلم السمعُ والطاعة فيما أحبَّ وكرِه ما لم يُؤمرْ بمعصية الله))، وقوله ﷺ: ((وإنْ ضرب ظهرك - يعني: السلطان أو الحاكم - وأخَذَ مالك، فاسمع وأطِع))، وكان ﷺ يبايع أصحابَه على السمع والطاعة - أي: في غير معصية الله - في العُسر واليسر، والمنشط والمكْرَه، وعلى الأَثَرة، وقال - عليه الصلاة والسلام -: ((أعطوهم الذي لهم، واسألوا اللهَ الذي لكم، فإن الله سائلهم)).

السادس: منصبُ الولاية العامة - الحاكم العام - منصبٌ ديني شرعي، تعبَّد اللهُ الأمةَ برعاية حُرمته، وأداء حقوقه، والنصيحة له، والصبر على جَوْر مَن يكون فيه، وظلمه وأثرته، كما تُؤدَّى حقوق الوالد وذي الرحم والجار والشريك، بحسب حاله، وبغضِّ النظر عن

شخصه وجِنسه، ودِينه وتعامله، بل على وَفق شريعة الله تعالى وهَدْي نبيه ﷺ وفي ذلك مِن تحقيق المصالح وتكميلها، وتقليل المفاسد وتعطيلها، ودفع الشرور، واتقاء المصائب، وغلق أبواب الفتن، ما لا يحصيه إلا اللهُ تعالى، فيجب أن تُؤدَّى حقوق الولاة إليهم في جميعِ الأحوال على قدْر الطاقة؛ دِيانةً لله تعالى، وامتثالاً لأمر رسول الله ﷺ وتأسِّيًا بالسلف الصالح في معاملتهم لولاة الأمور.

السابع: وجوب تعظيم منصب الولاية والوالي، وجمْع الناس عليه؛ قال القرطبي رحمه الله (260/5): قال سهل بن عبدالله التُّستَريُّ – رحمه الله تعالى –: لا يزال الناس بخيرٍ ما عظَّموا السلطان والعلماء، فإن عظموا هذين أصْلَح الله دنياهم وأخراهم، وإن استخفوا بهذين أفسدوا دُنياهم وأُخراهم.

وقال الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله –: "فاللهَ اللهَ في فَهْم منهج السلف الصالح في التعامُل مع السلطان، وألاَّ يتخذ من أخطاء السلطان سبيلٌ لإثارة الناس، وإلى تنفير القلوب مِن ولاة الأمور، فهذا عين المفسدة، وأحد الأسس التي تحصل بها الفِتنة بين الناس" ا.هـ، من "رسالة حقوق الراعي والرعية".

الثامن: لا تجوز مبايعة أحد من الرعية والحاكم العام موجود قائم بصلاحياته، قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية – رحمه الله – في "منهاج السنة": "إنَّ النبي ﷺ أمَر بطاعة الأئمَّة – يعني: الحكام – الموجودين المعلومين، الذين لهم سلطان يَقدِرون به على سياسة الناس لا بطاعةِ معدوم ولا مجهول، ولا مَن ليس له سلطان ولا قُدرة على شيء أصلاً، فمَن نزل نفسه منزلةَ وليِّ الأمر الذي له القُدرة والسلطان على سياسة الناس، فدعا جماعةً للسمع والطاعة له، أو أعطتْه تلك الجماعة بيعةً تسمع وتطيع له بموجبها، وولي الأمر قائمٌ ظاهر فقد حادَّ الله ورسوله، وخالف نصوصَ الشريعة. ا.هـ.

التاسع: تحريم السعي في خلْع السلطان وإثارة العامَّة على التظاهر عليه.

فائدة: قال شيخُ الإسلام ابن تيمية: "وأما أهل العِلم والدِّين والفضل، فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصيةِ ولاة الأمور وغشِّهم، والخروج عليهم بوجهٍ من الوجوه، كما قد عُرِف من عادات أهل السنة والجماعة والدين قديمًا وحديثًا ومِن سيرة غيرهم.

وقال الإمام النوويُّ في شرحه لمسلم: "وأما الخروج عليهم – يعني: الأئمة – وقتالهم فحرامٌ

بإجماع المسلمين، وإن كانوا فَسقةً ظالمين"، ونقل ابن حجر في "فتح الباري" عن ابن بطَّال قوله: "وقد أجْمَع الفقهاء على وجوبِ طاعة السلطان المتغلِّب والجهاد معه، وأنَّ طاعته خيرٌ من الخروج عليه؛ لِما في ذلك من حقْن الدماء وتسكين الدهماء".ا.هـ.

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ - رحمه الله - في التحذير مِن السعي في إسقاطِ الحاكم مِن أجل فساده، وبيان أن ذلك خلاف منهاج السلف الصالح: "ولم يدرِ هؤلاء المفتونون أنَّ أكثر ولاة أهل الإسلام منذُ عهد يزيد بن معاوية - حاشا عمر بن عبدالعزيز ومَن شاء الله من بني أمية - قد وقَع منهم مِن الجرأة والحوادث العِظام، والخروج والفساد في ولاية الإسلام - يعني: الشيء العظيم والكثير - فسيرة الأئمَّة الأعلام، والسادة العظام معهم معروفة مشهورة؛ لا يَنزعون يدًا من طاعة فيما أمَر الله به ورسولُه مِن شرائع الإسلام وواجبات الدِّين، ثم ضرب مثلاً بالحجَّاج مع ظلمه وغُشْمه وقتْله ساداتِ الأمة، ومع ذلك كان مَن أدركه من الصحابة كابن عمر وغيره ومِن التابعين كابن المسيَّب وابن سيرين، والحسن وإبراهيم التيمي، لا يُنازعونه ولا يمتنعون مِن طاعته.

قلت: وذكَر الخلال - رحمه الله تعالى - حادثةً وقعَتْ زمن الإمام أحمد - رحمه الله - قال: "اجتمع فُقهاءُ بغداد - في عهد الخليفة العباسي الواثِق - إلى الإمام أحمد بن حنبل، وقالوا له: إنَّ الأمر قد تفاقم وفشَا - يعنون إظهارَ القول بخَلْق القرآن وغير ذلك - ولا نرضى بإمارتِه ولا سلطانه، فناظَرهم في ذلك، وقال: عليكم بالإنكار في قلوبِكم ولا تخلعوا يدًا من طاعةٍ، ولا تشقُّوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءَكم ودماءَ المسلمين معكم، وانظروا في عاقبةِ أمركم، واصبروا حتى يستريح بَرٌّ ويُستراح من فاجر، وقال: ليس هذا - يعني: نَزْع أيديهم من طاعته والخروج عليه والسعي في خلْعه - صوابًا، هذا خلاف الآثار - يعني: نصوص الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة".

وممَّا قاله الإمام أحمد - رحمه الله -: "لا يَحِلُّ لأحد أن يبيتَ ليلةً ولا يرى أن ليس عليه إمام برًّا كان أو فاجرًا".

قلت: ودليل ذلك ما ثبَت في صحيح مسلم رحمه الله عن ابن عُمرَ - رضي الله عنهما - سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((مَن خَلَع يدًا من طاعة لقِي الله يوم القيامة لا حُجَّةَ له، ومَن مات ليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهلية)).

وقال ابنُ كثير - رحمه الله -: "والفاسق لا يجوز خلْعُه لأجلِ ما يثور بسبب ذلك من الفِتنة ووقوع الهرج"، وذكر ما في الصحيحين عن نافع - رحمه الله - أنَّ ابن عمر - رضي الله عنهما - جمَع بنيه وأهله، ثم تَشهَّد قال: "**أما بعد:** فإنَّا بايعْنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((إنَّ الغادر يُنصَبُ له لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان))، وإنَّ من أعظم الغدر - إلا أنْ يكون الإشراك بالله - أن يُبايع رجلٌ رجلاً على بيع الله وبيع رسوله ثم ينكُث بيعته، فلا يخلعنَّ أحد منكم يَزيد، ولا يسرفنَّ أحد منكم في هذا الأمر، فيكون الفيصل بين وبينه".

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في "الفتح": "وفي هذا الحديثِ وجوبُ طاعة الإمام - أي: الحاكم العام - الذي انعقدت له البيعة، والمنع مِن الخروج عليه ولو جار في حُكمه، وأنه لا ينخلع بالفِسق" اهـ، وقال ابن كثير: "لما مشى عبدالله بن مطيع وأصحابه إلى محمد بن الحنفية، فأرادوه على خلْع يزيد فأبى عليهم".

العاشر: إصلاحُ شأن الولاية يكون بالتوبة والدُّعاء والصبر على الجَور، والنصيحة للحكَّام والدُّعاء بصلاحهم، لا بالتظاهر عليهم والسعي في خلْعِهم؛ قال الحسن - رحمه الله -: "لو أنَّ الناس إذا ابتلوا مِن قبل سلطانهم صَبَروا ما لبثوا أن يَرفع الله - عزَّ وجلَّ - ذلك عنهم، وذلك أنهم يَفْزعون إلى السيف فيوكلون إليه، واللهِ ما جاؤوا بيومِ خيرٍ قط، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: 137] الآية، وقال رحمه الله: "اعلم - عافاك الله - أنَّ جَوْر الملوك نقمةٌ مِن نقم الله، ونِقم الله لا تُلاقى بالسيوف، وإنما تُتقى وتستدفع بالدعاء والتوبة والإنابة، والإقلاع عن الذنوب، إنَّ نِقم الله متى لُقيت بالسيف كانتْ هي أقْطَع".

وقال: "إنَّه ليس ينبغي لمن عمِل بالمعصية أن يُنكر العقوبة، وما أظن الذي أنتم فيه إلا مِن شؤم الذنوب، والسلام".

أخْرَج ابن ماجه والحاكم وصحَّحه، والبزار - واللفظ له - مِن حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - عنِ النبي ﷺ قال: ((السلطانُ ظلُّ الله في الأرض، يأوي إليه كلُّ مظلوم مِن عباده، فإن عدَل كان له الأجر وعلى الرعية الشُّكر، وإن جار أو حاف أو ظَلَم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصَّبْر)).

وفي السُّنة لابن أبي عاصم بإسناد جيِّد عن أنس - رضي الله عنه - قال: "نهانا كبراؤنا مِن أصحاب النبي ﷺ قالوا: لا تسبُّوا أمراءَكم ولا تغشوهم ولا تُبغضوهم، واتقوا واصبروا فإنَّ الأمر قريب"، وفي التمهيد عنه - رضي الله عنه - قال: حدَّثنا كبراؤنا من أصحابِ النبي ﷺ أنَّ أول نفاق المرءِ كلامُه في السلطان، وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه -: "إيَّاكم ولعنَ الأمراء، فإنَّ لعنهم الحالِقة - أي: للدِّين - واصبروا، فإنَّ الله إذا رأى ذلك منهم حبَسَهم عنكم بالموت"، وقال غيرُه: "إنَّ ما يدفع الله ببقائه - يعني السلطان - أعظمُ ممَّا يندفع بزواله".

الحادي عشر: من سُنة الله الكونية المطردة أنَّ القوم الذين يخرجون على سلطانهم فيقتلونه أو يعزلونه لا يَرْبَحون ولا يُفلحون، بل يرجعون بأخسرِ صفقةٍ، فأما في الدنيا فإمَّا أن يُسلَّط عليهم فيذلهم ويهينهم، أو يتسلَّط عليهم غيرُه فيكون أشدَّ جَورًا منه وأظلم، فما استبدل قومٌ حاكمَهم بمعصية الله ورسوله، فكان اللاحق خيرًا من السابق، بل قد يكون أشرَّ وأظلم، ولا تكون حالُهم مع اللاحق خيرًا من حالهم مع السابق، بل دون ذلك بكثيرٍ، حتى يتمنَّى عقلاؤهم حالهم مع السابق، ولن تعود، واعتبر هذا في التاريخ على امتداد الزمان وسَعَة الأوطان.

إنَّ أول تظاهرة غوغائية على الحاكم عُرِفت في الإسلام كانت تظاهرة الخوارج بفِكرة من عبدالله بن سبأ اليهودي، الذي حرَّض على أمير المؤمنين عثمان بن عفان، العابِد الزاهد، الحيي الكريم، المبشَّر بالجنة، والتي قتل فيها عثمان - رضي الله عنه - مظلومًا، وأهين بها أكابرُ الصحابة - رضي الله عنهم - وشاع فيه الرعب والخوف في المجتمع المسلِم، ونشط فيها أهلُ النفاق والدسيسة، وتوقَّفت لسببها جحافلُ الجهاد في سبيل الله، ووقع فيها الاقتتالُ والفتنة بين المؤمنين، وأشمت بهم أعداء الدِّين فلم تصلح الأوضاع بتلك التظاهرة، بل عظمت الفتنة، وتفاقمت المحنة، واشتدَّ الكرب، وعظُم الخطب، ثم تكررت تلك الفتنة والمصيبة، وكل مَن شارك في الخروج على عثمان وتسبَّب في قتله قُتِل أو عاش دهره ذليلاً حقيرًا.

وسند ذلك ما ثبت عن أبي بكرة - رضي الله عنه - قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((مَن أهان سلطانَ الله في الأرض - أي: الحاكم العام، وليس في الحديث تقييد بذِكر صلاحه أو فساده - أهانه الله)).

وجاء عن حُذيفةَ - رضي الله عنه - موقوفًا: "ما مشى قومٌ إلى سلطان الله في الأرض ليذلُّوه إلا أذلَّهم الله قَبل أن يموتوا".

قال ابن أبي زَمَنِين شيخُ قرطبة في زمانه: "ومِن قول أهل السنة: أنَّ السلطان ظلُّ الله في الأرض، وأنَّ مَن لم يرَ على نفسه سلطانًا برًّا أو فاجرًا كان على خِلاف السنة".

قلت: وإذا كان السلطانُ - الحاكم العام - ظلَّ الله في الأرض، فإهانتُه والتطاول عليه، ومنازعتُه اختصاصَه، والتحريض عليه، إثمٌ عظيم، وأمرٌ خطير، تكون عقوبته المعجَّلة كونية - كما أسلفت - وما عند الله مِن العقوبة لمن لم يتبْ أعظم وأكبر.

الخاتمة:

فإذا تبيَّن لك أيها المسلم المبارك، مِن خلال ما سبَق منهاجُ السلف الصالح؛ أهل السنة والجماعة، مع الحكَّام، وأنهم ملتزمون بهذا المنهاج دِيانةً لله تعالى، والتزامًا بشرائع الإسلام، واتِّباعًا للنبي ﷺ لا خوفًا من الحكَّام، ولا مداهنةً لهم مِن أجل دُنياهم ومناصبهم، فأذكِّرك بآيتين مِن كتاب الله تعالى، فيهما بشارة ونذارة كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37].

فأما الآية الأولى: فهي قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100]، فعليك أخي المسلم الكريم، بمنهاجِ أهل السُّنة والجماعة في الاعتقاد والقول والعمل، والتعامل مع الخلْق، كما هو مدوَّن في كتب العقيدة والسُّنة لأئمَّة أهل السنة، وأقرب ذلك العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ حتى تعرِفَ أصولَ اعتقاد أهل السنة والجماعة، ومَن هو عليها مِن أهل زمانك، وحتى لا تخدع بالمخالِف الهالك فتهلِك معه لاتباعك غيرَ سبيل المؤمنين في شيءٍ مِن أصول وفروع الدِّين.

قال تعالى - وهي الآية الثانية -: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 115]، فاحذر أن تكون مشاقًّا لله ورسوله، متبعًا غيرَ سبيل المؤمنين في حُكْم من أحكام الله؛ مِن أجْل الخلْق، أو لحظٍّ من حظوظ النفس، فتكون من أهل النار، وبئس القرار.

فالعاقل المتجرِّد من الهوى يفكِّر في أمره، ويحدد موقفه مِن حوادث زمانه؛ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [سبأ: 46]، فيَحرِص على أن يكونَ مِن التابعين للسابقين الأوَّلين بإحسان؛ حتى يكونَ مِن أهل الرضوان والجنان، ويحذر مِن شُبهات الذين يُزيِّنون للناس مشاقةَ الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين؛ ليكونوا من أهل النار؛ قال - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112].

رزقَنا الله جميعًا العلمَ النافع، والعمل الصالح، وأعاذنا مِن مضلات الفتن، ما ظهَر منها وما بطَن، وجعَل ولايتنا والمسلمين فيمَن خافه واتَّقاه، وطلب رضاه، آمين.

(التحذير من التشبه بأعداء الله)

الحمد لله الواحد القهَّار، العزيز الغفَّار، أحمده على نعمه الكثيرة العظيمة الغِزَار؛ ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: 20].

﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، خصَّنا ببعثة محمد ﷺ أشرف النبيين والمرسلين، وجعَلَنا مسلمين، وأتَمَّ علينا النعمة وأكمل لنا الدين، ونهانا عن التشبُّه بالكفار والمشركين.

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أرسَلَه رحمةً للعالمين؛ فهدى به من الضلالة، وبصر به بعد العمى، وجمع به بعد الفرقة، وألَّف به بعد الشَّتات؛ فأغنى به بعد عيلة، وكثَّر به بعد قلَّة، وأعزَّ به بعد ذلَّة، نبيٌّ شرَح الله له صدره، ووَضَع عنه وِزرَه، ورفَع له ذِكرَه، وجعَل الذلَّة والصغار والخيبة والخسار إلى يوم القيامة على مَن خالَف أمرَه.

صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومَن تمسَّك بسنَّته واهتَدَى بهديه إلى يوم الدين وسلَّم تسليمًا.

أمَّا بعد؛ فيا **أيها الناس:**

اتَّقوا الله - تعالى - واحذَرُوه، واعمَلُوا بطاعته واشكُرُوه، واتَّبِعوا نبيَّكم محمدًا ﷺ في جميع أموركم وأَطِيعوه، ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: 54].

واحذروا الرغبة عن سنَّته والتشبُّه بأعداء الدين، فإنَّ النبي ﷺ قال: ((عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومُحدَثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة)).

وفي الصحيحين عنه ﷺ قال: ((مَن رَغِبَ عن سنَّتي فليس منِّي)).

وفي "مسند الإمام أحمد" وغيره عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَن تشبَّه بقومٍ فهو منهم)).

وروى الترمذي أيضًا عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((ليس منَّا مَن تشبَّه بغيرنا، لا تشبَّهوا باليهود ولا بالنصارى)).

أيها المسلمون:

إنَّ ظاهرة التشبُّه بأعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس والمنافقين وسائر المشركين - في هذا الزمن - من الظواهر البارزة اللافتة للنظر، والتي تقتَضِي من كلِّ عاقلٍ عظيمَ الحذر؛ لما تشتَمِل عليه من نُذُرِ الخطر، ومُوجِبات الشر وعظيم الضَّرَر، فإنَّ ظهور التشبُّه بأعداء الله من أهل الكتاب والمشركين من شخص أو مجتمع أو أمَّة - دليلٌ على قلَّة العلم وضعْف الإيمان، وانحِراف الفطرة، وعلامة على مرض القلوب وعمى البصائر، واختلال المقاييس وانقِلاب الموازين، ومَظهَر من مظاهر كفران النعم، وغلَبَة الهوى وإيثار الأولى على الأخرى؛ ذلكم لأنَّ تشبُّه إنسانٍ بآخَر يدلُّ على إعجابه بما كان عليه مَن تشبَّه به ومحبَّته لما تشبَّه به فيه. والقاعدة العامَّة المتَّفَق عليها لدى جميع العُقَلاء ذوي الفِطَر السليمة والموازين المستقيمة أنْ يتشبَّه الأدنى بالأعلى، وأنْ يتأثَّر المغلوب بالغالب، وأنْ يقتدي الضعيف بالقوي؛ رجاء أنْ يصل إلى مستواه وأنْ يتمكن منه، وإذا كان ذلك كذلك فهل يَلِيق أنْ يتشبَّه الرشيد بالسَّفِيه، أو أنْ يظهر العالم بمظهر الجاهل؟ أم هل يليق أن يحذو المستقيم حذو المنحرف؟ أم هل يقتدي العاقل بالمجنون؟ لا شكَّ أنَّ ذوي الحجا والنُّهى يمقتون ذلك ويعدُّونه من ضروب المهالك.

إذًا فكيف يَلِيق بمسلمٍ شرَح الله صدره للإسلام وأكرَمَه بالإيمان فجعَلَه على نورٍ من ربه، ومن خير أمَّةٍ أُخرِجت للناس، خصَّها الله بخاتم النبوَّة وأشرف الرسل وأكمل الأديان، وأجل الكتب وأعظم الشرائع وأحسن الأحكام، التشبه بمَن اتَّخذ إلهه هواه، وأضلَّه الله على علم، وختَم على سمعه وقلبه، وجعَل على بصره غِشاوة، ووصَفَهم بقوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 44].

بل هم شرُّ الدواب كما قال - سبحانه -: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: 55]، ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: 18]، ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: 23].

أيها المسلمون:

إنَّ التشبُّه بأعداء الله دليلٌ على تعظيمهم والإعجاب بما هم عليه من الضلال والباطل، وسببٌ من أسباب التشبُّه بهم في الباطن، وموافقتهم في الأقوال والأفعال والأحوال، وهو من

آثار شعور المسلم بالذلَّة والهوان، وقد قال - تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: 8]، وقال - سبحانه -: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: 139].

وترك التشبُّه بأعداء الله والالتزام بمخالفتهم في هديهم وطريقتهم، وما كانوا عليه من الاعتقادات والأخلاق والأعمال الباطلة - دليلٌ على عزَّة المسلم بدينه، واغتباطه بنِعَم الله عليه، ورِضاه بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً، وذلك من أسباب ظهور الحق، وانتشار الهدى بين الخلق، ونزول النصر، وشرح الصدر، وتيسُّر الأمر، ووضْع الوزر، ورفْع الذكر؛ ولذلك كان النبيُّ ﷺ يُخالِف اليهود والنصارى خاصَّة، وغيرهم من المجوس وأهل الشرك عامَّة في عامَّة الأمور، حتى قالوا: ما يريد محمد أنْ يدع من أمرنا شيئًا إلا خالَفَنا فيه.

فاتَّقوا الله أيُّها المسلمون، وخُذُوا بسُنة نبيِّكم ﷺ في لزوم الحق والتمسُّك به والصبر عليه، ومُخالَفة أهل الكتاب والمشركين، والبعد عن التشبُّه بهم في كلِّ أمر - تُفلِحوا وتُرحَموا، وتُرزَقوا وتُنصَروا في الدنيا والآخرة؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200].

بارَك الله لي ولكم في القُرآن العظيم، ونفَعَنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقولُ قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستَغفِروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(الحذر من أصناف الأعداء)

الحمد لله الذي نزَّل الكتاب وهو يتولَّى الصالحين، أحمَدُه - سبحانه - أخبَرَ أنَّه لا يُصلِح عمل المفسِدين، وقضَى أنَّ العاقبة للمتَّقِين، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له الملِكُ الحق المبين، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين والناصح المبين، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه وأتْباعه على هُداه بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

أمَّا بعد؛ فيا أيها الناس:

اتَّقوا الله ربَّكم وأطيعوه، واشكُروه - تعالى - على نِعَمِه ولا تَكفُروه، واخشَوْه ظاهرًا وباطنًا واحذَرُوه، واعلَمُوا أنَّكم لن تحصوه، فتوبوا إليه من سيِّئ الأقوال والأعمال في سائر الأحوال واستَغفِروه.

أيها المسلمون:

كم حذَّرَنا الله - تعالى - من الأعداء، ونبَّهنا على ما يُدبِّرونه لنا في الظاهر والخَفاء، من أصْناف الكيد وألوان الاعتِداء؛ كقوله - تعالى -: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 105]، وقوله - سبحانه -: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: 109].

وقوله - جل ذكرُه -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[آل عمران: 100 - 101].

وقال - تبارك اسمه -: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 217].

وقال - تعالى -: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 118].

وقال - تعالى -: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: 119].

وقال - سبحانه -: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 120].

إلى غير ذلك من النُّصوص التي تُثبِت حقيقةَ العداوة، وتُبيِّن مَظاهِر البغض والكيد، وتَكشِف عن حجم المؤامَرة وغاية الفتنة، وترشد إلى أسباب السلامة والنصر والفوز بجميل العاقبة وشكر الذكر.

أيها المسلمون:

وإزاء هذا العداء الصريح والكيْد القبيح من الكفَّار وأصناف الفجَّار لأهل الإسلام على الدوام أمَرَ الله أهلَ الإسلام بأخْذ الحذر، وإعداد القوّة لدفْع الخطر، وحثَّهم على التحلِّي بالتقوى ولزوم الصبر؛ ليتحقق لهم الفوز والظَّفَر؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: 102].

وقال - سبحانه -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: 71].

وقال - تعالى -: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: 60]، وقال - تعالى -: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: 120].

أيها المسلمون:

الحذرَ الحذرَ؛ فإنَّنا في هذا الزمان وفي هذا الجزء الغالي من الأوطان نُواجِه أعتى قوى الطُّغيان والعُدوان.

فاليهود المجرِمون الذين ديدنهم نقضُ العهود، وتحريف الكَلِم عن مَواضِعه، وأكْل السُّحت، وقتْل الأنبياء يحيكون المخطَّطات الآثِمة، وينسجون المؤامَرة تِلوَ المؤامَرة للتَّفريق بين العباد، وإشعال الحرب في البلاد، لِيَخضِدوا شجرةَ الإسلام، وأنَّى لهم ذلك ما تمسَّك أهل الإسلام بالإسلام فسينتقِم الله منهم ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: 4].

وشراذم الذين مرَدُوا على النِّفاق وارتدُّوا عن دينهم وولوا الأعقاب، من بني جلدتنا الذين ينتَسِبون إلى ملَّتنا ويتكلَّمون بألسنتنا، وهم في الحقيقة دُعاةٌ على أبواب جهنم، مَن أطاعهم قذَفُوه فيها، ينفذون مخطَّطات اليهوديَّة العالميَّة في مجتمعنا؛ بنشْر العقائد الوثنيَّة، والأخلاق

الجاهليَّة، والمفاهيم الشعوبيَّة، بواسطة المناهج المدرسيَّة، والوسائل الإعلاميَّة، والمؤتمرات الحزبيَّة، فإذا أعيَتْهم الأمور قاموا بالتحالُفات الجهنميَّة، ثم شرَعُوا مُتآمِرين بالاغتِيالات الشخصيَّة، والانقِلابات العسكريَّة، وشنُّوا الغارات الوحشيَّة الهمجيَّة؛ فشرَّدوا السكَّان من الأوطان، وحوَّلوا المجتمعات التي يتمكَّنون منها إلى سجون جماعيَّة لبني الإنسان، تُمارَس فيها أبشع أنواع الظلم والغدر، والبغْي والعدوان والقهْر.

والقُوَى الاستعماريَّة تُشرِف على تنفيذ تلك المخططات، وتحمي شراذم المجرمين في تلك المجتمعات بالقوة وأنواع التبريرات؛ لأنهم يحقِّقون أهدافها، ويخدمون أغراضها، ويُوفِّرون عليها جهودها.

فهذا الثالوث البَغِيض العَنِيد يسعى بكلِّ ما أُوتِي من قوَّة لهدم صرْح الإسلام، وإبادة أهله من بين الأنام، ودأب أعداء الدين التسلُّط على المسلمين، وتفريق كلمة المؤمنين، لِيُذْهِبوا إيمانهم، ويدمِّروا كيانهم، ويستبيحوا أوطانهم، ولينهبوا ثرواتهم، وينتهكوا حرماتهم، ويتَّقوا خطرهم المتمثِّل بظهور الدين وقيام دولة المسلمين، ولكن هيهات بحول الله وقوَّته أنْ يبلغ الكفر مرادَه، أو يُحقِّق أهدافَه، وفي المسلمين عينٌ تطرف، أو عرق ينبض، أو دم يجري، ما داموا مُستَمسِكين بدينهم مُخلِصين لربهم، فإنَّ الله رفَع أهل الإيمان في الذروة إذ يقول: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: 139].

ومن رفَعَه الله فلن يضَعَه الكفر مهما أجلب بحشوده وأحكم من مكره؛ ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30]، ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: 26].

أيها المسلمون:

يقول الله - تعالى -: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139]، فإنَّ من واجب المسلم أنْ يفعل ما أمَرَه به الله، وألاَّ ييْأس من فرج الله إذا أخَذ بالحزم وتحلَّى بالعزم في أمره مهما أظلَمت الأرجاء أو تكالَب الأعداء، وألاَّ يقنط من رحمة ربِّه، وإنْ رأى الكفر وقد امتدَّ كيدُه، وعظُم استعدادُه وجندُه، فإنَّ المؤمن يعتدُّ بمعيَّة الله له، ويُوقِن بنصره لأوليائه على أعدائه ولو بعد حين؛ يقول - تعالى -: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى

﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [آل عمران: 111]، ويقول - سبحانه -: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175].

فالشيطان جندٌ مسلَّط على أوليائه يُخوِّفهم من المؤمنين، وقال - تعالى -: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 151].

أيها المسلمون:

إنَّ دينًا كتَب الله له الظهور ولأهله العلوَّ والتمكين في الأرض لا بُدَّ وأنْ ينتَصِر، وأنْ يحكُم، وأنْ يملأ الأرض عدلاً كما مُلِئت جورًا، وأنْ يخرج العِباد من عبادة الطاغوت إلى عبادة الله وحدَه، لكنْ إذا استقام عليه أهله، وجاهَدوا من أجله.

فاتَّقوا الله في جميع أموركم، والزَموا طاعته يُنجز لكم ما وعَدكم، ولا يفتننَّكم إرعاد المرعدين ووعيد المتسلِّطين ممَّن طغَى وبغَى، وجانَب الحق والهدى، فلقد كان لكم في سلفكم الصالح وثباتهم على الحق مَثَلٌ يُحتَذى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: 9].

إنها يا عباد الله شدائد عظيمة، وحوادث أليمة، خطَّط لها أعداء الدين، وكادوا بها المسلمين، ولكنْ سيجعل الله بلطفه ورحمته عواقبها إلى خيرٍ للإسلام وأهله، وسيأتي الله بالفتح أو أمرٍ من عنده؛ فيُصبِحوا على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين، فإنَّ النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وإنَّ مع العسر يسرًا، إنها مصائب يبتَلِي الله بها العبادَ ليَرجِعوا إليه، ويرفع بها درجاتهم ليسرُّوا بها إذا قَدِموا عليه، ويمحِّص بها ذنوبهم حتى يستُرَها عليهم، فلا يخجلوا منها إذا وقَفُوا بين يدَيْه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200].

بارَك الله لي ولكم في القُرآن العظيم، ونفعنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستغفروه يغفر لكم، إنَّه هو الغفور الرحيم.

(التحذير من البدع ودعاتها)

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتَّقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، إله الأوَّلين والآخِرين، وقيُّوم السموات والأرضين، ومالك المِلْك في الدنيا ويوم الدِّين.

وأشهَد أنَّ محمدًا عبده ورسوله النبي المصطفى، والرسول المجتبى، الذي لا ينطق عن الهوى، إنْ هو إلا وحيٌ يوحى، وقد دلَّ أمَّته على خيرِ ما يعلمه لهم في الدنيا والأُخرى، وأنذرهم من شرِّ ما يعلمه لهم في الحاضر والعُقبَى، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

أمَّا بعد؛ فيا **أيها الناس:**

اتقوا الله - تعالى - حق التقوى، وسارعوا في سائر أوقاتكم وأحوالكم إلى ما يحبُّ ويرضى، واستَمسِكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واسألوا ربكم العافية من عظيم البَلاء، واللُّطف فيها يجريه عليكم من القَضاء، والنجاة من الفِتَن فإنها في زمانكم تترى.

أيها المسلمون:

لا شكَّ أنَّنا في زمانٍ قلَّ فيه العلم، وفشا فيه الجهل، وضعُفت فيه التقوى، وغلب فيه الهوى، فأُوثِرت فيه - من الكثيرين - الدنيا على الأخرى، وهامَ ضُعَفاء الإيمان في أودِيَة الضلال، وصار أهل الزيغ والنفاق يَكيدون لإفساد المجتمع في الحال والمآل، يمكُرُون بخفاء ويُنافِقون بجلاء: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: 8 - 9]. ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: 29 - 30].

يُفسِدون في الأرض ويقولون: إنما نحن مُصلِحون، إنْ أردنا إلاَّ إحسانًا وتوفيقًا، يريدون أن يجمعوا بين الدين وشهوات المنحرفين المغرضين وأنظمة الجاهلين: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

بل هم قومٌ يُفتَنون ويسعَوْن بكلِّ فتنة ليَفتِنوا الناس عن دينهم، ويصدُّوهم عن سبيل ربهم، بزخرف القول، وما لهم من الجاه والطَّول؛ وكونهم من بني جلدتهم ويكلمونهم بألسنتهم، وهم في الحقيقة دُعاةٌ على أبواب جهنم يدعون الناس إلى خبيث الأفكار والاعتقادات، ويُزيِّنون لهم قبيح المعاصي وعظيم المنكرات، وسيِّئ القول وفاحش الكلمات، فهم في الحقيقة من فتن الدنيا وعظيم البلاء: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد : 31 – 33].

أيها المسلمون:

إن الفتن لها من شياطين الإنس مُرتَزِقة يحترفونها ويدعون الناس إليها، ويُدخِلونها على الناس، إمَّا من أبواب الشهوات، أو من أبواب الشبهات، وهي من أيِّ باب تدخل على المرء فغايتها إفساد الدين؛ ليُصبح المرء من الخاسرين في الدارين، فمن الناس مَن إذا وردَتْ عليه الشبهة أو عرَضت له أو دُعِي إلى شهوةٍ أخذَتْه الغيرة على دينه، واستَرخَص في سبيل المحافَظة عليه دُنياه وسائر ما يَهواه، والتَجأ إلى ربِّه وسألَه العصمة من الفتن بحوْلِه – تعالى – وقوَّته، وأخَذ بما شرَع الله وقدَّره أسبابًا للنجاة من الفتن، ووِقايةً من أخطار المصائب والمِحَن، فثبَّتَه الله على دينه، وزادَه من هُداه، وجعَلَ له فرقانًا عند اشتِباه الأمور؛ فلزم الطاعة، وصبر على المصيبة، واحتَسَب عند الله جزيلَ المثُوبَة وجميل العاقبة في العاجِلَة والآجِلَة.

قال – تعالى –: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11].

وقال – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: 29].

وقال – تعالى –: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46].

وقال – سبحانه –: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].

وقال – سبحانه –: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 17 – 18].

فيحفَظهم الله ويحفَظ لهم دينهم ودنياهم وأُخراهم، ويحفَظ بهم مَن شاء مَن عباده؛ لما ثبتوا على الدِّين صابِرين، وجاهَدُوا في الله مُستيقِنين، فإنَّه بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين؛ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24].

ومن الناس مَن إذا عرَضَتْ له الشهوة أو أُورِدت عليه الشبهة آثَر دُنياه على دِينِه، وزالَ صبرُه وشكَّ في يقينه؛ فاقتَحَم الشهوات، وتذرَّع بالشبهات، وسار خلْف كلِّ ناعق، واتَّبَع كلَّ أفَّاك ومُنافِق، فصار من الغاوِين، وانضَمَّ إلى حزْب الشياطين الخاسرين؛ فهلك بنفسه، وأهلك بعمى ضلالته سواه: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: 107 - 108].

وغدًا: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: 27 - 29].

وصدَق الله العظيم إذ يقول أيضًا: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف: 36 - 38].

وهكذا كلُّ داعٍ إلى فتنةٍ يكون مع مَن أضلَّه؛ ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: 16 - 17].

أيها المسلمون:

وإذا كانت الفتن تجلب على العبد خسارةَ الدنيا والآخرة؛ لأنها تُفقِده دينه، وتُورِثه غضب ربه، وشَقاء العاجلة والآجلة، وإذا كان مُرتَزَقَة الفِتَن وسَماسِرة الباطل بين أظهرنا ومن بني جلدتنا، ويتكلَّمون بألسنتنا، ويَدخُلون علينا من بابَي الشهوات والشبهات - فعلينا الحذر والجد في اتِّقاء الخطر، ولا حولَ ولا قوّة إلا بالله قاهر المتجبِّرين، وعالم خائنة الخائنين، والذي وعَد أنَّه مع الصادقين، ويحبُّ الصابرين، ولا يُضِيع أجر المحسنين.

ومن الأسباب التي جعلَها الله عِصمةً من المِحَن، ونجاةً من الفِتَن - لزومُ طاعة الله -

تعالى - بفعْل الفرائض والواجبات، وخصوصًا فرائض الصلوات مع الجماعات، وتكميلها بالنَّوافل والمستحبَّات، فإنها سببٌ لولاية الله وحفظه وتثبيته لعبده ومحبَّته، وحفظه له في حَواسِّه وجوارحه، وإجابة دعوته، والإكثار من الزَّكوات والنَّفقات الواجبة والمستحبَّة؛ فإنَّه مكفرة للخطيئة، ومدفعة للبلاء، ومجلبة للنعماء، ورفعة للدرجات.

ومنها الإلحاحُ على الله بالدعاء: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 8].

اللهم مقلِّب القلوب ثبِّت قلوبَنا على دينك، اللهم مصرِّف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك، فإنَّ قلوب العِباد بين إصبعَيْن من أصابع الرحمن.

ومنها لزومُ جماعة المسلمين وإمامهم، والحرص على جمع كلمتهم وإشاعة الألفة بينهم، والإخلاص في نصيحتهم، والحذر من كلِّ مَن يسعى لإحداث الفرقة والشِّقاق بينهم لتفريق كلمتهم وتحزيبهم ضدَّ بعضهم.

وأمَّا ما اشتبَه من الأمور فإنَّه لا يُحكَم له أو عليه، ولا يُقبَل ولا يردُّ - حتى يتبيَّن أمره بالرُّجوع بشأنه إلى أهل العلم بالكتاب والسنَّة، ومَن يَلُون الأمرَ عملاً بقوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 83].

فمَن تكلَّم في المشتبه من الأمور بالظنِّ اتِّباعًا للهوى ولم يردَّه إلى أولي الأمر فيه فقد اتَّبع الشيطان، ومَن اتَّبَع الشيطان كان من الغاوين، وأصبح من الخاسرين في الدارين.

ألاَ وإنَّ مرتزقة الفتن لا يعرضون على الناس الباطل الخالص، ولا يَرفُضون أمام الناس الحقَّ البين، وإنما يلبسون عليهم الحق بالباطل؛ ليصدُّوا عن سبيل الله، ويبغونها عِوَجًا تحت ستار دعوى الإصلاح والتغيير، والتجديد والتطوير.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 24 - 25].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: 180 - 182].

بارَك الله لي ولكم في القُرآن العظيم، ونفَعَنا جميعًا بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستَغفِروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

(الحذر من كيد أهل النفاق ودعاة الفتن)

الحمد لله الذي اهتدَى بهديه المهتَدُون، لا يُسأَل عمَّا بفعل وهم يُسألون، أحمده - سبحانه - كتَبَ العزَّة والفلاح والنصر للمؤمنين المجاهِدين، وجعَلَ الذلَّة والخسار والهزيمة من نصيب المنافقين المفسِدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له الذي قال في كتابه المبين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [المجادلة: 5].

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله الذي جاهَد في الله حقَّ جهاده، وأخمَدَ سيف الحق عدوان المعتَدِين، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أئمَّة الهدى والدِّين، الذين هم أعظم هذه الأمَّة جهادًا للمنافقين والمشركين، وأشدُّها بغضًا وعَداوَة لأعداء الدين، **أمَّا بعد:**

فيا **أيها الناس:**

اتَّقوا الله - تعالى - حقَّ التقوى، واستَمسِكوا بما مَنَّ الله عليكم به من الدين والهدى، وجاهِدوا بكلِّ ما أُوتيتم من قوَّة، واصبِروا وصابِروا ورابِطوا لتكون كلمة الله هي العُليَا، وكلمة الذين كفروا السُّفلَى؛ تكونوا من أحباب الله المؤمنين، وجندِه الغالبين، وأوليائه المتقين، الذين يُطارِدون الباطل في كلِّ ميدان، ويُعادُون ويُجاهِدون مَن جاء به ودعا إليه كائنًا مَن كان؛ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76].

أيها المسلمون:

إنَّ معركة الحقِّ مع الباطل قائمةٌ من أوَّل الزمان، وستستمرُّ ما وُجِد على الأرض أحدٌ من أهل الإيمان، لا تخبو نارها، ولا يفتر استعارها، فلن يخلو منها زمانٌ ولا مكان.

الحقُّ يحمله ويُجاهِد من أجله رسلُ الله - عليهم الصلاة والسلام - وأتْباعهم من عُلَماء الإسلام، وصالحي العوام، يُوضِّحونه للناس ويُبصِّرونهم به، ويَكشِفون عنه الشُّبَه، ويُجاهِدون لله في ذلك، فيهتَدِي على أيديهم مَن شاء الهو هدايته من الخلق ذوي القلوب السليمة، والمقاصد الصحيحة، والعقول الراجحة، والبصائر النافذة، الذين يميزون بين الضارِّ والنافع من الأفكار والأعمال والأقوال، ويَنظُرون في عَواقِب الأمور، ويُجانِبون الهوى والطُّغيان وغيرهما من مَصادِر الشُّرور.

والباطل يحمله ويدعو إليه الشيطان، وجنوده شياطين الإنس والجان: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112].

فيدعون إلى الباطل مُستَخدِمين لترويجه وسائل الدعاية وأنواع المغريات، وفنون المكر والحيلة؛ لفتنة العباد في كلِّ واد: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: 19].

فالصراع مَرِير، والميدان واسع، والسلاح متنوِّع، ولكن إذا ثبت أهل الحق في الميدان، وأخذُوا بأسباب نصر الرحيم الرحمن، صدَق الله وعدَه بالنصر لصالحي الخلق، كما حقَّقه لأهل الحق من السَّلَف: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: 51]، ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: 45]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47].

وكم تَضافَرت قُوَى الشرِّ في كلِّ عصرٍ ومصر على أولياء الرحمن، أهل الحق والإيمان، فيَثبُتون لهم محتَسِبين، ويُجاهِدونهم صادِقين صابِرين، مُخلِصين مجتمعين؛ فينصر الله أهلَ الإيمان في كلِّ ميدان، ويخذل جمْع النِّفاق والشرك والكفران؛ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 18]، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81].

فاتَّقوا الله أيُّها المسلمون، وكونوا على الدَّوام على أتَمِّ الاستِعداد لخَوْضِ معركة الحق ضد الباطل؛ لردِّ كيد أهل الباطل وتَطويق فسادهم، وهدم أوكارهم، وقطْع سُبُلِ إفسادهم؛ فإنهم الذين يُقِيمون مساجد الضِّرار، ويُخرِّبون العامر من الدِّيار، فواجب المسلم جهادُهم أينما حَلَّ وحينما ارتَحل؛ فإنَّ أهل الباطل لا يَقنَعون منكم بشيءٍ دون الردَّة عن الدين، والسَّير الأعمى خلف أذيال ركاب المغضوب عليهم والضالين وأصناف المشركين؛ ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 217].

أيُّها المسلمون:

إنَّنا اليوم في معترك فتنٍ عظيمة متنوِّعة، ومواجهة غارات من الأعداء على ديننا وحرماتنا

وكياننا ومجتمعنا متتابِعة ومتقطِّعة، فإنْ وجدوا فينا صَلابةً وفي جهادنا قوَّة ولَّوا الأعقاب، وباؤوا بالخسران والتباب، وإنْ نالوا منَّا شيئًا ولو يسيرًا طَمِعُوا فيما هو أكبر منه، وبيَّتوا من أنواع المكر والمكيدة والغدر والحيلة ما تمكَّنوا منه.

أيها المسلمون:

لقد أصبحنا - ولا حول ولا قوة إلا بالله - في فتنٍ في الدين عظيمة، ومصائب متتابعة أليمة، فإنَّ الفتن قد أطلَّت برؤوسها هذا الزمان، واشرأبَّت أعناقُ أهلها - قصَمَها الله - هذا الأَوَان، فقد ظهَرَتْ بعضُ وجوههم المكفهرَّة الكالحة المعبِّرة عمَّا في قلوبهم من النِّفاق والبُغض لأهل الإيمان، وهم من بني جلدتنا ويتكلَّمون بألسنتنا، ألسنتهم أحلى من العسل، ويقولون نفاقًا من خير القول، ويُخالِفون أهلَ الإسلام في الفعل والحال، ويُجادِلون بالباطل ليُدحِضوا به الحق شأن أهل الضلال، يَلبَسون للناس مُسُوح الضَّأن من اللين، وقلوبهم قلوب الذئاب والشياطين، وغايَتُهم كما جاء في الآثار: ((دُعاةٌ على أبواب جهنَّم، مَن أطاعَهُم قذَفُوه في النار)).

يَخدَعون النساء والسُّفَهاء، ويُضلِّلون الطغام ومَن في حكمهم من غفلة العَوَام، بما يُثِيرونه من الدِّعايات المزخرَفَة والأفكار المضلِّلة، وأنواع الشبهات، وسيِّئ المعتقدات، يستَهزِئون بالقرآن، ويسخَرُون من سنَّة محمد ﷺ إمام أهل الإيمان، قد تشبَّعوا بمسالك الكفَّار، وحذَوْا حذْو ضُلاَّل أهل الكتاب، فلم يخطِئُوا الآثار؛ يُسفِّهون مَسلَك المتديِّنين، ويَسخَرون من عباد الرحمن المهتَدِين، يَطعُنون فيهم وينفرون منهم ومِمَّا هم عليه من الاستِقامة، ويُبالِغون في الوَقِيعة بأهل العلم بالذم والملامة، بألفاظٍ بذيئة، وعِبارات مستَهجَنة جريئة؛ رغبةً في التحلُّل من الدين، والتحرُّر من أحكامه التي تُصلِح شؤون العالمين، بدعوى أنَّه وضْعٌ قديم لا يتَّفق مع التطوُّر والتجديد؛ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: 5].

ولهم يا عباد الله في كلِّ يوم دسيسة وفي كلِّ ليلةٍ مكيدة يُشِيعونها بين الناس، ويلبسونها عليهم للتشكيك والوسواس؛ لهدم الدين والتخلُّص من شريعة ربِّ العالمين: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: 8].

قد استبدَلُوا الكفر بالإيمان، والدنيا والآخرة؛ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16].

ألاَ وإنَّ شرَّ البليَّة انتِكاسٌ بعد الهدى، وعمى بعد البصيرة وضَلال بعد الرَّشاد.

عباد الله:

النجاةَ النجاةَ بأنفسكم وأهليكم ومجتمعكم من الفتن ما ظهَر منها وما بطَن، وحذارِ حذارِ أنْ تُخدَعوا بأقوال دُعاة الفِتَن، وقد علمتم أنهم يدعونكم إلى النار، ولا يغرَّنَّكم بريقُ ألفاظهم، وبهارج أقوالهم، ومعسول كتاباتهم وكناياتهم؛ فإنها في الحقيقة هَدْمٌ للدين، وتضليلٌ للمسلمين، ونِفاقٌ منهم للمسؤولين، وتوريةٌ لأعداء الدين، كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءَه لم يجده شيئًا، ووجد الله عنده فوفَّاه حسابه، والله سريع الحساب.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: 204 - 206].

بارَك الله لي ولكم في القُرآن العظيم، ونفَعنا الله جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(فضل العلم)

الحمد لله الذي يُفقِّه مَن أراد به خيرًا في الدين، ويرفع بالعلم درجات العُلَماء العامِلين، فيجعَلهم أئمَّة للمتَّقين، وهُداة لعالمين، لَمَّا صبَرُوا وكانوا بآياته مُوقِنين، أحمَدُه - سبحانه - هو الكريم الأكرم الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلَم، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، هو الرحيم الرحمن، الذي علَّم القرآن، خلَق الإنسان علَّمَه البيان.

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله الذي أنزل عليه الكتاب والحكمة، وعلَّمَه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيمًا: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: 2 - 4].

صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه الأئمَّة المهديِّين والسادة المقرَّبين، الذين آمَنوا به وعزَّروه ونصَرُوه، واتَّبَعوا النور الذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلِحون.

أمَّا بعد؛ فيا أيها الناس:

اتَّقوا الله - تعالى - في جميع أموركم، وتعلَّموا ما أُنزِل إليكم من ربكم من الكتاب والحكمة، وتفقَّهوا فيهما واعمَلُوا بهما؛ يعلِّمكم الله ويجعل لكم نورًا تمشُون به، ويجعل لكم من أمركم فرقانًا، ويُكفِّر عنكم سيِّئاتكم ويغفر لكم، والله ذو الفضل العظيم؛ فإنهما قد اشتَمَلا على العلم النافع المبارَك المثمر لكلِّ عمل صالح، والدالِّ على كلِّ المصالح في الحال والمآل، والموصل إلى رضوان الله وجنته فضلاً من ذي الكرم والجلال؛ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة : 15 - 16].

أيها المسلمون:

هَلُمُّوا إلى العلم الموروث عن نبيِّكم ﷺ من الكتاب والسنَّة، فتعلَّموه واعمَلُوا به، وعلِّموه أهليكم وذويكم، وادعوا كلَّ مَن ذهبتم إليه أو جاء إليكم، فإنَّ حاجتكم إليه شديدة، وضرورتكم إليه عظيمة، فأنتم أحوج إليه منكم إلى الشراب والغذاء، والدواء والهواء والضياء؛

فإنَّ به حياة القلوب وانشراح الصدور، وزكاة النُّفوس ونور البصائر، وبه النَّجاة من فِتَنِ الدنيا وفي البرزخ ويوم تُبلَى السرائر، إنَّه نورٌ يُهتَدى به الظلمات، وسببٌ يُتوصَّل به إلى أنواع الخيرات وجليل القربات، وعونٌ للعبد من ربِّه على لزوم الطاعات، وترْك السيِّئات وهجْر المحرَّمات والمشتبهات.

به يُعرَف حقُّ الله - تعالى - على عباده، وما للمرء عند ربِّه يوم معاده، وبه تُعرَف الأحكام، ويفرق بين الحلال والحرام، وتُوصَل الأرحام، وهو الباعث على الإخلاص في العمل والإحسان، وهو لكلِّ عمل صالح وكلمٍ طيِّب أصلٌ وحافظ لاستقامة البنيان، وأفضل مكتسب، وأشرف منتسب، وأنفس ذخيرة تُقتَنى، وأطيب ثمرة تُجتَنى، ووسيلة لكلِّ الفضائل، وسببٌ يلحق به المتأخِّرون بالسابقين الأوائل.

أيها المسلمون:

تعلَّموا هذا العلم وأَخلِصوا لله في طلبه والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه، تنالُوا بركته وتجنوا ثمرته، تكونوا لربكم متقين، ولنبيِّكم محمد ﷺ وارثين، وبأشرف الحظوظ آخِذين، ولطريق الجنَّة سالِكين، فإنَّ مَن كان كذلك رفَعَه الله درجات في الدنيا ويوم الدين؛ فجعَلَه من الأئمَّة الهُدَاة المهديِّين، وألحَقَه بمن سَلَف من الصالحين، وجعَل له لسانَ صدقٍ في الآخِرين، وإنما العلم بالتعلُّم والفقه بالتفقُّه، ومَن يُرِدِ الله به خيرًا يُفقِّهه في الدين، فمَن عَلِمَ الله في قلبه خيرًا أسمَعَه، ومَن اتَّقى اللهَ في علمه وعمله كان معه، فإنَّه - سبحانه - يسمع مَن يشاء، ويَهدِي مَن يشاء، ويُؤتِي الحكمة مَن يشاء: ﴿مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 269].

أيها المسلمون:

إنما يُراد من العلم خشيَةُ الله والتقرُّب إليه بما فيه رِضاه، واتِّقاء سخطه في الدنيا ويوم نَلقاه، فكلُّ علمٍ لا يُورِث صاحبَه الخشية ولا يُحدِث له صالح عملٍ ومَزِيد تقوى، فهو تعبٌ على صاحِبِه في تحصِيله وجمعِه، وضررُه عليه أكبرُ من نفعِه، وحجَّة من الله - تعالى - عليه، فالعلم علمان: علم في القلب وهو النافع، وعلم على اللسان وذلك حجَّة الله على ابن آدم، فاطلبوا من العلم ما يُورِث خشيةَ الله - تعالى - ويُرغِّب في الدار الآخرة، ويَحجِز عن أسباب الرَّدَى واتِّباع الهوى.

أيها المسلمون:

إنَّ هذا العلم نورٌ يقذفه الله في قلب العبد إذا رغب في تحصيله، وسلك سبيله، وأخلَصَ لله قصده، واستَفرَغ في طلبه وقتَه وجهدَه، فإذا استَقَرَّ ذلكم النورُ في القلب صلح به القلب، وانشَرَح به الصدر، واطمأنَّت به النفس، فطابَت الأقوال، وصلحت الأعمال، وحسُنَت السَّرِيرة، وجملت السيرة، فصار صاحبُه إمامَ هدًى يُقتَدَى به إلى آخِر الدهر، ولا يعلَم إلا الله ما له عنده من كرم الذخر وعظيم الأجر، فتعلَّموا العلمَ تُعرَفوا به، واعمَلُوا به تكونوا من أهله، فما عُبِد اللهُ – تعالى – بعد الفرائض بشيءٍ أفضلُ من العلم.

إنَّ طلَبَه عبادة، وتعليمَه لله خشية، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جِهاد، وما اكتَسَب مكتسبٌ مثل فضْل علمٍ يَهدِي صاحبَه إلى هدًى أو يكفه عن سبيل هوًى ودركة ردى، وإنما ينتَفِع به مَن طلَبَه لله فعَمِل به وبذَلَه في عِباد الله، فذاك الذي تَراه كلَّما أصاب منه بابًا ازداد لله تَواضُعًا وله خشية، ومنه خوفًا ورهبة، وله رجاء وإليه رغبة، وبه أنسًا وله محبَّة، ولنبيِّه ﷺ إيمانًا وتصديقًا، وتعزيرًا وتوقيرًا، ولعباد الله تَواضُعًا ونُصحًا ورحمةً وشفقة، فذاك الذي علمُه في قلبه فهو على نورٍ من ربه.

أيها الناس:

إنَّ الله – تعالى – يَرفَع بهذا العلم أقوامًا فيجعلهم قادة يُقتَدى بهم في الخير، ويُهتَدى بهم إلى طريق الجنَّة، يظهر بهم الدين ويعتزُّ بهم، وتُؤثَر عنهم السنن، وتُقمَع بهم البِدَع، ويُهلَك بهم أهلُ الباطل، فهم أئمَّةٌ أحياء وإنْ كانوا تحت الثَّرَى.

فقد مات أرباب الأموال؛ والعُلَماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة، وأقوالهم مشهورة، وسِيَرهم مأثورة، فنعم العلم النافع خليل المؤمن، يكسبه الطاعة لربه في حياته، وجميل الأحدوثة بعد مماته، عمله موصول، والدعاء له ما بقي الدهرُ مأمول، ويستغفر له كلُّ شيء، وينتَفِع ما انتَفَع من عمله الحي.

فاطلُبُوا هذا العلم أيها المؤمنون تحصلوا على جليل المنافع، وأربح البضائع، لا سيَّما وقد يسَّر الله لكم من فضله سبله، وهيَّأ لكم وسائله، فقد شاع العلمُ في هذا العصر، وذاع وبلَغ ما بلَغ الليل والنهار، وأمكن استماعه من سائر الأقطار، بما هيَّأ الله من الأسباب؛ يسير فوق الرياح، ويسمع في معظم البلدان في الغدو والرَّواح، يدخُل خفي البيوت سائر الأوقات،

ويسرح مع الناس في الفلوات، تسمع منها الدروس والخطب والعِظات، تعلم بها الفتاوى في الأمور المهمات، فقد والله عظُمَت الحجَّة واتَّضحت المحجَّة.

فاذكُرُوا نعمةَ الله عليكم وجميل إحسانه إليكم، وتَذَكَّروا عظيمَ حقِّه عليكم، واستَعمِلوا نِعَمَ الله في طاعته، ولا تجعَلُوها وسيلةً لمعصيته ومخالفته، ولا تُعرِضوا عن ذكره فتذوقوا وبالَ أمره، بل اتَّبِعوا هداه، واتَّصِفوا بتقواه، وتفقَّهوا في دينه، وانتَفِعوا من تمكِينه، وأنذِرُوا قومَكم لعلَّهم يحذَرُون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122].

بارَك الله لي ولكم في القُرآن العظيم، ونفَعَنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

(الجمعة: فضلها وآدابها)

إنَّ الحمد لله نحمَدُه، ونستعِينه ونستغفِره، ونستهدِيه ونتوب إليه، ونعُوذ بالله من شُرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا.

أمَّا بعد؛ فيا أيُّها الناس:

توبُوا إلى الله – تعالى – قبْل أنْ تموتوا، وبادِرُوا بالأعمال الصالحة قبل أنْ تُشغَلوا، وصِلُوا الذي بينَكم وبين ربِّكم بكثْرة ذِكرِكم له والصدقة ابتِغاءَ وجهه في السرِّ والعلانية؛ تُرزَقوا وتُنصَروا وتُجبَروا، واغتَنِموا لحظات الزمن وفُرَص الحياة بالأعمال الصالحات قبلَ مُضِيِّها وانصِرامها؛ فإنَّ الليالي والأيَّام خزائنُ تُستَودَع فيها الأعمال، ومَطايَا الأحياء إلى الآجال، وستَمضِي إلى ربها شاهِدةً لكم أو عليكم بما استَودعتُمُوها، حافظةً لما ائتمَنتُموها، معاتبةً لكم إنْ ضيَّعتموها؛ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: 30].

ألاَ وإنَّ الدنيا قد ولَّت مُدبِرة، والآخِرة قد ارتَحلَتْ مُقبِلة فكونوا من أبناء الآخِرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإنَّ اليوم عملٌ ولا حساب، وغَدًا حسابٌ ولا عمل، فاستَبِقوا الخيرات، وأقبِلُوا على جليل الطاعات وعظيم القربات، وسابِقُوا إلى المغفِرة والجنَّات وتنافَسوا في الفوز بأعلى الدرجات قبل المَمات؛ فعن النبي ﷺ قال: ((إذا مات ابنُ آدم فقد انقطَع عملُه إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتَفع به، أو ولد صالح يدعو له)).

وعنه ﷺ قال: ((ويتبع الميت ثلاثٌ فيَرجِع اثنان ويَبقَى واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله)).

فالعمل أيُّها المسلمون هو الصاحب في السفر إلى الآخِرة، والجليس في القبر دار الغربة، والشافع يوم الهول والكربة، فاعمَلُوا صالحًا تَجِدُوه، وأحسِنُوه تحمدوه، واتَّقوا ربَّكم واحذَرُوه، فإنَّكم كادِحُون إليه كدحًا فمُلاقُوه، فلا تغرَّنَّكم المهلة، فما أسرع النقلة! فكأنَّكم بملائكة الموت وقد حضَرَتْ، وبصحف الملائكة وقد طُوِيَتْ، وبالروح وقد غرغرَتْ، فيا لهول المفاجأة ويا لعظم المصيبة، فكم من محسنٍ يَوَدُّ الزِّيادة من الإحسان، وكم من مُسِيءٍ يودُّ لو أُمهِل

ليصلح عمله ويتوب إلى ربِّه من الفسوق والعصيان.

أيها المسلمون:

اشكُرُوا نِعَمَ الله تُصبِحوا من المحبوبين لديه، واغتَنِموا فُرَص الحياة فيما يقرِّبكم إليه، وتذكَّروا حالَكم حين الوقوف بين يدَيْه، واعلَمُوا أنَّ يوم الجمعة من نِعَمِ الله العظيمة ومِنَحِه الكريمة، التي اختَصَّ الله بها هذه الأمَّة المحمديَّة من بين الأُمَم، ومنَحَها مَزاياه وفضائله؛ لما له - سبحانه - من جليل الحِكَم، فجعَلَه - تعالى - عِيدًا لهذه الأمَّة المرحومة في كلِّ أسبوع، يَتنافَس فيها العِباد بأنواع العمل المشروع، ويَفرَحون بما ادَّخَر الله لهم فيه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا مَن أتى الله بقلب سليم، فكم فيه من نفيس القربات، وكم فيه من أسباب تكفير السيِّئات وزيادة الحسنات، وكم فيه من مُوجِبات رفعة الدرجات وإجابة الدعوات؛ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: 10 - 11].

أيها المسلمون:

صَحَّ في الحديث عن نبيِّكم محمد ﷺ أنَّه قال: ((أضَلَّ الله عن الجمعة مَن كان قبلَنا؛ فكان لليهود يوم السبت، وكان للنَّصارَى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبعٌ لنا يومَ القيامة؛ نحن الآخِرون من أهل الدنيا، الأوَّلون يوم القيامة، المقضِيُّ لهم قبلَ الخلائق وأوَّل مَن يدخُل الجنة)).

ولقد نبَّه ﷺ على شيءٍ ممَّا جرَى في هذا اليوم العظيم من الحوادث المهمَّة، وما اختصَّه الله به من الفضائل لهذه الأمَّة؛ ففي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة - رضِي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: ((خيرُ يومٍ طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خُلِق آدم، وفيه أُدخِل الجنة، وفيه أُخرِج منها))، وفي روايةٍ أخرى: ((لا تقومُ الساعة إلاَّ يوم الجمعة)).

وفيه أيضًا عنه - رضِي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَن اغتَسَل يومَ الجمعة واستاك ومَسَّ من طيب - إنْ كان عنده - ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرَج حتى يأتي المسجد فلم يَتَخطَّ رِقاب الناس حتى ركَع ما شاء الله أنْ يركع، ثم أنصَتَ إذا خرَج الإمام فلم يتكلَّم حتى يفرغ من صلاته - كانت كفَّارة لما بينها وبين الجمعة التي قبلها)).

وفي رواية: ((مَن اغتَسَل ثم أتى الجمعة فصلَّى ما قُدِّر له، ثم أنصَتَ حتى يفرغ من خطبته، ثم يُصلِّي معه - غُفِر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيَّام، ومَن مَسَّ الحَصَى فقد

لغا)).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضِي الله عنه - أنَّ رسولَ الله ﷺ ذكَر يوم الجمعة فقال: ((فيه ساعةٌ لا يُوافِقها عبدٌ مسلم وهو قائمٌ يصلِّي يسأل الله - تعالى - شيئًا إلا أعطاه إيَّاه))، وأشار بيده يُقلِّلها.

ورُوِي عنه ﷺ أنَّه قال: ((سيِّد الأيَّام يوم الجمعة، وأعظَمُها عند الله - تعالى - وأعظَمُ عند الله - عزَّ وجلَّ - من يوم الفطر ويوم الأضحى)).

أيها المسلمون:

ولئنْ كان التبكير إلى المساجد يوم الجمعة سنَّة مهجورة من قِبَل الكثيرين من الناس هذه الأزمان، فلقد كان نبيُّكم ﷺ يحثُّ عليها ويُرغِّب فيها، ويعدُّها من جليل الصدقات ونفيس القربات، وأسباب السبق إلى المنازل العالية في الجنَّات؛ ففي الصحيح عنه ﷺ قال: ((مَن اغتَسَل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راحَ - يعني: في الساعة الأولى - فكأنما قرَّب بدَنَةً - أي: تصدَّق بها لله - ومَن راح في الساعة الثانية فكأنما قرَّب بقرةً، ومَن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرَّب كبشًا أقرن، ومَن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرَّب دجاجة، ومَن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرَّب بيضة، فإذا خرَج الإمام حضَرَت الملائكة يستَمِعون)).

وفي حديثٍ آخَر قال ﷺ: ((إذا كان يومُ الجمعة وقَفَت الملائكة على باب المسجد يَكتُبون الأوَّل فالأوَّل، ومثل المهَجِّر - أي: المبكِّر إلى الجمعة - كمثل الذي يهدي بدنه ثم كالذي يهدي بقرةً ثم كبشًا ثم دجاجة ثم بيضة، فإذا خرَج الإمام طوَوْا صحفهم وجاؤوا يستَمِعون الذكر)).

أيُّها المسلمون:

حُقَّ لِمَن قَرَأ هذين الحديثين أنْ يُنكِّس الرأس خَجَلاً من الله وحياءً من الملائكة الكِرام، وشفَقَةً على عِباد الله وخوفًا عليهم؛ إذ يُفرِّط كثيرٌ منهم بهذا الخير الكثير، فكم من الفرْق الكبير بين مَن يُهدِي البَدَنةَ لتبكيره والذي لا يهدي شيئًا؛ لأنَّه جاء بعدما طوَتِ الملائكة صُحفَها.

وكم من جمعةٍ تَطوِي الملائكة فيه صحفها ولم تسجل فيه من السابقين إلا القليل، ومعظمهم ممَّن هو كمهدي البيضة، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ما هذا الزهد في الأجر؟ وما

هذه الغفلة عن عظيم الذخر؟ ألم يبلغهم قوله ﷺ: ((مَن غسَّل يوم الجمعة واغتَسَل، وبَكَّر وابتَكَر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستَمَع ولم يلغُ كان له بكلِّ خطوةٍ عمل سنة أجر صيامها وقيامها))؟ ألم يعلموا قوله ﷺ: ((لو يعلَمُ الناس ما في النِّداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلاَّ أنْ يستَهِموا عليه لاستَهمُوا))؟ ألم يعلَمُوا أنَّ الناس في المنازِل في الجنَّة على قدْر تَبكِيرهم إلى الجمعة؛ فزيادة الفضل وعظيم الأجر ومزيد القرب من الله - تعالى - بحسب نصيبهم من الصُّفوف.

أيها المسلمون:

تنافَسوا - رحمني الله وإيَّاكم - في هذا الخير العظيم الذي جعَلَه الله في يوم الجمعة لِمَن استنَّ بسنَّة النبيِّ ﷺ في ذلك، فنَظِّفوا أبدانَكم، والبسوا من أحسن ثيابكم، واستاكوا وتطيَّبوا من طِيبِكم، وبكِّروا إلى الجمعة بسكينةٍ ووَقار، وتَنافَسوا في الصفِّ الأوَّل ثم الذي يَلِيه دون أنْ تؤذوا أحدًا من إخوانكم، وصلُّوا من النوافل ما كتَب الله لكم، وأكثِرُوا ذكرَ الله وتِلاوَة كلامِه وأنواع ذِكرِه، واسألوه - سبحانه - المزيدَ من فضله، والتَزِمُوا الأدبَ النبوي والنهجَ المحمدي، تكونوا من السابقين إلى الخيرات، الفائزين بأعلى الدرجات؛ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 54].

وإيَّاكم والتخلُّف عن هذا الخير، والتهاوُن بتلك السنن؛ ففي الصحيح: ((لا يَزال أقوامٌ يتأخَّرون حتى يُؤخِّرهم الله)).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: 10 - 14].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعَنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستَغفِروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(التذكير بنعمة الله، والزجر عن التخلُّف عن الصلاة)

الحمد لله الذي كتَب الصلاة على المؤمنين وجعَلَها عمود الدين، وثانية فرائض ربِّ العالمين، أحمَدُه - سبحانه - على ما مَنَّ به من الهدى، وأشكُرُه على سَوابغ النعماء وجزيل العطاء، وأسألُه أنْ يجعَلَنا من أئمَّة الحق والتُّقَى.

وأشهَدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريك له، ذو العزَّة والجلال والعظَمَة والكَمال، فرَّق بين المؤمنين الصادقين والمنافقين المجرمين في الأعمال والمآل، فجعَلَ من صفة المؤمنين أنهم ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 2 - 11].

وقال في المنافقين المجرمين: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: 46 - 49].

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله أكرم البريّات، الذي جعلت قرَّة عينه في الصلاة، والذي أخبر أنَّ أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر، ولو يعلَمون ما فيهما - يعني: من الأجر - لأتَوْهما ولو حبوًا.

صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يُحافِظون على الصلوات في سائر الأوقات، ويُؤَدُّونها في المساجد مع الجماعات، فما يتخلَّف عنها - في عهدهم - إلاَّ منافق قد عُلِمَ نفاقُه، أو مريض يُقعِده مرضه، وإنْ كان المريض ليُؤتَى به يهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف.

أمَّا بعد؛ فيا أيها الناس:

اتَّقوا الله - تعالى - وأطيعوه، واذكُروه ولا تنسوه، واشكُرُوه ولا تكفُروه، فكم أسبَغَ عليكم في عامكم المنصَرِم من نعمة، وصرَف عنكم من نقمة، ونجَّاكم من فتنة، وعافاكم من بليَّة، وردَّ عنكم من كيْد، وكَفَّ عنكم من يد، وكبَت من حاسِد، أمَا تَمَّ الأمان؟ أمَا هجرتم الأوطان؟ أمَا لُذتُم بالقُرَى النائية والوديان، فعرفتم قيمة النعمة وثمرة الطاعة، فعاد الله عليكم

بجوده ولطفه، ونصركم بحوله وقوّته، وحفظ عليكم سوابغ نعمائه، وأمدَّكُم بجزيل عطائه، وجاد عليكم بأنواع آلائه؟ فأي نعم الله تنكرون؟ أم بأي آلائه تكذبون؟ ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69]، ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: 114]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: 20]، ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: 34]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: 11]، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: 26]، ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74].

عباد الله:

لقد مضى هذا العام المنصَرِم بعظيم أهواله ومتنوع أحواله، ومضى شاهِدًا على ابن آدم فيما أودَعَه من أعماله، وهكذا تمرُّ الأعوام وتَمضِي كأنها أضْغاث أحلام، تتغيَّر فيها الأحوال، وتنقَضِي فيها الآجال، وكثيرٌ من الناس أشباه الأنعام، يأكلون ويتمتَّعون ويعصون ويُجاهِرون، ويُلهِيهم الأمل فسوف يعلمون، كثيرٌ من الناس في غفلةٍ عن شكر النعمة، والحذر من فجأة النقمة، والاستعداد للنقلة، بل في انهماكٍ في الشهوات، وتضييعٍ للصلاة وأنواع الطاعات، وتلهُّفٍ على ما فات، أفكارُهم تدورُ على جَمْع الحطام، ونفوسُهم تتلوَّث بأوضار الذنوب والآثام، في سكرة الدنيا ونشوة الهدى، فليت شِعرِي متى تستيقِظ الضَّمائر؟ ومتى تستَنِير البصائر؟ فيكون همُّ أحدِهم حاله يوم القدوم على الملك الحي القيوم، فيسأله عن الكبير والصغير، والجليل والحقير، حتى عن الفتيل والقطمير؛ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: 92 - 93].

أيها المسلمون:

إنَّ من أعظم المنكرات الموبِقات التخلُّف عن الصلوات، وهجْر المساجد والجماعات، فكم توعَّد الله أهلَها ببليغ العقوبات إذا عصوا الله ورسوله جهارًا، واستكبَرُوا عن السجود لله استكبارًا، ﴿خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 59].

وغَيٌّ: قيل: إنَّه وادٍ في جهنَّم؛ شديدٌ حرُّه، بعيدٌ قعرُه، عظيمٌ هولُه.

فيا ويحهم ما أعظَمَ ما ارتكبوا، ويا ويلهم ما أسوَأَ ما اجترَحُوه في حق الرب الكريم المنعِم العظيم، مع أنهم في غاية الافتِقار إليه في حركات أنفاسهم، ودقَّات قلوبهم، ونبضات الدم في شرايينهم، فلو سكتَت القلوب فمَن يحركها؟ ولو انقَطعت الأنفاس فمَن يَصِلُها؟ ولو تجمَّدت الدماء في العروق فمَن يدفعُها؟ ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: 17]، ويحَه ما أغدَرَه! فمَن لهم غير الله لو كانوا يعقلون؟

أيُّها الإنسان الفقير:

ويحكَ؛ تعصي ربَّك الملك الكبير الذي لا غنى لك إلاَّ به، أم تَتكبَّر عن طاعة جبَّار السَّماوات والأرض وأنت منقلبٌ إليه؟ ابن آدم، أيُّها الكسلان، يا مَن تسمع الأذان فلا تجيب داعيَ الرحمن، بل تبقَى أسيرَ الشيطان، في البيوت مع النساء والولدان، هل تذكَّرت ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: 26 - 30].

ويحك؛ بأيِّ وجهٍ تَلقَى الله؟ أبوجه إبليس الذي استَكبَر وأبى فأبلس من كلِّ خيرٍ في الدنيا والأخرى؟ أم بوجه فرعون الذي افتُتِن بالملك فتجبَّر وطَغَى؟ فأغرَقَه الله في الماء، وقال في عاقبته نصَّ الكتاب: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 46].

أيُّها الناس:

إنَّ تارِكَ الصلاة عاصٍ للرحمن ومُتَّبِعٌ للشيطان؛ فإنَّه أوَّل مَن امتَنَع عن السجود بنصِّ القرآن، وسيُحشَر مع مَن يليق به في المنزلة ويُساميه ممَّن سبَقَه ممَّن تمرَّد على ربِّه وبارِيه، فإنْ كان ملكًا أو رئيسًا شغَلَه ملكُه ورئاسته، فسيُحشَر مع فرعون الذي شغَلَه ملكُه ورئاسته عن طاعة الرحمن الملك الديَّان، وإنْ كان وزيرًا أو سكرتيرًا لجبَّار، فشغلَتْه وظيفتُه عن طاعة الواحد القهَّار، فسيُحشَر مع هامان وزير فرعون، ويا هول ما سيُلاقون، وإنْ كان غنيًّا أبطَرَه غِناه فلم يجب داعي الله، فسيُحشَر مع قارون تاجر بني إسرائيل الذي شغَلَه غناه عن طاعة ربِّه ومولاه، فخسَف الله به الأرض، فهو يتَجلجَل فيها إلى يوم يَلقاه، وسيشقى بماله فلا تسأل عن حاله، وإنْ كان صاحب بيعٍ وشراء ألهاه الصفق في الأسواق، فتخلَّف عن الصلاة حتى

اسودَّ قلبُه بالكفر والنِّفاق، فسيُحشَر مع أُبَيِّ بن خَلَفٍ تاجر أهل مكة الذي أهلَكَه الله شرَّ هلكة، ولا تسأل عن مَنزِلِه في النار فهو في شرُّ دركة.

أيُّها المسلمون:

شتَّان بين المؤمنين المصلِّين المفلِحين الذين يُحشَرون إلى الرحمن وفدًا؛ ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69]، وبين المنافقين المجرِمين الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يُراؤون وإذا قيل لهم: اركَعوا، لا يركَعون، وسيُحشَرون مع أكابر المجرمين الملعُونِين في الدارين، مع فرعون وهامان وقارون وأكابر مشرِكِي قريش، غدًا يُساقُون إلى جهنَّم وِرْدًا، وتُقطَّع لهم ثياب من نار؛ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: 19 - 22].

يا مَن تُدعَون إلى السجود فلا تُجِيبُون وأنتم سالِمون، تذكَّروا حالَكم يوم القيامة في العَرَصات، حين يأتي الله في هذه الأمَّة من كلِّ الفئات، فيَسجُد له عِبادُه المؤمنون المصلُّون، الذين كانوا على صلواتهم يُحافِظون، وفي سائر الأحوال والأوقات إلى الخيرات يُسارِعون، وأمَّا المنافقون الذين من شأنهم التخلُّفُ عن الصلوات، وهجَرُوا المساجد والجماعات، فيذهب أحدهم كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا؛ أي: لا ينحي ظهرُه فيستطيع السجود، وهذا ما أشار الله إليه، يقول الكريم: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: 42 - 43].

وتذكَّروا حين يُنصَب الصراط على جهنَّم للمرور، وهي من تحته تَغلِي وتَفُور، لها تغيُّظ وزَفِير، والصراط دحض ومزلَّة، وعليه كلاليب وحسكة، تخطَف مَن أُمِرَتْ بخطفه، وهو ظلمةٌ مدلهمة، ويُعطَى كلُّ أحدٍ نورًا بحسب عمله في الدنيا.

فأمَّا المؤمنون المصلُّون فنورُهم يُضِيء لهم الطريق، ويثبت على الصراط لما سبق لهم من التوفيق، ويَقِيه حرَّ النار، حتى تقول جهنم لأحدهم: يا عبد الله، جُزْ فقد أطفأ نورُك حرِّي.

وأمَّا المضيِّعون للصلاة المتَّبِعون للشهوات فيُعطَوْن نورًا بقدر حظِّهم من الإيمان والصلاة،

فإذا مرُّوا على الصراط ما شاء الله انطَفَأت الأنوار، وتحقَّقت الأخطار، وتحتهم جهنَّم وبئس القرار، فينادون أهل الإيمان يَطلُبون منهم أنْ يُسعِفوهم بشيءٍ من الأنوار، فلا يُسعِفونهم لأنَّ كلَّ أحدٍ مشغولٌ بنفسه؛ ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: 12 - 15].

فحافِظُوا عبادَ الله على الصلاة، وأدُّوها في المساجد مع الجماعة؛ فإنها نورٌ للعبْد في الدنيا والآخِرة، وذخرٌ له في الجنَّة؛ قال ﷺ: ((بَشِّروا المشَّائين في الظُّلَم إلى المساجد بالنور التامِّ يوم القيامة))، وفي الحديث: ((والصلاة نورٌ، والصدقة بُرهانٌ)).

أيها المسلمون:

ويوم القيامة يَتساءَل أصحابُ اليمين وهم في جنَّات النعيم عن المجرمين، فيُريهم الله إيَّاهم في دركات الجحيم، فيسألونهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: 42 - 43].

فكفى بهذا وعيدًا وتهديدًا وزجرًا أكيدًا للمتخلِّفين عن الصلوات، المفارِقين للجَماعات، وأنهم قد أخَذُوا بعملٍ يُوصِلهم إلى سقر وبئس المستقر.

فاتَّقوا الله أيها المؤمنون، وحافِظُوا على فرائض ربِّكم، وأدُّوا الصلاة جماعةً مع إخوانكم في بيوت الله التي أَذِنَ الله أنْ تُرفَع ويُذكَر فيها اسمُه، ينجز لكم من الخير ما وعَدَكم، ويكفكم شرَّ وهولَ ما ينتَظِركم؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعَنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستَغفِروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(من أوصاف المؤمنين في القرآن)

الحمد لله الذي يَهدِي مَن استَهداه، ويُجِيب مَن دَعاه، ويُجِير من استَجارَه ولاذَ بحماه، ويُضِلُّ مَن أعرَضَ عن ذكره واتَّبَع هواه، أحمَدُه - سبحانه - لا معبود بحق سواه، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الكريم، العليمُ الحكيم، الرَّؤوفُ الحليم، البرُّ الرحيم، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، العبد الشَّكور والرَّسول المنصور، المثنَى عليه من ربِّه الغفور بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أئمَّة الهدى ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: 17].

أمَّا بعد؛ فيا أيها الناس:

اتَّقوا الله - تعالى - وأَطِيعُوه، واتلُوا كتابه وتدبَّرُوه، وتفكَّروا فيه واعمَلُوا بما فيه، وتخلَّقُوا به، واهتدوا به، وادعوا إليه تكونوا من المؤمنين المتَّقِين المحسِنين المقرَّبين فإنه ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: 15 - 16].

وهو بيانٌ للناس وهُدًى وموعظةٌ للمتَّقِين، وتبيانٌ لكلِّ شيء، ودليلٌ على كلِّ خير، ونذيرٌ من كلِّ شر؛ كما قال ربنا - سبحانه - في محكم بيانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: 9 - 10].

أيها المسلمون:

إنَّ من أعظم بَيان القرآن وهدايته للتي هي أقوم وموعظته وبشارته، ما ذكَر الله - تعالى - فيه من أوصاف المؤمنين وسَجايا المحسنين في معرض الثناء عليهم، والتَّنويه بفضلهم، وبيان عُلُوِّ درجتهم وشرف منزلتهم، والتي شَهِدَ الله - تعالى - لهم بموجبها بالصلاح، ووعَدَهم عليها بالفلاح وقطع بأنهم هم الفائزون الذين فازُوا بالأجْر العظيم والثواب الكريم والنَّعيم المقيم، واقرَؤُوا إنْ شئتم قولَه - تعالى -: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[البقرة: 2 - 5].

وقوله - سبحانه -: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177].

فوصَفَهم - سبحانه - بالتقوى التي حقيقتها: اتِّخاذ ما يَقِي سخطَ الله وعذابَه بامتثال أوامر الله واجتِناب نواهيه، وهي السبب الأكبر لحصول الهداية والانتِفاع العظيم بالآيات الشرعيَّة والكونيَّة، والوَسِيلة العُظمَى لتَنفِيس الكرب وحصول الفرج، وتيسير الأمر، وسَعَة الرِّزق، ومغفرة الذنب، وتَكفِير الخطيئة، والزحزحة عن النار، والفوز بالجنَّة، وسُكنَى المنازل العالية فيها عند مليكٍ مقتدر.

ووصَفَهم - سبحانه - بالإيمان بالغيب، وهو التَّصديق التامُّ بكلِّ ما أَخبرَتْ به الرُّسُل، ويَدخُل في ذلك جميعُ ما أخبَرَ الله - تعالى - به من الغُيُوب الماضية والمستقبَلَة، وأحوال البرزخ والدار الآخرة، وحقائق أوصاف الله وكيفيَّتها، فأهلُ الإيمان يُصدِّقون بذلك كلِّه تَصدِيقًا تامًّا عن علمٍ ويقين يقتَضِي العمل الصالح بالقلب واللسان والجوارح والحواس.

أيها المؤمنون:

ومن أوصاف أهل الإيمان التي أشادَ الله - تعالى - بها في القرآن: إقامة الصلاة ظاهرًا بإتمام أركانها، وواجباتها، وشروطها، وأركانها، وسننها، وأدائها في المساجد مع جماعة المسلمين، وباطنًا بالخشوع لله - تعالى - فيها، وحضور القلب، وتدبُّره لذكرها وأحوالها، والمحافظة عليها في سائر الأحوال، كما أشار - عزَّ وجلَّ - إلى ذلك بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: 1 - 2].

ثم أردَفَ - سبحانه - بذكر أوصافهم الجميلة وأعمالهم الجليلة، التي هي في الحقيقة من آثار الإيمان والخشوع في الصلاة والمحافظة عليها، حتى قال - سبحانه -: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 10 - 11].

وفي ذلك من التذكير والتبشير، وحث أولي الهمم العالية والعزائم الماضية على التشمير والجد في السير، ما لا يَخفَى على أولي الأحلام والنهى؛ كما قال - سبحانه - في آيات

أخرى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[النور: 36 - 38].

أيها المؤمنون:

ومن الأوصاف الكريمة والخِصال العظيمة التي سمَّى الله أهلَها بالمحسنين، وأخبَرَ أنهم من أحباب ربِّ العالمين ما أشار إليه - سبحانه - بقوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134].

أي: يُنفِقون ابتغاءَ وجه الله وطمعًا في ثوابه في عُسرِهم ويُسرِهم، فإنْ أيسَرُوا أكثَرُوا من النفقة الواجبة والمستحبَّة، وإنْ أعسَرُوا لم يحتَقِروا من المعروف شيئًا ولو قَلَّ، ويكظمون ما في قلوبهم من الغيظ على مَن يُؤذِيهم من الناس، ويَصبِرون عن مُقابَلة المسِيء إليهم بمثْل فعلِه، ولا يقتَصِرون على ذلك فحسْب بل يَعفُون عنهم، والعفوُ أبلَغُ من الكظم؛ لأنَّ العفو تركُ المؤاخذة مع السَّماح عن المسِيء طمعًا في عفو الله، ولعِلمِهم أنَّ مَن عفَا وأصلَحَ فأجرُه على الله؛ ولذلك وصَفَهم الله بالإحسان، وبشَّرَهم بالمحبَّة وغيرها من ثَواب المحسِنين؛ لأنَّهم أحسَنُوا في عبادة الخالق؛ إذ أخلَصُوا له العمل، وتابوا إليه من الخطأ والزَّلَل، وعظَّموا شعائر دينه وحرماته، وسعَوْا جهدَهُم ليل نهار في تحصيل مرضاته، وأحسَنُوا في معاملة الخلق ببذلِ النَّدى، وكفِّ الأذى، واحتِمال الأذى، فقاموا بحقِّ الله وحقِّ عباده مُؤتَمِّين في ذلك بنبيِّهم محمد ﷺ عبد الله وخاتم أنبيائه ورسله إلى عباده، فصارُوا لله مُستَسلِمين مُخلِصين، وبعبادته [ولعبادته.ت.أ] مُحسِنين، فيا بُشرَاهم يوم يُبعَثون ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة: 112].

أيها المؤمنون:

ومن جليل أوصاف المتَّقين الذي قطَع الله لهم بالفَوْزِ بالمغفرة يومَ العرض، وجنَّات عرضها السماوات والأرض، أنهم يعتَذِرون إلى ربهم من جِناياتهم وذنوبهم، فإذا صَدَرَ منهم أعمالٌ سيِّئة كبيرة أو ما دون ذلك بادَرُوا إلى التوبة والاستِغفار، وذكَرُوا ربَّهم الجبَّار القهَّار، وما توعَّد به العاصِين من الخزي والنار، فسألُوه المغفرةَ لذنوبهم، والستر لعيوبهم، مع إقلاعهم عنها

وحزنهم منها وندمهم عليها؛ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: 135 - 136].

فوَقاهُم الله شرَّ الذنوب، وأمَّنَهم من الكُرُوب، وأحلَّهم جنَّات فيها من النعيم المقيم، والبهجة والحبور، والبَهاء والخير، والسُّرور والقصور، والمنازل العالية، والأشجار المثمرة البهية، والأنهار الجارية في تلك المساكن الطيبة ممَّا لا يُحيط به إلا الله - تعالى - ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستَغفِروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(وسائل الأسفار وما ينبغي أن يقصده السُّفار)

الحمد لله ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 4 - 8].

أحمَدُه - سبحانه - ﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: 12 - 14].

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريك له، ذو الحكمة البالغة في الخلق والتدبير، له الملك وله الحمد، يُحيِي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخيرُ وهو على كلِّ شيءٍ قدير، وإنْ تكُ مِثقالَ حبَّة من خردلٍ فتكن في صَخرةٍ أو في السَّماوات أو في الأرض يَأتِ بها الله، إنَّ الله لطيف خبير.

وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، بعَثَه الله بالحنيفيَّة السمحة، وجعَلَه لهذه الأمَّة رحمةً، وللمؤمنين في الدنيا إمامًا وأسوةً، وفي الآخرة قائدًا وشفيعًا إلى الجنَّة، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه، الذين آمَنُوا به وعزَّرُوه ونصَرُوه، واتَّبعوا النور الذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلِحون، وكانوا يَضرِبون في الأرض يبتَغُون من فضْل الله، وليقاتلوا في سبيل الله، وليتفقَّهوا في الدين، وليُنذِروا قومهم إذا رجَعوا إليهم لعلهم يحذَرون.

أمَّا بعد؛ فيا **أيها الناس:**

أَطِيعُوا الله ربَّكم واخشَوْه في جميع أُمورِكم؛ فإنَّه مُطَّلِعٌ عليكم في سائر أحوالكم، فاتَّقوه في حال سفركم وإقامَتِكم؛ فإنَّ تقواه خيرُ الزاد في الدنيا ويوم المعاد، كما أخبرَكم وأمَرَكم بذلك ربُّ العِباد؛ إذ يقول في محكم الكتاب: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 197].

أيها المسلمون:

اشكُرُوا ربَّكم على سابغ نعمِه، واسأَلُوه المزيدَ من جوده وكرمه، واحمدوه على ما يسَّر لكم في هذا الزمان من وسائل الأسفار ونواقل الأخبار، وما هيَّأ للمُسافِر من أسباب الراحة في

غالب الأقطار؛ حيث أوجَدَ بحكمته وعظيم قدرته هذه السيَّارات الأرضيَّة، وتلك المراكب والاتِّصالات الفضائيَّة، التي أصبَحَ الإنسان يُسابِق بها لحظات الليل والنهار، ويطلع على حديث الأخبار، ويسعر الأسعار في بعيد الأقطار، ويتَّصِل بأهله وذَوِيه، وكثيرٍ ممَّن يحتاج إليه من شتَّى الجهات آناء الليل وآناء النهار، فتحقق بعض الوعود؛ إذ قَرُبَ البعيد، ونطَق الحديد، وتَقارَب الزمان، وتَجاوَرَت الأوطان، وهذا كلُّه والله من براهين التوحيد، الدالَّة على عظم حقِّ الله على العَبِيد، وصِدْقِ ما جاءَتْ به الرسل من ذي العرش المجيد، وكم في ذلك من الذكرى لِمَن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

أيها المسلمون:

كم في إيجاد هذه المصنوعات السائرة، وتلك الوسائل الباهرة، من آيات الإيمان المتكاثِرة! وكم أسبَغَ الله بها على العِباد من نعمه الباطنة والظاهرة! وكم في سوء استِعمالها من أنواع المخاطرة في الدنيا والآخرة! فاشكُرُوا الله - تعالى - على عظيم نعمته، واستَخدِموا هذه الأمور في طاعته، تفوزوا برِضاه ومحبَّته، اجعَلُوها عونًا لكم على تبليغ دينه ونشْر رسالته، مع تحصيل ما يُسافِر المرء من أجله من شريف بغيته ومباح حاجته، ولا تجعَلُوها مجالب لسخطه ونقمته؛ بأنْ تستخدموها في معاصيه، أو تتوسَّلوا بها إلى ما يغضبه ويُؤذِيه؛ ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت: 22].

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: 134].

فما أنتم بها عنه هاربين، ولا بواسِطتَها من ملكوته نافِذِين، ولا بغيره منه مُستَجِيرين؛ ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: 50].

أيها المسلمون:

امتطوا هذه المراكب، واغتَنِموا هذه المواهب، لإقامة ذِكرِه في أرضه، وهداية عباده إلى أداء حقِّه وفرضه، استَوُوا على ظهورها، واذكُرُوا نعمة ربكم حال استوائكم عليها، وحال سيرها، وامضوا عليها؛ طلبًا للفقه في الدين، وحجاجًا لبيت ربِّكم ومعتَمِرين، ولمسجد نبيِّكم ﷺ زائرين، امضوا عليها للتجارة، وابتَغُوا من فضْل الله، وادعوا إلى الله، وجاهِدُوا في سبيل الله، وتفقَّدوا أحوال عباد الله، اركَبُوا صَهْوَتَها، واغتَنِموا جدَّتها؛ لصلة الأرحام ولزيارة الإخوة في

الإسلام والعُلَماء الأعلام، اغذوا السير عليها لإسعاف المنكوبين، وإغاثة الملهوفين، وتذكير الغافلين، وتعليم الجاهِلين، والتعاون على كلِّ ما فيه مرضاة ربِّ العالمين، وإغاظة أعداء الدين، وسِيرُوا في الأرض لترَوْا بديع صنْع الله العليم الخلاَّق، وتُشاهِدوا آثارَ أسمائه الحسنى وصفاته العُلا في الأنفس والآفاق.

أيها المسلمون:

لعلَّ من حكمة الله في خلْق هذه المراكب، وإيجاد هذه الوسائل والمطالب، أنَّ الله - تعالى - لَمَّا قضى فيما مضى أنْ يَتقارَب الزمان، وأنْ تحصل الخلطة بين أجناس السكَّان، مع تباعُد الأوطان، وذلك من علامات قرب نهاية الزمان، فسخَّر تلك الأمور للناس هذا الأوان؛ ليستَنفدوا أرزاقهم، وليستَكملوا آثارهم، ويبلغوا ما كتب لهم من آمالهم وأعمالهم، على قصر أعمارهم، فاختُصِرت الدنيا لهم اختصارًا، وأظهر الله لأهل هذا الزمان فيما يحتاجون إليه حكمًا وأسرارًا؛ ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122].

معاشر المسلمين:

تذكَّروا أنَّ وسائل الأسفار، التي وفَّرها الله وسخَّرها في هذه الأعصار، شاهدةٌ لله - تعالى - على راكِبِيها بما يكسبونه من فعْل المأمور، أو يكتَسِبونه من الوقوع في المحظور، ويُبارِزون به السميع البصير القوي القدير من عظائم الأمور، فيا ويلهم ممَّا اقترفُوه يومَ يبعَث ما في القبور، ويحصل ما في الصدور، إنَّ ربهم بهم يومئذٍ لخبير، ألاَ فليتذكَّر راكب هذه الوسائل لحاجاته الظاهرة، أنَّه في واقع الحال في سفرٍ من الدنيا إلى الآخِرة، وأنهم حين يعجبون بفارهِ المطايا، فإنها تغذُّ بهم السير إلى مصارع المنايا.

عباد الله:

تذكَّروا حين تشرَعون في إعداد الزاد للرحلة إلى أيِّ قطرٍ من الأقطار، أنَّكم في حقيقة الأمر في رحلةٍ إلى دار القرار، وأنَّ الآجال قواطع الآمال، فتزوَّدوا بالتقوى وصالح الأعمال؛ ففي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: ((يُبعَث كلُّ عبدٍ على ما مات عليه))، وفي الحديث أيضًا: ((إذا أراد الله أنْ يَقبِض روح عبدٍ في أرضٍ جعَل له بها حاجة)).

فكم من مسافرٍ في ظاهر الحال لحاجته، ثم اتَّضح أنَّه مسافرٌ إلى مكان منيَّته، فلا تُسافِروا

إلا لمقصودٍ شريف وغرضٍ مباح، واحذَرُوا مَواطِن الفساد التي يُمتَهَن الدين فيها ويُستَباح، وكم من مسافرٍ للبغايا والخمور، وقدمُه تُوشِك أن تزلَّ في القبور! وكم من مُتَعلِّق قلبه بمساكن الكفَرَة، ومخالطة الفجَرَة، فيا ويحه ما أخسَرَه، فاتَّقوا الله عبادَ الله وأحسِنُوا القصد من هذه الأسفار، وسارِعُوا إلى الخير فيها تُكتَب لكم الآثار، خُذُوا من صالح الأعمال قبل حضور الآجال وانقطاع الأعمال، والوقوف بين يدي الكبير المتعال.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ * وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [غافر: 79 - 82].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعَنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستَغفِروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(الإصلاح بين الناس)

الحمد لله الذي نزَّل الكتاب وهو يتولَّى الصالحين، أحمَدُه - سبحانه - أمَر بالإصلاح وبشَّر فقال: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: 170].

وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، يَعلَم المفسِد من المصلِح، ولا يُصلِح عملَ المفسدين؛ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117].

وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، إمام الصالحين وقدوة المصلِحين، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يُصلِحون في الأرض ولا يُفسِدون، ويَأمُرون بالمعروف وينهَوْن عن المنكر، وأولئك من الصالحين، **أمَّا بعد:**

فيا **أيها الناس:**

اتَّقوا ربَّكم وأَصلِحوا ذاتَ بينِكم، وأَطِيعُوا الله ورسولَه إنْ كنتم مؤمنين، إنما المؤمنون إخوةٌ فأصلحوا بين أخوَيْكم، واتقوا الله لعلَّكم ترحمون، والصلح خير، وإنْ تحسنوا وتتَّقوا فإنَّ الله كان بما تعملون خبيرًا، قوموا بما أمَرَكم به ربُّكم من الإصلاح ينجز لكم ما وعَدَكم من الفلاح؛ من الخير العميم، والأجر العظيم، قال - تعالى -: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114].

أيها الناس:

إنَّ الاختِلاف بين الناس والخصومة فيما بينهم أمرٌ واقعٌ وله أسبابٌ كثيرة؛ منها: الشيطان الذي يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء، والنفس الأمَّارة بالسُّوء، والهوى المضلُّ عن سبيل الله، والشحُّ المهلِك، والنميمة المفسِدة، واشتِباه الأمور، وغير ذلك من الأسباب متفرِّقةً أو مجتمعةً، التي تُنتِج الخلاف وتُورِث الفتنة، حتى تفرق بين المحب وحبيبه، والقريب وقريبه، والصاحب وصاحبه، والنَّظِير ونَظِيره؛ حتى يهجر الولد أباه، والزوج زوجه، والأخ أخاه، والجار جاره، والشريك شريكه، والجماعة من مجتمعهم، وذلك أنَّه إذا دَبَّ الخلاف واشتدَّت الخصومة، فسَدَت النيَّات، وتغيَّرت القلوب، وتَدابَرت الأجساد، وأظلَمت الوجوه؛ فوقعَت الحالِقة التي لا تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، حيث يَسُوء ظنُّ المسلم بأخيه، وهو كما في الصحيح: ((الظن أكذب الحديث))، وتتفوَّه الأفواه بفاحِش القول وألوان البهت، وقد تمتدُّ

الجوارح إلى الضرب أو القتل وغير ذلك من القبائح.

وفي الصحيح عنه ﷺ قال: ((كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ: دمه، وماله، وعرضه)).

وحتى يحتقر المرء أخاه، وفي الصحيح عنه ﷺ قال: ((بحسْب امرئٍ من الشرِّ أنْ يحقر أخاه المسلم)).

ويقطع ما أمَر الله به أنْ يُوصَل من حقِّ الرحم وكل مسلم؛ فيقع المرء تحت طائلة قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: 25].

وحتى يَتهاجَر المسلمان، وقد قال ﷺ: ((لا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يهجر أخاه فوق ثلاث، يعرض هذا فيعرض هذا وخيرُهما الذي يَبدَأ بالسلام)).

وأخبَرَ ﷺ أنَّ مَن هجَر أخاه سنةً فهو كسفْك دمِه، وحتى يقع الحسد والتحريش بين المسلمين، وفي الحديث عنه ﷺ قال: ((إيَّاكم والحسد فإنَّه يأكُل الحسنات كما تأكُل النار الحطب))، أو قال: ((العشب)).

وقال ﷺ: ((إنَّ الشيطان قد أيس أنْ يعبده المصلُّون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم))، وذلك لما ينتج عنه من المفاسد، ولو لم يكن من شؤم الهجر والقطيعة إلا ما صحَّ عنه ﷺ أنَّه قال ﷺ: ((تُفتَح أبوابُ الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكلِّ عبد لا يُشرِك بالله شيئًا إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شَحناء، فيُقال: أَنظِروا هذين حتى يَصطَلِحا)).

معاشر المسلمين:

فإذا كان الاختِلاف بين المسلمين وما ينتج من الهجر والقطيعة بينهم تنتج هذه المفاسد العظيمة، والعَواقِب الوَخِيمة من الإثم وسوء الظن، والكذب والبهت، واستِحلال الحرمات، وانتِهاك العَوْرات والهجران واللعنة من الله، وذهاب الحسنات وتأجيل المغفرة أو حرمانها، فمَن ذا الذي يزعُم أنَّه يُؤمِن بالله واليوم الآخر وهو يعلم أنَّ بين اثنين من إخوانه - وخاصة الأقارب والأرحام - شحناء وقطيعة، ثم لا يبذل وسعَه وغايةَ جهدِه في الإصلاح بينهما؛ رحمةً بهما وشفقة عليهما، وطمعًا في فضل الله ورحمته، اللذَيْن وعَدَهما الله من أصلَحَ بين الناس.

أيها المسلمون:

إنَّ الصلح بين المسلمين من الصدقات التي ينبَغِي أنْ يتقرَّب بها المؤمن كلَّ يوم إلى ربه؛ شكرًا له على أنْ عافاه في بدنه، كما في المتفق عليه أنَّ النبي ﷺ قال: ((كلُّ سُلامَى من الناس عليه صدقةٌ، كلَّ يومٍ تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة))؛ أي: تصلح بينهما.

وروى الإمام أحمد وغيرُه أنَّ النبي ﷺ قال: ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟))، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إصلاح ذات البَيْن)).

ولَمَّا بلَغ النبيَّ ﷺ أنَّ بني عمرو بن عوف كان بينهم شرٌّ، خرَج رسولُ الله ﷺ يُصلح بينهم في أناسٍ معه حتى كادَتْ تفوتُه الصلاة بسبب ذلك، وفي روايةٍ قال: ((اذهَبُوا بنا نُصلِح بينهم)).

أيها المسلمون:

ومن أجل عظيم مَنافِع الإصلاح بين الناس رخَّص النبيُّ ﷺ في الكذب الذي يُثمِر الصلح، فقال: ((ليس الكذَّاب الذي يُصلِح بين الناس فيَنمِي خيرًا أو يقول خيرًا)).

ولم يرخِّص ﷺ في شيءٍ ممَّا يقوله الناس - أي: من الكذب - إلاَّ في ثلاث: لحربٍ، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

فاتَّقوا الله أيُّها المؤمنون وأَصلِحوا بين إخوانكم عند الاختِلاف، وتوسَّطوا بينهم عند النِّزاع والبغي، ولا سيَّما قراباتكم، ولا تتركوهم للشيطان وقُرَناء السوء يضلُّوهم عن سواء السبيل، ويهدوهم طريقَ الجحيم، أَصلِحوا بينهم تحفَظوا لهم دينهم، وتُحافِظوا على نعمتهم قبلَ زوالها، وتَفُوزوا من الله بالأجر العظيم والثواب الكريم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9].

بارَك الله لي ولكم في القران العظيم، ونفعنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر والحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستَغفِروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(من أضرار المعاصي وأخطارها الخاصة والعامة)

الحمد لله مُوقِظ القلوب الغافلة، بالتذكير والوعظ، المتفرِّد بتَصريف الأحوال والإبرام والنقض، المطَّلع على خلقه فلا يَخفَى عليه مثقال ذرَّة في السماوات والأرض؛ ولذلك حذَّر عباده من هول الموقف يوم العرض؛ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: 18].

أحمَدُه - سبحانه - على نِعَمِه التامَّات السابِغات، وأسأَلُه - تعالى - للجميع الوقاية من السيِّئات، والتوفيق للصالحات من أعمال اللسان والحواس والجوارح والنيَّات، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةً أرجو بها النجاة من العذاب الشديد، يوم لا تَكَلَّم نفسٌ إلا بإذنه فمنهم شقيٌّ وسعيد.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، الذي دعا إلى الإخلاص لله في التوحيد، والبراءة من الشرك والتنديد، وجاهَد في الله حقَّ جِهاده، حتى استَقامت الأمَّة على دين الله الحقِّ على رغْم أنْف كلِّ مُشرِكٍ عنيد، وكلِّ كارهٍ حاسد من كتابيٍّ أو مُنافِق بليد.

صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه، الذين طَهَّرَ الله بجهادهم البلادَ من شرْك الوثنيَّة، وبغْي اليهوديَّة، وضَلال النصرانيَّة، وكل منكر وفساد، فرَضِي الله عنهم وأرضاهم، ووعَدَهم كلَّ خيرٍ، وأثنى عليهم بكلِّ وصف جميل، وعملٍ صالح جليل، وجعَلَهم أئمَّة الناس والشُّهَداء عليهم في الدنيا ويوم المعاد، **أمَّا بعد:**

أيُّها الناس:

تُوبُوا إلى الله قبل أنْ تموتوا، وبادِرُوا بالأعمال الصالحة قبلَ أنْ تُشغَلوا، وصِلُوا ما بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له تَسعَدوا، وأَكثِروا من الصدقة تُرزَقوا، وأمُروا بالمعروف تخصبوا، وانهوا عن المنكر تُنصَروا، ولا تستَعمِلوا جوارح غذيت بنِعَم الله في التعرُّض لسخط الله بمعصيته، ولا تشتَغِلوا بأموالكم بما فيه ظلمُ عبادِه ومحاربته، واجعَلُوا شغلَكم بالتِماس مغفرته، واصرفوا همَّكم بالتقرُّب إليه بطاعته، وإيَّاكم ومحقرات الذنوب، فإنَّ لها من الله طالبًا، وإنهنَّ يجتمعنَ على المرء فيُهلِكنه.

أيها المسلمون:

اتَّقوا الله ربَّكم وأَطِيعُوه، وامتَثِلوا أمرَه ولا تعصوه، واقتفوا أثرَ نبيِّكم محمد ﷺ في جميع

أموركم وسائر أحوالكم واتّبِعوه، فإنّكم إنْ فعلتُم ذلك رجوتُم ألاَّ تُصابُوا بشيءٍ تكرهُونه، وإنْ خالَفتُموه فقد تُعاقَبون بما لا تُطِيقونه، فآمِنُوا باللّه وتَوَكَّلوا عليه في جميع الأمور، وأَحسِنوا الظنَّ به وتضرَّعوا إليه يَدفع عنكم الشُّرور؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: 38]، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3]، ومَن ضرع إليه مضطرًا زالَ كربُه.

أيها المسلمون:

اعلَمُوا أنَّ الله – تعالى – قد جعَل لكلِّ شيءٍ سببًا يجلبه، وآفة تذهبه، وقد جعَل – سبحانه – الطاعات أسبابًا لجلب النِّعَم، حافظةً لها، ووسائل لاستِقرارها وزيادتها، وكثرتها وتنوعها، فطاعة الله تُحفَظ بها النِّعَم الموجودة، وتُستَجلَب بها النِّعَم المفقودة، فإنَّ ما عند الله لا يُنال إلاَّ بطاعته، فاحفَظُوا بطاعة الله ما لديكم من النِّعَم، واطلُبُوا بها المزيد من ذي الجود والكرم، أمَّا المعاصي فقد جعَلَها الله أسبابًا مُذهِبة للنِّعَم، جالبَة للنِّقَم؛ فهي تُزِيل النِّعَم الحاصلة، وتقطع النِّعَم الواصلة؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأنفال: 53 – 54].

أيها المسلمون:

احذَرُوا المعاصي والذُّنوب، واتَّقوا خطرَها على الأبدان والقلوب، وانظُرُوا وتفكَّروا في بليغ أثرها في الأوطان والشُّعوب؛ فإنها والله سلاَّبة للنِّعَم، جلاَّبة للنِّقَم، مُورِثة لأنواعٍ عظيمةٍ من الفساد، ومُحِلَّة لأنواعٍ من الشُّرور والفِتَن والمصائب في البلاد، أمَا علمتُم أنَّ المعاصي بريدٌ للكفر، وقاصمةٌ للعمر، ونازعةٌ للبركة من الرِّزق، فكم سبَّبت من قلَّة، وأورثت من ذلَّة، وسوَّدتْ من وجه، وأظلمَتْ من قلب، وضيَّقت من صدْر، وعسَّرت من أمر، وحرَمت من علم، ألاَ وإنَّ العبد ليُحرَم الرزقَ بالذنب يُصِيبه، ويُحرَم العلم بالمعصية يقترِفها، وإنَّ من عقوبة السيِّئة فعْلَ السيِّئة بعدها؛ فإنها تحبِّب العاصي إلى جنسها، فتجره إلى مثلها، وتُوقِعه في نظيرتها؛ ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: 160 – 161].

وبذلك يَظهَر سرُّ دَوام تخلُّف بعض الناس عن الصلوات، وكسلهم في القِيام إليها في كثيرٍ من الأوقات، وإدمان كثيرٍ من العُصَاة تَعاطِي المسكرات وأنواع المخدرات، واستمرار آخرين منهم في أكل الربا، وإصرارهم على أنواعٍ من المنكر والفَحشاء، وكثْرة المتبرِّجات والمترجِّلات من النِّساء، فذلك من شؤم المعاصي على أهْلها، حتى إنَّ صاحِبَها لَيفعَلُها مع علمه بحكمها، وشدَّة ضررها، وعظيم خطرها؛ ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: 8]، ﴿قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 43].

أيها المسلمون:

ومن أعظم أضرار المعاصي أنها تنزع الحياء من نفْس العاصي، حتى يُجاهِر بها الداني والقاصي، ويُعلِنها بعد أنْ فتن بها واستحسَنَها، ويرى أنَّ الإصرار عليها ضرورة، والمجاهرة بها مَفخَرة، واعتبروا ذلك بِمَن فتن بإسبال الثياب، وحلْق اللِّحى، فإنَّه قد أعجب بالفتنة واستَبشَع السنَّة، ورأى المعصية حسنة وزينة، فلا يخرج من بيته للناس إلا وهو عاصٍ لربِّه، مخالفٌ لسنَّة نبيِّه ﷺ وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: ((كلُّ أمَّتي مُعافًى إلا المجاهرون)).

والإصرار على المعصية، والافتخار بالسيِّئة، واحتِقار الخطيئة - علاماتٌ على فَساد القلب، وذهاب الحياء، وانتِكاس الفطرة، وعَمَى البصيرة؛ ولذا تجد مَن هذه حالُه لا يُفكِّر في التوبة، ولا يخشى عاقبة الخطيئة، وربما خطَرتْ له التوبة ولكن يُبتَلَى بالتسويف، حتى يفجَؤُه الموت على حين غرَّة، فلا تُقبَل منه التوبة عند المعايَنة؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[النساء: 17 - 18].

فشرط قبول التوبة أنْ تكون المعصية بجهالة - وما عُصِي الله إلا بجهل - وأنْ تكون عن قرب زمن الخطيئة، ومَن تاب قبلَ الموت فقد تاب من قريب، فإنَّ ذلك علامةُ خشيةِ الله - عزَّ وجلَّ - ولا تُقبَل التوبة من المصرِّين على المعصية حتى الموت، ولا من كافرٍ مستمرٍّ على كُفرِه حتى حضرَه الموت، وقد قال ربُّ العالمين أحكَمُ الحاكمين لفرعون اللَّعين: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: 91].

أيها الناس:

ومن أخطر عقوبات المعاصي على الداني والقاصي أنَّ المعصية قد تعرض لصاحبها عند الوفاة فينشَغِل بها، وتصدُّه عن قول لا إله إلا الله، كما ذكَر ذلك العلامة ابن القيِّم - رحمه الله -: قيل لرجلٍ: قل: لا إله إلا الله، فقال: هو كافرٌ بما يقول، وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله فقال: كلَّما أردت أنْ أقولها فلساني يمسك عنها، وقيل لثالث - وكان شحاذًا -: قل: لا إله إلا الله، فقال: لله فُلَيس، لله فُلَيس حتى مات، وقيل لأحدهم - وكان تاجرًا -: قل: لا إله إلا الله، فقال: هذه القطعة رخيصة، هذا المشتري جيد، وكان رجلٌ من المطففين في الميزان فقيل له عند الموت: قل: لا إله إلا الله، فقال: لا أستطيع أنْ أقولها؛ لأنَّ كفَّة الميزان على لساني، عياذًا بالله من حسرة الفوت، والفتنة في الدنيا وعند الموت.

فتوبوا جميعًا أيُّها المؤمنون إلى بارئكم، واستغفِروه من جميع معاصيكم في حاضركم وماضيكم، وفِرُّوا إليه وحثُّوا الخطى؛ فإنَّه - سبحانه - يقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: 82]، واحذَرُوا أسبابَ سوء الخاتمة؛ فإنها والله الحادثة القاصمة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: 9 - 11].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعَنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(خطر المجاهرة بالمعاصي)

الحمد لله الحليم التوَّاب، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو ربي لا إله إلا هو، عليه توكَّلت وإليه مآب.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أفضل مُرسَل أُنزِل عليه خيرُ كتاب، صلَّى الله عليه وعلى آله وسائر الأصحاب.

أمَّا بعد؛ فيا أيها الناس:

اتَّقوا الله ربَّكم - تعالى - وأطيعوه، وراقِبُوه - سبحانه - واحذَرُوه، واقتَفُوا آثار نبيِّكم محمد ﷺ واتَّبِعوه؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 24 - 25].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 62].

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأنفال: 53 - 54].

أيُّها المسلمون:

إنَّ المجاهرة بالمعصية والاستهانة بعقوبة الخطيئة إثْمٌ كبيرٌ ووِزْرٌ عظيم، يَترفَّع عنها المؤمنون بالله؛ تعظيمًا له، وإجلالًا له، وخوفًا منه، ورهبةً وطلبًا للعفو والعافية والستر والمغفرة في الدنيا والآخِرة، ويُقدِم عليهما كلُّ جهول ضالٍّ عن سواء السبيل، قد طغَى وبغى، واتَّبع الهوى، وآثَر الحياة الدنيا، ونسي أنَّ جهنَّم لِمَن كان كذلك هي المأوى.

ولقد ذمَّ الله - تعالى - الأمم الخالية في العصور الغابرة ممَّن جاهَر بالعصيان، وأمِن مكرَ الملك الديَّان، فأخَذهم الله بالعذاب على غرَّة وهم في غيِّهم يَعمَهون، وهكذا سنَّة الله فيمَن عصاه؛ فإنَّ الله لَيُملِي للظالم حتى إذا أخذَه لم يُفلِته؛ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102]، ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ [طه: 128]، ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا

مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: 35].

أيها المسلمون:

وكم وجَّه الله - تعالى - أنظارَ عبادِه في القرآن إلى مَصِير تلك القرون من الأُمَم المكذِّبة؛ ليَذكُروا آلاء الله فيهم، ويتَّقُوا مَجالِب سخط الله عليهم؛ لئلاَّ يصيبهم ما أصاب الأمم قبلَهم من الملأ المستكبِرين وجموع المترَفين وأتباعهم من المخذولين الخاسرين؛ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ * أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ * وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: 97 - 102].

قال بعض السلف - رحمه الله -: بغتَ القومَ أمرُ الله، وما أخذ الله قومًا إلا عند سلوتهم ونَعْمتهم وغرَّتهم؛ فلا تغترُّوا بالله.

وفي الحديث: ((إذا رأيتَ الله يُعطِي العبدَ من الدنيا على معصيته ما يحبُّ فإنما هو استدراجٌ))، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44].

أيها المسلمون:

قال - تعالى -: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [الروم: 42].

وقال - سبحانه -: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: 70].

أمَا كفروا بالله؟

أمَا اتَّخذوا آلهةً سواه؟

أمَا كذَّبوا المرسَلين؟

أمَا تولَّوا عن الحق مستكبرين؟

أمَا طفَّفوا المكيال، وبخسوا الميزان؟

أمَا استباحوا الزنا وأتوا الذكران؟

أمَا أكلوا الرِّبا وأعلَنُوا الحرب به على المولى؟

أمَا رفضوا الشرائع السماويَّة، وحكموا أوضاع الجاهليَّة؟

أمَا كانوا أشدَّ ممَّن بعدهم قوَّةً وأثاروا الأرض وعمَرُوها أكثر ممَّا عمَرُوها، وجاءتهم رسلهم بالبيِّنات ففرحوا بما عندهم من العلم، وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزِئون؟ ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الروم: 10].

أمَا أصابتهم العقوبات، وحلَّت بهم المثُلات، وجعلَهم الله لِمَن بعدهم عِبَرًا وعظات؟ ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40].

أيها المسلمون:

وصدق الله العظيم إذ يقول مُعقِّبًا على عقوبات الهالكين من الغابرين: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[هود: 83]؛ أي: من المخاطَبين ومَن يبلغه القرآن على مَرِّ القرون وتَعاقُب السنين.

ويقول: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: 35]؛ أي: علامة واضحة على قوَّة الله القاهرة، وحكمته الباهرة وسنَّته الظاهرة، فيمَن عَصاه من القرون الغابرة، يعتَبِر بها العُقَلاء، ويتَّعِظ بها السُّعَداء، فيتوبوا إلى الله، ويَرجِعوا إليه قبل نُزُول البلاء وحلول أنواع الشَّقاء، اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من زَوال نعمتك، وتحوُّل عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك.

أيها المسلمون:

اعتبوا بحوداث الزمان، وسيروا النَّظَر في مُعظَم الأوطان؛ لتَرَوْا صِدقَ ما توعَّد الله به في القرآن، وما جاء عن نبيِّه محمد ﷺ من عَظِيم البَيان، فكم أهلَكَ الله من المعاصِرين، وكم أَشقَى في الحياة من الظالِمين، ممَّن أشبَهَ الأَكاسِرة والقَياصِرة وأمثالهم من الجبابرة، وكم أفنى

من جموعهم الظاهرة الفاجرة، وكم بطَش بالعديد من المجتمعات الآثِمة السائرة في حَياتها على نَهْجِ القرون المكذِّبة الغابرة أخذَهَم الله أخذًا وبيلًا؟

أمَا سلَّط الله بعضَهم على بعض، فأخذوا ما لهم، وانتزَعُوا الملك من أيديهم، وأجلوهم من الأرض؟

أمَا أرسَلَ الله على بَعضِهم الطوفان، وابتَلاهُم الله بالعظيم من فتن الزمان؟

أمَا أصاب الله الآخَرين بالجدب وتَوالِي السنين، وآخرين بجور الأئمَّة وأنواع الظَّلَمة؟

وكم أهلَكَ اللهُ من قريةٍ بالزلازل والخسْف، وأخرى بالحروب الأهليَّة وفرقة الصفِّ وشدَّة الخوف، أمَا ظهرت في هذه العصور شدَّة المؤونة وكثرة المجاعات، وانتشرتْ في العديد من المجتَمعات الأمراض المستعصِيَة والأوبِئَة المروِّعة في شتَّى الجِهات؟

أمَا ابتَلَى الله أوطانًا بالأعاصير الحسيَّة والمعنويَّة المهلِكة للحرث والنسل؟

أمَا أتى الله بُنيَان آخَرين من القَواعِد فخَرَّ عليهم السَّقف من فَوقِهم، وأتاهم العَذاب من حيث لا يَشعُرون؟

وصدَق الله العظيم إذ يقول مُتوعِّدًا: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: 51].

فلمَّا تَشابَهتْ قلوبُهم واتَّفَقوا على قَبِيح الفعال، وسيِّئ المقال، وفَساد الأحوال - أصابهم الله بمثْل ما أصاب به سلَفُهم من النَّكال.

أيها المسلمون:

لقد اتَّفق مُعظَم أهْل الأرض اليوم على الكفر بربِّ البريَّة، والتنكُّر للرسالة المحمديَّة، وعَظَّموا المعالم الشركيَّة، وحَكَّموا أوضاع الجاهليَّة، وظلَم بعضُهم بعضًا، واتَّخَذُوا دينَ الله وعِبادَه الموحِّدين غرَضًا، وأضاع كثيرٌ من المنتَسِبين للإسلام الصلاة، واتَّبَعوا الشَّهَوات، ومنَعُوا الزكاة، وانتَهَكُوا حُرمَة الصيام، وحجُّوا إلى المشاهِد الشركيَّة كما يحجُّون إلى البيت الحرام، وأكَلُوا الربا، وتعاطوا الرِّشا، واستحلُّوا الزنا، وظهَر فيهم التبرُّج والسُّفور، والكثير من مُحدَثات الأمور، وأعجب الكثير من مُثقَّفيهم بالدول الكافرة، وما فيها من القوانين الفاجرة، وخفي في كثيرٍ من مجتمعات الإسلام الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر، وقَلَّ الناهون عن الفَساد، وعطَّلُوا حقيقة فريضةِ الجهاد، وفرَّقوا دينَهم وكانوا شِيَعًا فصارُوا أحزابًا وطوائف هي في مُعظَم

ما هم عليه للكفَّار تبعٌ؛ فتسلَّطت عليهم قُوَى الاستِعمار، فاستَباحُوا الحرمات واحتلُّوا الدِّيار، فعاثُوا في الأرض الفَساد، ولحق ضررُهم بالحاضر والباد.

والمسلِمُون فيما بينَهم في اختلاف يجتَمِعون على غير اتِّفاق أو ائتلاف، وما ذاك إلا لتَحكِيم الهوى، وإيثار الحياة الدنيا، ونسيان حظ ممَّا ذكروا به، ومَن كان كذلك فإنَّ الله يُلقِي بينهم العَداوَة والبَغضاء، ويلبسهم شيعًا، ويُسَلِّط عليهم أذلَّ الأعداء، حتى يُراجِعوا دينهم، ويَأخُذوا بسنَّة نبيِّهم محمد ﷺ فإنَّ فيهما السلامة من كلِّ فتنة، والنَّجاة من كلِّ هلَكَة، والهدى إلى كُلِّ خيرٍ ونعمة؛ ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 123 - 124].

وصدَق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96]، ويقول: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 30 - 32].

ويقول: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 1 - 4].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(التحذير من خطر قسوة القلوب)

الحمد لله العزيز الغفَّار، الواحد القهَّار، العظيم الجبَّار، الذي خلَق الجن والإنس لتَوحِيده وطاعته وأنزل الكتب لأجله وجاء الإنذار، أحمَدُه - سبحانه - يُجِيب دعوة المضطر إذا دَعاه، ويَغفِر للمُسِيء إذا تاب إليه ورَجاه، ويجبر المنكَسِر إذا لاذَ بِحِماه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، الذي بلُطفِه تنكَشِف الشدائد، وبإحسانه تتواصَل النِّعَم والفوائد، وبتقواه وحسن الظن به تَجرِي الأمور على أحسَنِ العَوائِد، وبنَصرِه والتوكُّل عليه يندَفِع كيْد كلِّ كائد.

وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه النبي المصطفى المختار، الذي أخبر أنَّ الله يبسط يدَه بالنهار ليتوب مُسِيء الليل، ويبسط يده بالليل ليَتُوب مُسِيء النهار، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمَّة الأخيار.

أمَّا بعد؛ فيا أيها الناس:

اتَّقوا الله - تعالى - حقَّ التقوى، والتَمِسوا من الأعمال ما يحبُّ ويرضى، وراقِبوه - سبحانه - مُراقَبة مَن يَعلَم أنَّه يَسمَع ويَرى، وإيَّاكم والطغيان واتِّباع الهوى وإيثار الحياة الدنيا؛ فإنَّه بذلك هلَكتْ القُرُون الأولى.

عباد الله:

انتَبِهوا من غفلَتِكم، واستَيقِظوا من رقدتكم، تُوبُوا إلى ربِّكم، واهجروا الفَواحِش والشَّهوات المنسية لآخِرتكم، واتَّعِظوا بما أصاب غيرَكم قبل أنْ يتَّعِظ الناس بكم، أمَا أنذَرَكم ما سمعتُم من أخبارِ مَن ظلَم وطغى ممَّن غبَرَ؟ أمَا أيقَظَكم ما رأيتُم ممَّا أجْراه الله من حوادث القدر على أشباههم ممَّن حضرَ؟ أمَا أصابهم الله بعظيم عقوبات الذنوب؟ أمَا نزَلتْ منكم بالحمى وحلَّت بالساحة ليتوب مَن يتوب؟

أيها المسلمون:

إنَّ شرَّ ما أُصِيبت به النُّفوس، وضُرِبت به القلوب، وهلَكَت به الأبدان الغَفلَة عن الهدى، والإعراض عن مَسلَك الرشد، اتِّباعًا للهَوَى وإيثارًا للحياة الدنيا، وكم ذَمَّ الله الغافِلين ووصَفَهم بشرِّ الصفات ووعَدَهم بشَدِيد العُقُوبات؛ قال - تعالى - في محكم الآيات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ *

أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: 7 - 8].

وقال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: 179].

فهم أضلُّ من الأنعام، وجزاؤهم على غَفلَتهم النارُ وبئس المقام؛ لأنهم قصَرُوا هممهم على الطعام والشراب وتحصيل الملذَّات، واشتغَلُوا باللهْو والتمتُّع بمحرَّم الشهوات عن طاعة ربِّ الأرض والسماوات، فأسماعُهم عن الخير مُقفَلة، وأبصارُهم عن النظر في العَواقِب مُعطَّلة، وقلوبهم في وجْه الحقِّ مُغلَقة، تُتلَى عليهم الآيات وبَراهِين الحقِّ وهم عنها غافِلون، وتمرُّ بهم عظيمُ العِبَر ويبلغهم شرُّ الخبر فلا يعتبِرون، وتطرقهم القوارع وتَنزِل بساحتهم الفَواجِع، وهم بلهْوهم وملذَّاتهم وتجاراتهم مُشتَغِلون، خدَعَهُم طول الأمل، فشغَلَهم عن صالح العمل، والاعتِذار عن الزَّلَل، وفجَأَهم العذاب وهم على المعصية مُصِرُّون.

يقول - تعالى -: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ * فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: 4 - 5].

فاعترفوا بالخطيئة، ولم يُبادِروا بالتوبة؛ ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 43 - 45].

أيُّها المسلمون:

إنَّ من أعظم مَظاهِر قَسوَة القُلُوب، والغَفلة عن مُراقَبة علاَّم الغيوب - أنَّ الناس في هذا الزمان قد أحاطَتْ بهم الأخطار، وتوالَتْ عليهم نُذُرُ الجبَّار، وصارُوا يتوقَّعون شديدَ العقوبات ومُوجِبات الهلاك في أيِّ ساعةٍ من الليل أو النَّهار، ومع ذلك كثيرٌ منهم لا يَزالُون مُقِيمين على مُوجِبات غضبِ الله العظيم القهَّار، فالربا الذي آذَنَ الله أهلَه بالحرب تَتعامَل به البنوك، ويتعاطاه الصعاليك والتجَّار، ويَحتالُون على أكلِه بطرق ملتويَة جهارًا واستِهتارًا، وآخَرون من الناس جاهَرُوا بترْك الصلاة، وعطَّلوا المساجد من حضور الجماعات، وطائفة واطَؤُوا أنفُسَهم على منع الزكاة، وبذَلُوا الأموال في المحرَّم من الشهوات، وكم في بيوت

الكثيرين من الصُّوَر وقبيح الأفلام، وأصوات الغناء الماجنة التي تُبعِد الملائكة الكرام، وناهِيكَ بما عليه كثيرٌ من النِّساء من التبرُّج والسُّفور، وغير ذلك من مُنكَرات الأمور، وكم في البيوت من الكفَّار، وأصناف الأشرار، ونحوها ممَّا هو كفيلٌ بالعقوبة بخسْف الدار، وكم نسمع من وَقائع بيْع الذِّمَم بالرشوة يَتبارَى فيه أغنِياء الجيوب، فُقَراء النفوس والقلوب، وكم من مُؤسَّسة تُنافِس الأخرى بالدعاية للباطل، وتهيئة وسائل الرَّذيلة وذرائع انتِشار الجريمة! وكم في نواحي المجتمع وجهاته ممَّا فيه الإغراء بالفتنة، والحث على السَّير في رِكاب الشيطان من أنواع المجاهَرة بالعصيان، الدالَّة على عظيم الاستِخفاف بوَعِيد الملك العظيم الديَّان! أمَا يخشون علاَّم الغيوم؟! أمَا يحذَرُون عواقب الذنوب؟!

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ * أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 96 - 100].

بغَتَ القومَ أمرُ الله، وما أخَذَ الله قومًا إلا عند غفلَتِهم وسلوَتِهم، وحال غرَّتهم ونعمتهم، فإذا رأيتَ الله يُعطِي العِباد من الدنيا ما يحبُّون، وهم على معصيته مُقِيمون، فاعلَمْ أنَّه يستَدرِجهم من حيث لا يعلَمُون؛ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: 183].

أيها المسلمون:

إنَّ الجرأة على اقتِراف الخطيئة والمجاهَرة بالمعصية، والإصرار على تكرار الذنوب، والاستهانة بوَعِيد الله للظالمين - طُغيَانٌ ليس وراءه طُغيَان؛ ولذلك عظَّم الله الجزاء لعِظَم الذنب، وتوعَّد المجاهِرين بالمعصية بحرمان النِّعَم، وضَرُورة المؤاخذة بجريرة المجاهَرة، وربما حِيلَ بين المصرِّ على الخطيئة وبين المغفرة؛ ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: 18]، فالمصِرُّ على الخطيئة حتى يفجأه الموت والكافر إلى ساعة الموت، التوبة عنهم منفيَّة.

وفي الحديث الصحيح يقول ﷺ: ((كلُّ أمَّتي مُعافًى إلا المجاهرون))، فالمجاهِر ليس في عافية، والمصرُّ على الخطيئة مرتكبٌ لكبيرة، وكلاهما عرضة لعَذاب الله ونقمته وشدَّة غضبه،

وعظيم مُؤاخَذته؛ جزاءَ جُرأَتهم عليه، واستَهانتهم بما لديه.

فاتَّقوا الله عِبادَ الله، واعمَلوا جاهِدين بطاعته، وحَذارِ من المجاهَرة بمعصيته، أو الاستِخفاف بعقوبته؛ فإنَّ تلكم من أسباب الهلكة، وإنْ زلَّت بكم القدَم فبادروا فإعلان النَّدَم، وأسرِعوا بالتوبة وصِدقِ الأوبة قبل فَوات الأوان، فكلُّ ابن آدم خطَّاء وخير الخطَّائين التوَّابون، فأصلَحوا فساد قلوبكم، واسلكوا نهج السداد في أقوالكم وأعمالكم ومعامَلاتكم، يُصلِح الله لكم أحوالَكم، ويحفَظ نعمَه عليكم، وإلاَّ فإنَّ المعاصي على أهلها مشؤومة، فإنها تقصم الأعمار، وتمحو الآثار، وتُسلِّط الأشرار، وتجلب الأخطار، وتُحدِث في الأرض أنواعًا من الفَساد في المياه والهواء والثمار والدِّيار، وتجلب الحوادث المروِّعة، والمصائب الفاجعة، والأمراض الفتَّاكة، وهي تضرُّ بالقلوب أعظم من ضرر السموم في الأبدان، وكلَّما أحدَثَ الناس ذنبًا أحدَثَ الله لهم عقوبةً تَليقُ به عدلاً من الملِك الديَّان؛ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعَنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر والحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستَغفِروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(التذكير بمناسبة الإجازة الصيفية)

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونستهديه ونؤمن به، ونتوكَّل عليه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا.

أمَّا بعد؛ فيا أيُّها المسلمون:

اتَّقوا ربَّكم - تعالى - حقَّ التقوى، فإنَّ حقَّ التقوى أنْ يُطاع فلا يُعصَى، وأنْ يُشكَر فلا يُكفَر، وأنْ يُذكَر فلا يُنسى، فاستَعِينوا بنِعَم ربِّكم على طاعته، وإيَّاكم وبذلها في معصيته، أو تضييع شيءٍ من حياتكم في غير عبادته وما يُوصِلكم إلى مَرضاته وجنَّته، فإنَّ الحياة لحظاتٌ محدودة، وأنفاسٌ معدودة، والأعمال من ربِّكم مشهودة، وغدًا يقول الغافل عن الأجل، والمفرِّط في صالح العمل: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: 10 - 11].

ثم إنَّكم بعدَ ذلك بين يدي ربِّكم موقوفون فمُحاسَبون، وبأعمالكم مجزيُّون، وعلى تَفريطكم نادمون؛ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227].

فحاسِبُوا أنفسكم قبلَ أنْ تُحاسَبوا، وزِنُوها قبل أنْ تُوزَنوا، وتأهَّبوا للعرض الأكبر على الله؛ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: 18].

أيها المسلمون:

إنَّكم مسؤولون عن نِعَمِ الله عليكم: ماذا قابَلتُموها به من شُكرِه وعِبادته، ومحاسَبون على تَقصِيركم في الاستِعانة بها على ذِكرِه وطاعته، ويا ويحَ مَن بذَلَها في سخطه ومعصيته؛ قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: 8].

رُوِي عن النبيِّ ﷺ ما يفيد أنَّ الناس يسألون عن شبع البطون، وبارد الشراب، وظِلال المساكن، واعتِدال الخلق، ولذَّة النوم.

وثبَت أنَّ النبيَّ ﷺ خرَج يومًا من منزلِه بسبب الجوع فلقي أبا بكرٍ الصِّدِّيق - رضي الله عنه - في الطريق، فسألَه ما أخرَجَه، فقال: الجوع، ثم لقيا عمر - رضي الله عنه - فسألاه

عمَّا أخرَجَه، فقال: الجوع، فمضوا حتى أتوا نخلاً لأحد الأنصار - رضي الله عنهم - ففرح بهم فضيفهم، ذبَح لهم شاةً وقدَّم لهم عذقًا من النَّخل فيه بسر ورطب وماءً باردًا، فلمَّا أكَلُوا وشربوا من الماء البارد قال ﷺ: ((هذا من النعيم الذي ستُسألون عنه يومَ القيامة)).

أيها المسلمون:

وإذا كان الإنسان مسؤولاً عن الشبعة والشربة التي لم يُعانِ في تحصيلها مشقَّة، ولم يبذل فيها نفقة، فكيف بما نتمتَّع به هذا الزمان من ألوان النِّعَم، وأصناف المِنَن، من ذي الجود والكرم؟ لقد منَحَنا الله مِنَحًا كريمة، وأسبَغ علينا نِعَمًا عظيمة: عقيدةً صحيحة، ودينًا قويمًا، وعلمًا أثريًّا أصيلاً، وصحَّة في الأبدان، وأمنًا في الأوطان، ووفرة في الأرزاق، مع الإلفة والاجتماع على الخير والوفاق، ورفاهية في الملابس والمآكِل والمشارب، وراحة في المساكن والمراكب، وطمأنينة في النُّفوس، وكم لنا فيما يجري حولنا من العِبَر والدُّروس، وراحة من الهموم المقلِقة المنغِّصة، وفراغًا من الأشغال الشاقَّة المتعبة، وهذه والله نِعَمٌ كبرى قد نُزِعت من كثيرٍ ممَّن حولَنا من الأمصار، وحتى خلَتْ منها أوطان وأقطار، وما ذلك إلاَّ بسبب كفرهم لها، ومكرهم بها، آناءَ الليل وآناءَ النهار، فاشكُروا ربَّكم على سَوابِغ نعمه، واسألُوه المزيد من فضله وجُودِه وكرمه، واستيقِنوا أنَّكم عنها مسؤولون، وانظروا فيما به غدًا ستُجيبون، فأعدُّوا للسؤال جوابًا، وليكن الجواب صوابًا؛ فإنَّ كثيرين من الناس قد صرَفوا أعمارَهم وأموالهم وما متَّعَهم الله به في غير طاعته، وهذا خسرانٌ مبين، وأخسر منهم مَن بذل هذه الأشياء في معصية ربِّ العالمين، وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ قال: ((لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسأَل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيمَ فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن جسمه فيمَ أبلاه)).

أيُّها المسلمون:

لقد ذكَّركم ربُّكم بشيءٍ من جَلائل نعمته، وحثَّكم على شُكرِها والاستعانة بها على طاعته، بعد أنْ أمَرَكم بسرعة الاستِجابة لدعوته، وحذَّركم ممَّا يُصِيب به الظالمين من فتنته وشديد عقوبته؛ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: 24 - 26].

ولقد توعَّد ربُّكم بشديد العَذاب مَن كفر كما وعَد بالمزيد لِمَن شكَر؛ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

فاحذَرُوا عبادَ الله من كُفْرِ النِّعَم، فإنَّه مُوجِب للزوال والنِّقَم، واستَعِيذوا به من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، فإنَّ الفتن سلاَّبة للنِّعَم الكبرى، مورثة للمَصائِب العُظمَى.

أيُّها المسلمون:

إنَّ كثيرين من الناس اليوم بنِعَمِ الله يتمتَّعون، وبكفْرها يُجاهِرون، فلا ينسبونها إلى الله، ولا يستَعِينون بها على طاعته وهُداه، ولا يتَّقون ما يُسخِطه ويأباه، فتجدهم يَشبَعون ويتمتَّعون بأصناف النِّعَم، ثم يُضيِّعون فرائض الصلوات، ويرتَكِبون جهرةً عظيمَ المنكَرات، ويمضون أوقاتهم ويُهلِكون أموالهم في اللهو والغَفلة وأنواع المنكرات؛ ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: 3].

فكم من الناس مَن يسهَر الليالي الطوال على قَبِيح الأفلام، وكم منهم مَن يشغل المجالس بفاحش الكلام، وكم من الناس مَن يغتَنِم الإجازة للخروج للبراري والمنتزهات؛ لِيُقِيموا فيها أيَّامًا مُسرِفين في الطيِّبات، ويُباشِر - والله يَراه - فظيعَ المحرَّمات، وربما سهروا على عزْف وغِناء ترتجُّ منه الأرض والفَضاء، ويضجُّ مَن جاوَرهم من صالح العِباد إلى الله في الدعاء، يشكو إليه أذى هؤلاء؛ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 58].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: ((كلُّ أمَّتي معافًى إلاَّ المجاهرين))، فالمجاهر بالمعصية ليس في عافية، بل هو عرضة للعقوبة التي قد تحلُّ به فجأةً، و((إن الله ليُملِي للظالم حتى إذا أخذَه لم يُفلِته))؛ متفق عليه، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102].

أيُّها المسلمون:

ومن الناس مَن يُسافِر في الإجازات إلى بلاد الشِّرك والفساد، ومواطن الإلحاد وشِرار العباد، ليخلِّي بين نفسه وبين ما تشتَهِي من الشهوات المحرَّمة، والأفعال القبيحة، والمظاهر

المخزية، في مَواخِير الزنا، وحانات الخمور، وأماكن عَظائم الأمور، بعيدًا عن أنظار أهل الخير، وربُّك بما يعملون خبير؛ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: 42].

أيُّها المسلمون:

إنَّ قصْد ديار الكفَّار لغير غرضٍ شرعي ترجَّحت مصلحتُه ضررٌ محضٌ على الدِّين والنَّفس والعِرض؛ فإنَّه مع مظنَّة الوقوع في أنواع الفواحش والمنكَرات، وتضييع الفرائض والواجبات - مخاطرةٌ بالنفس بتَعرِيضها لِمَواطِن الهلكات، فضلاً عمَّا يُحِيط بالمرء من أخْطار لصوص القلوب، ولصوص الجيوب، والإقامة بين ظهراني الكافرين والمشركين بعلاَّم الغيوب، ووصف الله - تعالى - الذين ماتوا في ديار الكفر مع القدرة على الهجرة بالظالمين، وتوعَّدَهم بالنار مع الخاسرين؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: 18 - 19].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعَنا جميعًا بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستَغفِروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(في الاجتهاد بالخير في رمضان)

الحمد لله الذي بلَّغنا رمضان، ويسَّر لنا ما شرع فيه من خِصال الإيمان، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، جعَلَ رمضان موسمًا من مواسم الخير؛ تُفتَح فيه أبواب الرحمة والجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُصفَّد فيه الشياطين، وأشهَدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه سيِّد الصائمين، وأشرَفُ القائمين، وإمام المتَّقِين المحسِنِين، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، **أمَّا بعد:**

فيا **أيها الناس:**

اتَّقوا ربَّكم العظيم، واشكُرُوه إذ بلَّغَكم هذا الشهر الكريم، وسَلُوه - سبحانه - أنْ يُحبِّب إليكم فعلَ الخيرات، وأنْ يُعِينَكم على أداء ما شرَع لكم من الطاعات الواجِبات، والمستحبَّات، وعلى ترْك المحرَّمات والمشتَبِهات؛ لتكونوا من المؤمنين حقًّا، والمتقين صدقًا؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 2 - 4].

وقال - تعالى - في صفة المتَّقين الذين أعدَّ لهم الجنة: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: 134 - 136].

فالمقبِلون على كتاب الله، المشتَغِلون بذكره، المطمئنون إليه، المتوكِّلون عليه، المحافِظون على الصلوات في المساجد مع الجماعات، المنفِقون ابتِغاءَ وجهِ الله في سائر الأوقات هم المحقِّقون للإيمان، الفائزون عند الله بالمغفرة والرزق الكريم في أعلى درجات الجنان، قد أحسَنُوا في عِبادة الله في فعْل أمَّهات الطاعات الواجِبات والمستحبَّات، وأحسَنُوا إلى عباد الله في بَذْل المعروف، وكظْم الغيظ، وكف الأذى، وتحمُّل الأذى ممَّن يبدر منه الأذى، طمعًا في أنْ يكونوا من المحسِنين المحبوبين عند ربِّ العالمين أرحم الراحمين.

وهم أشدُّ على أنفسهم منهم على غيرهم، فينهونها عن أهوائها ويمنعونها من ظلمها

وأخطائها، فهم معها في جهاد؛ خوفًا من ربِّ العباد، وطمعًا في عفوه ومغفرته ورحمته وجوده في الدنيا ويوم المعاد، فإذا تبيَّن لهم أنهم قد فعَلُوا فاحشةً أو ظلموا أنفسَهم فيما دون ذلك ذَكَرُوا الله، فخافُوا من عَواقِب مُجاهَرته بالمعصِيَة، والإصرار أمامَه على الخطيئة، فاستَغفروا لذنوبهم؛ لعِلمِهم أنَّه لا يَغفِر الذنوب إلا الله، ولا مَفَرَّ منه إلا إليه، فكَفُّوا عن المعصية وأظهَرُوا لله الندم عليها، وعزَمُوا على عدم العودة إليها، يعلَمُ الله ذلك من قلوبهم، فحلوا عقدة الإصرار، ولَزِمُوا الاستغفارَ، وأتْبَعوا السيِّئات بالحسنات؛ طمعًا في أنْ يبدِّل الله سيئاتهم حسنات، وكان الله غفورًا رحيمًا؛ فحَقَّق - سبحانه - لهم المغفرَة وأثابهم الجنَّة.

أيُّها المسلمون:

إنَّ الصيام يُحقِّق للعبد التقوى، ويجعَلُه من ذوي الإحسان؛ فإنَّه يجتمع للصائم فيه الإقبال على الطاعات، والبعد عن المعاصي والسيِّئات، والإحسان إلى الناس بتحمُّل الأذى وكف الأذى، وبذل الندى، فيَفُوز بجميل العُقبَى.

أيها الصائمون:

عَمِّروا أوقاتكم بالأعمال الصالحة، فإنها هي التجارة الرابحة، وفرصَتُها اليوم لكم سانحة، فقد أعطاكم الله المهلة من الزمان، ومكَّنكم من العمل، وبلَّغكم رمضان، ورغَّبَكُم في خِصال الإيمان، فلا تُضيِّعوا هذا الشهر بالسهر في غير طائل، أو فيما يمكن استدراكه في غيره، وتفويت خير النهار بالنوم والكسل، والغفلة عن صالح العمل.

أيها الصائمون:

احفَظُوا صِيامَكم، فلا تُعرِّضوه لما يُفسِده أو يُخِلُّ به، أو يُذهِب أجرَه من الأعمال المحرَّمة والأقوال الآثِمة؛ فإنَّ كثيرين من الناس يُضيِّعون أوقاته وشَرِيف لحظاته بمشاهدة سيِّئ الأفلام، وسَماع الأغاني وغيرها من محرَّم الكلام، ومع ذلك يُباشِرون الغيبة، ولا يَتَورَّعون من السعي في النَّمِيمة، ومنهم الذين يَشهَدُون الزور، ويرتَكِبون - والله يراهم - عظائم الأمور، وما أكثر الذين يَقبِضون أيديهم عن بذل المعروف؛ ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: 19].

فاتَّقوا الله عبادَ الله في صيامكم، واشغلوا أوقاتكم فيما ينفَعُكم يومَ لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا مَن أتى الله بقلبٍ سليم، اجعَلُوا هذا الشهر الكريم مُنطَلَقًا لكم من أسْر الشهوات، ولجامًا لكم عن الوقوع في المحرَّمات والمشتبهات، وانتِصارًا لكم على النفس الأمَّارة بالسوء

والشياطين الذين يُزَيِّنون لكم سيِّئ العمل لأجل أن تعصوا الله - عزَّ وجلَّ.

واعلَمُوا أنَّ الأعمار بِمُضِيِّ الأوقات تُطوَى، والآجال تُدنَى، ورُبَّ ذي أملٍ بعيدٍ، ومباشر للمعصية عنيد، وملك الموت قد طَوَى صحيفته، ونَظَر في وجهه وتهيَّأ لقبض روحه، فليس لكم من أعماركم إلاَّ ما مضى في طاعة الله، وما سِواه فهو حسرةٌ وندامة يومَ القيامة، فاشكُرُوا الله إذ فسَح الآجال، ومكَّنكم من صالح الأعمال، ولا تُضَيِّعوا الأوقات بالغفلة والتفريط والإهمال، وزَيِّنوا صيامكم وقيامَكم وتلاوتَكم للقرآن بالجود والمال ابتغاء وجه الله، فإنَّ المال عارية مُستَرَدَّة، وليس لكم منها إلا ما أكَلتُم فأفنيتُم، أو لَبِستُم فأبلَيْتُم، أو تصدَّقتم فأمضيتُم، وما سوى ذلك فماضٍ عنكم، أو أنتم ماضون، فإنْ لم يترككم ستترُكونه، فانتَفِعوا منه ما دام بين أيديكم؛ ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: 39].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعَنا جميعًا بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

(التذكرة فيما بعد رمضان)

إنَّ الحمد لله نحمَدُه، ونستعِينه ونستَغفِره، ونستَهدِيه ونتوب إليه، ونَعُوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادي له، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا.

أمَّا بعد، أيها المسلمون:

اتَّقوا الله ربَّكم؛ فإنَّه عفو غفور جواد شكور، وهو وحده مُصرِّف الشهور، ومُقدِّر المقدور، يُولِج الليل في النهار، ويُولِج النهار في الليل، وهو عليمٌ بذات الصدور، وقد جعَل لكلِّ شيء أسبابًا، ولكلِّ أجل كتابًا، ولكلِّ عمل حسابًا، وما ربُّك بغافلٍ عمَّا تعملون، وجعل الدنيا سوقًا يغدو إليها الناس ويَرُوحون منها، فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها، وإنما يَظهَر الفرقان ويتجلَّى الربح من الخسران؛ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: 9 - 10].

أيها المسلمون:

تذكَّروا أنَّ الأيَّام أجزاءٌ من العمر، ومراحل في الطريق إلى المستقر، تفنونها يومًا بعد آخَر، ومرحلة تِلْوَ الأخرى، ومضيُّها في الحقيقة استنفاذٌ للأعمار، واستكمالٌ للآثار، وقربٌ من الآجال، وغَلْقٌ لخزائن الأعمال، إلى حين الوقوف بين يدي الكبير المتعال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30].

فاتَّقوا الله عبادَ الله في سائر أيَّامكم، وراقِبوه في جميع لحظاتكم، وتقرَّبوا إليه بصالح أعمالكم، والتوبة إليه من مَعاصِيكم وسيِّئاتكم.

الخطبة الثانية

أيها المسلمون:

في الأيَّام القليلة الماضية كنتم في شهْر رمضان شهر البركات والخيرات، شهر مُضاعَفة

الأعمال والحسنات، تصومون نهارَه، وتقومون ما تيسَّر من ليله، وتتقرَّبون إلى ربكم – سبحانه – بفعل الطاعات، وهجر المباح من الشهوات، وترك السيِّئات الموبِقات، ثم مَضَتْ تلك الأيَّام، وقطعتم بها مرحلةً من مراحل العمر والعمل بالختام، فمَن أحسن فليحمد الله وليواصل الإحسان، ومَن أساء فليتب إلى الله وليُصلِح العمل ما دام في وقت الإمكان.

واعلَمُوا أنَّ الله – تعالى – يُعطِي الدنيا مَن يحبُّ ومَن لا يحبُّ، ولا يعطي الدين إلا لِمَن أحبَّ، فمَن أعطاه الله الدين فقد أحبَّه، وإنَّ الله – تعالى – إذا أراد بعبده الخير فتَح له بين يدي موته بابَ عملٍ صالح يَهدِيه إليه، ويُيَسِّره عليه، ويُحَبِّبه إليه، ثم يتوفَّاه عليه، وكلُّ امرئ يُبعَث على ما مات عليه، فالزَمُوا ما هَداكم الله له من العمل الصالح، واحذَرُوا الرجوع إلى المنكرات والقبائح، فليس للمؤمن منتهى من العباد دون الموت؛ قال – تعالى –: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99].

فنهْج الهدى لا يتحدَّد بزمان، وعبادة الرب وطاعته ليست مقصورةً على رمضان، بل لا ينقطع مؤمنٌ من صالح العمل إلا بحلول الأجل؛ فإنَّ في استدامة الطاعة وامتداد زمانها نعيمًا للصالحين، وقرَّة أعين المؤمنين، وتحقيقًا لأمل المحسنين، يُعمِّرون بها الزمان، ويملؤون لحظاته بما تيسَّر لهم من خِصال الإيمان التي يثقل بها الميزان، ويتجمَّل بها الديوان، وفي الحديث: ((خيرُ الناس مَن طالَ عُمرُه وحَسُنَ عملُه)).

وفي الحديث المتَّفق على صحَّته عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((لا يتمنَّينَّ أحدُكم الموتَ؛ إمَّا محسنًا فلعلَّه يزداد، وإمَّا مسيئًا فلعلَّه يَستَعتِب)).

وفي روايةٍ لمسلمٍ عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((لا يتمنَّينَّ أحدُكم الموتَ ولا يدعُ به من قبل أنْ يأتيه؛ إنَّه إذا مات انقطَع عملُه، وإنَّه لا يزيد المؤمنَ عمرُه إلا خيرًا)).

أيها المسلمون:

ألاَ وإنَّ لقبول العمل علامات، وللكذب في التوبة والإنابة أمارات، فمن علامة قبول الحسنة فعلُ الحسنة بعدَها، ومن علامة السيِّئة السيِّئة بعدَها، فأَتْبِعوا الحسنات بالحسنات تكن علامةً على قبولها، وتكميلاً لها، وتوطينًا للنفس عليها، حتى تصبح من سَجاياهم وكريم خِصالها، وأَتبِعوا السيِّئات بالحسنات تكن كفَّارةً لها، ووقايةً من خطرها وضررها؛ ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: 114].

وفي الحديث الصحيح عن النبيِّ ﷺ قال: ((اتَّقِ الله حيثما كنت، وأَتْبِع السيِّئة الحسنة تمحُهَا، وخالِقِ الناسَ بخلقٍ حسن))، وفي لفظ: ((وإذا أسَأْتَ فأحسِنْ)).

وقال ﷺ: ((مَن حلَف باللات والعُزَّى فليقل: لا إله إلا الله))؛ أي: لتكن كفَّارةً لحلفه بغير الله.

وإنَّ الله - تعالى - قد شرع لكم بعد رمضان أعمالاً صالحةً تكن تَتْميمًا لأعمالكم، وقربًا لكم عند مَلِيكِكم، وعلامةً على قبول أعمالكم؛ ففي "صحيح مسلم" عن أبي أيوب - رضِي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((مَن صام رمضان ثم أَتْبَعه ستًّا من شوال كان كصيام الدهر)).

وكان ﷺ يصوم الاثنين والخميس ويقول: ((تُعرَض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحبُّ أنْ يُعرَض عملي وأنا صائمٌ)).

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: ((صوم ثلاثة أيام من كلِّ شهرٍ صومُ الدهر كله)).

وقال ﷺ: ((أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعِمُوا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نِيام - تَدخُلوا الجنَّة بسلام)).

فاغتنِموا هذه الأعمال العظيمة وداوِمُوا عليها؛ فإنَّ عمل نبيِّكم ﷺ كان ديمةً، واسألوا الله من فضْله فإنَّه ذو الفضل العظيم، وفَّقني الله وإياكم لما يحب ويرضَى، وسلك بنا سبيل أولي التُّقَى، وثبَّتنا على الحقِّ في الحياة الدنيا وفي الآخِرة؛ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: 180 - 182].

بارَكَ الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعَنا جميعًا بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيمَ الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستَغفِروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(استقدام الأجانب: خطره وأخطاء الناس فيه)

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتَّقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، أحمده - سبحانه - على نِعمه الكثيرة السابغة، وآياته المحكمة الباهرة، وصفاته العَليَّة الكاملة.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده، فلا معبود بحقٍّ سواه، فالسعيد مَن أطاعه واتَّقاه، والشقي من أعرَض عن ذِكره وهُداه.

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ومُصطفاه، بعَثَه الله بدينه وهداه؛ ليُظهره على أنف كلِّ مَن كَرِهه وأبَاه، وصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعه إلى يوم لقاه.

أمَّا بعدُ؛ فيا أيها الناس:

اتقوا الله حقَّ التقوى، واقبلوا ما جاءكم من ربِّكم من الهدى، واحذروا مَعصيته؛ فإنَّها تَسلب النعم، وتُحدث البلاء، وتُورِث الشقاءَ.

أيها الناس:

إنَّ أعقلَ الناس عبدٌ عرَف ربَّه فأطاعه واتَّقاه، وعرَف عدوَّه فجانبه وحَذِره وعصاه، وعرَف الدنيا وسرعة زوالها، فلم يَركن إليها ولم يَغترَّ بها، وعرَف دار مُنقلبِه فتزوَّد لها بما يُصلحها، فإنَّما الدنيا أمدٌ محدود، ونفَس معدود، وإذا حضَر الأجلُ انقطع العمل، وحِيل بين المرء وبين الأمل، فلا تشغلنَّكم دنياكم عن أُخراكم، ولا تؤثروا أهواءَكم على طاعة مولاكم، ولا يحملنَّكم السُّفَهاء منكم على ما يُفسد مُنقلبكم ومَثواكم، فإنَّ الدنيا حلوة خضرة، وإنَّ الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، وتذكَّروا قول الحقِّ - تبارك وتعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: 14]، وقوله - سبحانه -: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: 15].

أيها المسلمون:

مِن صائب ما يُؤْثَر قولُهم: "مِن العصمة ألاَّ تقْدر"، وقد قال - تعالى -: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: 27]؛ ولذا فإنَّ من الناس اليوم مَن هلكوا بفتنة الدنيا وطاعة النساء؛ فتصرَّفوا - لَمَّا قَدروا

- تصرُّف السفهاء في أمورٍ كثيرة، ومسائل خطيرة، ومِن ذلك: استقدام رجالٍ من الخارج لقيادة السيارات، والاشتغال ببعض المهمات، واستقدام النساء لتربية الأولاد والخِدمة في بيوت العائلات، ونحو ذلك من التخصُّصات، دون مراعاةٍ للضوابط الشرعيَّة، والآداب المرعية، وما نَقموا إلاَّ أنْ أغناهم الله، فعصوا الله - تعالى - لَمَّا قدروا، وخالفوا نبيَّه ﷺ وما حذِروا؛ ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: 11]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227]، ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: 74]، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63].

أيها المسلمون:

إنَّ الاستقدامَ اليوم في غالب واقعه منكرٌ كبير، وجُرم خطير؛ لِما فيه من معصية العَلي الكبير، فمن الناس مَن يستقدم الكفار إلى هذه الديار، وهي مهبط القرآن، ومأرزُ الإيمان، وبلادُ الحَرَمين، وقِبلة المسلمين، ومَثوى النبي الأمين، وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: ((أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب))، وفي رواية: ((والمشركين))، وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: ((لا يَبقينَّ بجزيرة العرب دِينانِ)).

فالذي يقدم الطلب في استقدام الكفار إلى جزيرة العرب، قد شاقَّ الرسولَ الأمين، واتَّبع غيرَ سبيل المؤمنين، وقد قال - تعالى - بشأن ذلك زجرًا وتحذيرًا: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 115]، وقال في مُحكم الكتاب: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7].

أيها المسلمون:

ومِن مخالفات بعض الناس في الاستقدام أنَّهم يستقدمون المرأة دون مَحْرمها، وفي ذلك مشاقَّة للرسول ﷺ فقد ثبت أنَّه ﷺ نهى أنْ تسافر المرأةُ إلاَّ ومعها ذو محرم، وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: ((لا يحلُّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أنْ تسافرَ إلاَّ ومعها ذو محرم منها))، ففي استقدامها دون محرمها إعانةٌ لها على الإثم - إن كانتْ مسلمة - بمخالفة ما نَهَى عنه النبي ﷺ وفي ذلك أيضًا تعريضٌ لها أن تغلبَ على نفسها، وأنْ تكون فتنة لغيرها، وقد قال -

تعالى - في مُحكم القرآن: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

فالذي يستقدمها - والحالة هذه - يُخشى أن يكونَ شريكًا لها في كلِّ مُنكر ترتكبه، وإثم تَقترفه؛ حيث تَسبَّب لها في مَفارقة محَارمها، ورَضِي أن تسافرَ وهي عاصية لنبيِّها - صلَّى الله عليه وسلَّم.

فاتقوا الله يا أولي الألباب، تنجوا من شديد العقاب، وأمَّا إنْ كانت غير مسلمة، فالضررُ عليه أخطر في دينه ونفسه، وبنيه وأهْله.

أيها المسلمون:

ومِن تفريط بعض الناس في أمْر الاستقدام، أنهم لا يعلِّمون المستقدمين أحكامَ الإسلام، والآداب التي جاء بها النبي ﷺ فلا يعلِّمون الرجال آدابَ الاستئذان، ولا يحجزونهم عن الاجتماع والخَلوة بالنسوان، ولا يُعلِّمون النساء لبسَ الحجاب، وارتداء الجِلباب، وألاَّ يَخْلُون بالرجال، بل يَكُنّ من وراء حجاب، بل تجد بعض هؤلاء - نسأل الله العافية من كل بلاء - هو بنفسه يدخل على النساء الأجنبيَّات بلا استئذان، ويخلو بهنَّ وكأنهنَّ من أصغر الولدان، ويَرضى للواحدة من محَارمه أن تركبَ مُنفردة مع السائق الأجنبي، ورُبَّما انفردتْ بالطبَّاخ أو الطبيب أو غيرهما وكأنَّهما زوجان أو ابنا أبٍ.

فَـإِنْ كُنْــتَ لاَ تَـدْرِي فَتِلْـكَ مُصِـيبَةٌ وَإِنْ كُنْــتَ تَــدْرِي فَالْمُصِــيبَةُ أَعْظَــمُ

فأين هؤلاء وأمرُ الله - تعالى - النساء المؤمنات بإدْناء الجلباب؟! وأين هم من قوله - سبحانه -: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: 53]؟!

وأين هم وغير ذلك من آداب الإسلام الواردة في السُّنة والكتاب؟! ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: 8].

أيها المسلمون:

صحَّ عن نبيِّكم ﷺ أنَّه قال: ((إيَّاكم والدخولَ على النساء))، قالوا: يا رسول الله، أفرأيتَ الحمو؟ يَعنون: قريب الزوج، قال: ((الحمو الموت))، وبيَّن ﷺ حِكمة هذا النهي، وهي أنَّ الشيطان يدخل بينهما، فيفتنُ أحدَهما بالآخر، ويزيِّن لهما الفحشاء والمنكر، فقال ﷺ: ((لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأة، إلاَّ كان الشيطان ثالثهما)).

فمجلس يحضره الشيطان لا تسأل عمَّا تعرَّض أهلُه له من الفسوق والعصيان؛ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: 268]، ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: 6].

أيها المسلمون:

فإذا كان قريب الزوج الذي قد يَغار على زوجة قريبه، أو قد يمنعه من الفاحشة عُرْفُ قبيلة كريمٌ يعتزي به، أو يَخشى أن يُبتلى بنفس المصيبة، ومع ذلك قال ﷺ عنه: ((الحمو الموت))؛ تنبيهًا على وشْك فتنةٍ، وعِظم مصيبة، فما الظنُّ بالأجنبي الذي ليس من أهْل الدِّيار، وليس من شأْنه أن يَغار، ولا يُبالي بما يجرُّه على الناس من المصيبة والعار، مع أنَّه في الغالب ضعيف الدِّين، ورُبَّما كان من الكافرين، وجاء قصْدًا لإفساد مَحارم المسلمين، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

أيها المسلمون:

ومَن الذي يزكِّي نفسه، أو يزكي بَنيه وذَوِيه، ويرى أنه لا خطرَ من خَلوتهم بغير مَحارمهم، مع أنَّ النبي ﷺ أخبر أنَّ الشيطان يحضر مجلس الرجل بغير مَحرمه، وأخبر ﷺ أنَّ الشيطان يجري من ابن آدمَ مَجرى دَمِه، وأخبر - تعالى - أنَّ الشيطان توعَّد أن يغوي مَن استطاع من بني آدمَ؛ إذ قال: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: 39 - 40].

أيُّها الآباء، أيُّها الأولياء:

اعلموا أنَّكم رُعاة في أهْليكم، ومسؤولون عن رعاياكم، ومُحاسبون على جميع تصرُّفاتكم، وأُمناء مسؤولون عن أماناتكم؛ فلا تخونوا الله والرسولَ وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون.

اتقوا الله في أنفسكم؛ لا تخلوا بمحارم غيركم، ولا تُعينوا أحدًا على معصية ربِّكم، واتَّقوا الله في الأجانب تحت أيديكم، لا تسمحوا لهم أن يخلوا بمحارمكم، وتذكَّروا أنَّكم مسؤولون عن خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، فلا ترتكبوا المحظور، فتُبتلوا بشرِّ المقدور، وما لا تتوقَّعونه من عظائم الأمور؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 24 - 25].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَنا جميعًا بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه يغفر لكم؛ إنَّه هو الغفور الرحيم.

(التثبُّت عند الحوادث، والتروِّي في إشاعة الأخبار)

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضل له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا.

أمَّا بعدُ:

فيا أيها الناس، اتقوا الله - تعالى -: ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70 - 71]، و﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 6].

أيها المسلمون:

إنَّ القولَ السديد هو القول الصائب الذي تحقَّقت مصلحته، أو ترجَّحتْ على مَفسدته، وهو الخير الذي أرشدَ إليه النبي ﷺ فيما ثبَتَ عنه في الصحيحين وغيرهما أنَّه قال: ((مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليَقُل خيرًا أو ليسكت))، وفي مُحكَم التنزيل يقول - جل وعلا -: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114].

أيها المسلمون:

ولقد رتَّبَ ربُّنا - تبارك وتعالى - على القول السديدِ صلاحَ الأعمال، ومَغفرة الذنوب، وحُسن العاقبة في الحال والمآل، والفوز العظيم بالأجْر الكريم، ورضوان الربِّ الرحيم؛ فأطيعوا الله فيما أمركم، يُنجزْ لكم ما وعدَكم، ويَكْفِكم شرَّ ما ينتظركم؛ ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: 52].

أيها المسلمون:

إنَّ اللسان من أعظم جوارح ابن آدمَ خطأً، وأشدِّها عليه في الغالب ضَرَرًا، وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سَمِع النبي ﷺ يقول: ((إنَّ العبد ليتكلَّم بالكلمة ما يتبيَّن فيها - يعني: ما يتثبَّت - يزلُّ بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب))،

وقال ﷺ لمعاذ - رضي الله عنه -: ((وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم - أو قال: على مَناخِرِهم - إلاَّ حصائدُ ألسنتهم؟!)).

فكم من مسلمٍ كفَر بالكلام، وكم من كريمٍ بكلمة واحدة صارَ عُرضة للملام، ورُبَّما لَحِقَه في عِرْضه ودينه الاتهام، ورُبَّ كلمة أشعلتْ فتنة بين الأنَام، وزال بها مُلكٌ وانْتُهِك بها عِرضٌ حرام، وكم من كلمةٍ فرَّقتْ بين الأحِبَّة، وقطعتْ كريمَ صُحْبة، وفرَّقتْ بين زوجين متحابَّين، بعد كريمِ عِشرة، وطول صُحبة، وكم من بلدةٍ آمِنة مُطمئنَّة اسْتُبيحتْ بيضتُها، وانْتُهكتْ حُرْمتُها، وزالتْ نعمتُها، وأُهين كرامُ أهْلها، بكلمةٍ من أسرار وُلاة أمرها، شاعتْ على ألسنة العوام، فالْتَقَطَها جواسيسُ العدو وأوصلوها إليه فسدَّدوا نحوها السهام، وكم من جيوش تقهقرتْ بعد طول جهاد، وكم من ظُلمٍ وقَعَ على الأبرياء من العباد، بسبب كلمةٍ تلقَّفها سفهاءُ الأحلام.

وصدق الله العظيم إذ يقول في مَعرض الذمِّ لقومٍ أذاعوا مثل هذه الكلمة، وأشاعوها في الناس، فجَنَوا بها على الأُمة: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 83].

ففي هذه الآية الكريمة - أيُّها المسلمون - ذمٌّ للذين ينقلون خبر السوء ويشيعونه بين الناس دون تعقُّلٍ في نتائج نَقْله، وما يحدث عنه من ضَررٍ، وكبير خطرٍ، وفيها تأديب من الله - تعالى - لعباده، يتضمَّن مبدأ التحفُّظ عند سماع الأخبار، والتثبُّت من أحوال نَقَلَتِها وظروف نَقْلها، وعدم التسرُّع في رواية الأخبار ونشْرها، وإن سَمِعها من إذاعة، أو قيل: إنها من مصدر موثوق أو عن ثقة.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: ((كفى بالمرء كذبًا أنْ يحدِّث بكلِّ ما سَمِع)).

ذلكم لأن كلَّ ما يسمعه المرءُ يختلط فيه الصدق بالكذب، والجائز بالمستحيل، ويتعرَّض بعض النَّقَلة لتأثير الهوى أو التعرُّض للوهم، فتُحدِث روايةُ الأخبار على عواهنها اضطرابَ الأحوال، واشتباه الأمور، وبلبلة الأفكار، ونحو ذلك مما يستغلُّه الأشرار، ويُسَرُّ به المنافقون والكفار؛ ولهذا قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 6].

فأرشدَ - سبحانه - إلى التثبُّت من الأخبار وحالة نَقَلَتِها قبل قَبولها وتصديقها؛ لئلاَّ تنشأ مَفسدة في الأخْذ بها دون دراية وعناية.

أيها المسلمون:

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] توجيه من الله لعباده أيضًا إذا ثبَتَ عندهم الخبرُ فيما يتعلَّق بالأمور المهمَّة، والمصالح العامَّة للأُمة؛ مثلما يتعلَّق بالأمْن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه المصيبة في الدنيا أو الدِّين - أن يتثبَّتوا ولا يستعجلوا بإشاعة الخبر، والحُكم عليه دون رَويَّة، بل يردُّونه إلى الأكابر فيهم من أهْل العلم والحكم؛ بأنْ يردُّوه إلى الرسول ﷺ في حياته، وإلى أُولي الأمر منهم من بعد وفاته، وهم أهْل الرأْي والعلم والنُّصح، والعقل والرَّزانة، الذين يعرفون الأمورَ، ويعرفون المصالح وأضدادها، فإذا رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطًا للمؤمنين، وسرورًا لعباد الله الصالحين، وتقوية لمعنويَّات المجاهدين، وتحرُّزًا من أعداء الدِّين - أشاعوه ونشروه، وإذا رأوا أنَّه ليس في إشاعته مصلحة، أو فيه مصلحة ولكنَّ مفسدته أرجحُ وأخطر، كتموه فلم يذيعوه، وعالجوه بأفضل ما رأوه.

فالأمور العامة؛ من الجهاد وما يتعلَّق بالأُمة، أو الخوف على البلاد - ينبغي أنْ يرجعَ فيها إلى أُولي الحكم والعلم؛ فإنهم هم أولو الأمر، وألاَّ يستعجلَ في الحكم عليها قبل انجلاء الأمرِ.

فلا بُدَّ فيها من إدراك جديَّة الموقف، وخطر الإشاعة، وشؤم التقدُّم على أُولي الأمر؛ فإنَّ كلمة عابرة، وفَلتة لسان لأوَّل خاطرة، قد تَجُرُّ من سوء العواقب، وكبير المصائب، على الشخص والمجتمع ما لا يخطر لأحدٍ على بال، ولم يَدُرْ للجميع بخيال، ولا يتدارك بعد وقوعه بحال.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 21].

بارَكَ الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه يغفر لكم؛ إنَّه هو الغفور الرحيم

(الأمانة: شرف أدائها، وخطر خيانتها)

الحمد لله ذي العزَّة والعظمة والجلال؛ هو الذي نزَّل الأمانة في قلوب مَن شاء من الرجال، بعد أنْ أبتْ حمْلها السموات والأرض والجبال.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، أمَرَ المؤمنين بالصدق والأمانة، وزجَرَهم عن الكذب والخيانة، ووعَدَ مَن حَفِظ الأمانة ورعاها أجرًا كريمًا، وأعدَّ للخائنين عذابًا مُهينًا.

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، الذي بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأُمة، وجاهَد في الله حقَّ جهاده، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعد؛ فيا أيها الناس:

اتقوا الله ربَّكم، وأطيعوه فيما أمرَكم، واحذروا ما عنه نهاكم وزجرَكم؛ ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: 52].

أيها الناس:

اعلموا أنَّ الأمانة من أعظم ما به أُمِرْتم، وأنَّ الخيانة من أعظم ما عنه نُهِيتم وزُجِرْتم؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 58]، وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27].

فقد أُمِرتم بأداء الأمانة معشرَ المؤمنين، ونُهيتم عن الخيانة فلا تكونوا من الخائنين، وإنَّما حمَّلكم الله الأمانةَ إذ كنتم لها مُؤهَّلين، وعليها قادرين؛ لِمَا ركَّب فيكم - سبحانه - من العقول التي بها تفقهون، والبصائر التي بها تُبصِرون، فأدوا أماناتكم، تكونوا ممَّن عناهم الله بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون : 8 - 11].

واحذروا تضييع الأمانة؛ فإنها من خِصال المنافقين أُولي الكذب والخيانة، وكفى بوعيد الله لهم في القرآن زجرًا وتحذيرًا؛ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: 145].

أيها المسلمون:

ورَدَ في الحديث عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: ما خطَبَنا رسول الله ﷺ إلاَّ قال: ((إنَّه لا إيمانَ لِمَن لا أمانةَ له))، وفي رواية: ((إنَّه لا دينَ لِمَن لا أمانة له، ولا صلاةَ له، ولا زكاة له)).

فما أعظم شأن الأمانة! بها يثبت الإيمانُ، وعليها تقوم الديانةُ، فهي قرينة الإيمان، ولا يقبل الله عبادة الخوَّان.

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذَب، وإذا وعَدَ أخلف، وإذا اؤْتُمِن خان)).

فالخيانة برهانُ النفاق، وهي في الناس من مساوئ الأخلاق؛ ولذا جاء في الدعاء المأثور: ((اللهم إني أعوذ بك من الخيانة؛ فإنَّها بئستِ البطانة، وأعوذ بك من الجوع؛ فإنَّه بئس الضجيع)).

أيها المسلمون:

أدُّوا أماناتكم إلى أهْلها، ولا تخونوا مَن خانَكم مقابلةً للسيئة بمثْلها؛ ففي الحديث عن النبي ﷺ قال: ((أدِّ الأمانة إلى من ائتمَنَك، ولا تخن مَن خانك)).

واعلموا أنَّ الفقه في الدِّين من أعظم أسباب زيادة الإيمان وتمام الأمانة، وأنَّ مُجانبة التقوى وإيثار الحياة الدنيا مِن أخطر أسباب نزْعِ الأمانة وثبات الخيانة؛ فتفقَّهوا في الدِّين، واعملوا مُخلصين لربِّ العالمين، على هَدْي محمدٍ ﷺ سيِّد المرسلين، تكونوا من أهْل الأمانة وتُحشروا يوم القيامة آمنين.

أيها المؤمنون:

إنَّ المقاصد والنيَّات من أعظم الأمانات، فأخلصوا لله مقصدَكم، وانووا الخير جهْدَكم؛ فـ((إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نَوَى)).

فاجعلوا أقوالَكم وأعمالكم التي شرَعَ الله لكم خالصةً لله، تبتغون بها وجْهه، وتلتمسون بها رضاه، واحذروا أن تلتفتوا بها إلى أحدٍ سواه، اعبدوا الله - تعالى - كما شرَعَ، واحذروا الشِّرْك والأهواء والبِدع؛ فإن الله - تعالى - لا يقبل من العمل إلاَّ ما كان خالصًا لوجْهه، صوابًا على هَدي نبيِّه، وهذا هو الإسلام والإحسان، المشار إليهما بمُحكم القرآن: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:

112].

أيُّها المؤمنون:

والصلاة عند العبد أمانة لله، ائْتَمنه الله على طهارتها ووقْتها، وكيفيتها ونيَّتها وغير ذلك من أحكامها؛ فهي شرطُ الإيمان، وعمود الدِّين الذي يقوم عليه ما له من بُنيان، وهي آخر ما يُفقد من الدِّين، وإذا فُقِد آخرُ الشيء صار فاقدُه من المعْدِمين؛ فأقيموا الصلاة، وحافظوا على ما لها من الأركان والواجبات والمستحبَّات، وحافظوا عليها في سائر الأوقات، وأدُّوها في المساجد مع الجماعات، واعلموا أنَّ الصلاة مكيال؛ فمَن وفَّى، وفَّى الله له، ومن طفَّفَ فقد سمعتم ما توعَّد الله به المطفِّفين من الويل والنَّكال.

عباد الله:

والزكاة من أعظم الأمانات، أوْجَبَها الله في مال الغَني للفقير، وجعَلَها من أسباب البركة والتزكية والتطهير، وكم فيها من تنفيس الكروب والتيسير والأجْر الكبير، فأدُّوا الأمانة فيها؛ فإنَّها آية الإيمان، كما في الصحيح عن النبي ﷺ قال: ((والصدقة برهان)).

وكذلكم فإنَّ الصيام أمانة؛ فإنه سرٌّ بين العبد وربِّه، فلا يطلع إلاَّ الله على قصْده؛ إذ لو شاء الصائمُ لأبْطَلَ صيامَه ولو بفساد نيَّته، لكن يمنعه من ذلك ما في قلبه من تعظيم الله وخَشيته، بل يصوم لله احتسابًا، وهنيئًا له بمغفرة الذنوب وبالجنة ثوابًا.

أيها المؤمنون:

والغُسل من الجنابة أمانةٌ، وطهارة المرأة من الحَيض والنفاس بعد الطُّهْر أمانةٌ، فلا بُدَّ من أداء هذه الأمانة، بأداء الواجب فيها على وجه الديانة، وإلاَّ كان ذلك فضيحةً ونَدَامة يوم القيامة.

أيها المؤمنون:

والوظائف في الدولة ولدى الشركات والمؤسَّسات والأشخاص أمانة في أعناق الموظَّفين، فإنَّهم على أعمالهم مُؤتَمنون؛ فينبغي لكلِّ موظف أنْ يتَّقي الله في نفْسه، وفي سببِ رِزقه، فيُحسن في عمله ابتغاءَ وجْه الله، ونُصحًا لعباد الله، وليَحْذر من المحاباة والمجاراة، بل يقوم بحِفْظ ما اؤْتُمِن عليه، وأنْ يحفظ سرَّ ما استودع عنده لذَوِيه، وأن يَحذر أنْ يدخلَ عليه شيءٌ منه، وأن يذودَ – جهده – أيدي الخَوَنة عنه، وإلاَّ فضَحَه الله يوم المعاد، على رؤوس

الأشهاد؛ فقد قال ﷺ: ((مَن استعملناه على عملٍ فكتَمَنا مِخْيَطًا فما فوقَه، كان غُلولاً يأتي به يوم القيامة)).

حتى ولو كانت الشركات أجنبيَّة، فحقوقها بعقْدها مع دولة الإسلام مرعيَّة، فإنَّهم بذلك صاروا معاهدين؛ لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين؛ فتحْرُم دماؤهم وأموالهم كما تحرُم أموالُ المسلمين، ومَن أخفَرَ معاهدًا فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين.

وكلُّ مَن دخَلَ مع غيره في عقْدٍ مباح؛ من بيع أو شراء أو تأجير ونحو ذلك، فليعلمْ أنَّه دخَلَ مع صاحبه في عهْدٍ وأمانة، فليحذر الغشَّ فيه والخديعة والخيانة، بل عليه أن يَفي بالمطلوب، وأنْ يُبيِّن العيوب، مع طِيب النفْس وسلامة الصدر، وإعطاء الحقِّ من غير نقْصٍ ولا بَخسٍ ولا قَهْر، وليحذر المماطلة بتعليل أو تمليل؛ فإنَّ مَطل الغني ظُلم، يحلُّ عرضه وعقوبته، ويعرِّضه لشؤم عمَلِه ويجرُّ عليه حَوبته.

أيها المؤمنون:

والمجالس عامَّة بالأمانات إلاَّ مجلسًا يُخَطط فيه للإجرام؛ مِن سفْكِ دمٍ حرام، أو انتهاك عِرْض حرام، أو أكْل مالٍ حرام، أو كيدٍ لأهل الإسلام، فتلك مجالس آثِمة، يستحقُّ أهلُها العقوبة الصارمة.

أمَّا المجالس العادية، فهي مُحترمة لا يجوز أن يُفشى ممَّا يُقال فيها كلمة، فإذا حدَّث الرجل في المجلس فالتفتَ فهي أمانة، فلا يجوز إفشاء سِرِّه، وفضْح أمرِه، وأَخَصُّ المجالسِ بحفظ السرِّ، وكتمان الأمر، ما يكون بين الرجل وأهْله، حين يُفضي إليها وتُفضي إليه.

فاتَّقوا الله - عباد الله - في أماناتكم، وراعوها وأدُّوها؛ فهو أزكى لكم عند مَليككم، واعلموا أنَّكم غدًا بين يدي الله موقوفون، وبأعمالكم مجزيُّون، وعلى تفريطكم نادمون، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ مُنقلب ينقلبون؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 27 - 28].

سبحان ربِّك ربِّ العِزَّة عمَّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين.

وصلِّ اللهم وسلِّم على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(تربية الأهل والأولاد على الإسلام والإيمان)

الحمد لله الذي مَنَّ على عباده بالأموال والأولاد، وابتَلاهم بذلك ليتبيَّن مَن يشكُرُه على هبته إيَّاهم فيأمرهم بطاعة الله ويَصُونهم من الفساد، ممَّن يُهمِلهم ويُفرِّط فيهم فيَشقَى بهم في الدنيا ويخسَرهم يوم التَّناد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له العفوُّ الغفور؛ ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: 49 - 50].

وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعباد، الذي دعا في كلِّ أمرٍ إلى الهدى والرَّشاد، وحذَّر من كلِّ قول أو عمل أو اعتِقاد يُفضِي بصاحبه إلى الفساد، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسانٍ في القول والفعل والحال، وسلَّم تسليمًا.

أمَّا بعد؛ فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله - تعالى - في كلِّ حال، واشكُرُوه على ما آتاكم من الأنعام والأفضال، واشكُرُوه - سبحانه - على أنْ وهَبَكم أزواجًا وأولادًا، وأمَرَكم أنْ تُجاهِدوهم في الله جِهادًا، فإنَّكم رُعاة فيهم ومسؤولون عنهم، فجاهِدُوهم على ما يُصلِحهم في الدنيا ويوم الدين، ويجعَلُهم لكم قرَّة عين، تكونوا لله شاكرين، ولأنفُسكم ناصِحين، وبثمرات جِهادِكم متمتِّعين في الدارين؛ لعلَّ الله - تعالى - أنْ يجعَلَكم ممَّن قال الله فيهم: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 23 - 24].

أيها الناس:

إنَّ الله - تعالى - قد أوجَبَ عليكم وقايَة أنفسِكم وأهليكم من النار، وذلك بتقواه - سبحانه - في سائر الأحوال، والقِيام بحسن الرِّعاية والتأديب بأحسن الأقوال والأعمال والأحوال؛ فقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6].

فامتَثِلوا ما أمرَكُم به الله، ونصحَكُم في حَقِّ أنفسكم وأهليكم، ولا تسوِّفوا فتفرطوا فيفاجئكم الموت على حين غرَّة وأنتم على غير استعدادٍ، فتكونوا عرضةً لجهنَّم فإنها بئس

المهاد، بل اجعَلُوا لكم دونها وقايةً من تقوى الله بامتِثال أمره واجتِناب نهيه فإنها نعم الوقاية وخير الزاد.

عباد الله:

قوا أنفسكم وأهليكم النار بفتح أبواب الخير لهم، وتوجيههم إليها، وتشجيعهم عليها، وأنْ تكونوا قدوةً صالحة لهم فيها، بيِّنوا لهم الحقَّ ومنافعَه، ومُرُوهم به، وكونوا لهم أئمَّة في السبق إليه، والمداوَمة عليه، وحذروهم من الباطل وبيِّنوا لهم سوء عَواقِبه ومَضاره، وشؤمه على أهله وأخْطاره، ولا تقترِفوه أنتم أو تَتسامَحوا فيه بعبارةٍ أو إشارة.

لقِّنوا أولادَكم وأهليكم أصولَ الإيمان، المذكورة في القُرآن، وما جاء عن نبيِّكم محمد ﷺ من بَيان، فعَلِّموهم الإيمانَ بالله، وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، قولاً باللسان، واعتِقادًا بالقلب، وعملاً بالجوارح والأركان، وألزِمُوهم بأركان الإسلام، وهي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج مرَّة مع الاستِطاعة إلى بيت الله الحرام، مُرُوهم بالصلاة لسبعٍ، واضربُوهم عليها لعشرٍ، وعلِّموهم كيف يتطهَّرون وكيف يصلُّون، وماذا يقولون في صلاتهم وماذا يفعلون، وهكذا في سائر أمور الدين، في كلِّ مناسبة وحين، بيِّنوا لهم ماذا يفعَلون، وماذا يجتَنِبون، وكيف يفعَلُون، وكيف يتركون.

أيُّها المسلمون:

اغرسوا في قلوب أبنائكم وأهليكم محبَّة الله وتعظيمَه، وبيِّنوا لهم نِعَمَه على الجميع الظاهرة والباطنة، العامَّة والخاصَّة، وعظيم ألطافه عند الشدائد، وأنواع جودِه وآلائه؛ لترسخ في قلوبهم محبَّة الله، ويرسخ فيها الإيمان به، فإنَّ ذكر النِّعَم يحبِّب المنعِم إلى القلوب.

وحدِّثوا أبناءَكم وأهليكم بسيرة النبي الكريم محمد ﷺ وما كان عليه من الخلق العظيم، وما جاء به من الدِّين القويم، وما حصَل على يديه لأمَّته من الخير العظيم، والتخصيص بمزيد التكريم من الرب الكريم، وبيِّنوا لهم أنَّه ﷺ هو الرسول المطاع، والإمام الواجب الاتِّباع، وأنَّه يجب تقديم محبَّته وأمرِه على جميع المخلوقين، فلا يؤمِن أحدٌ حتى يكون ﷺ أحبَّ إليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين، ولا يؤمن أحدٌ حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به، ومَن عمل عملاً ليس عليه أمره فهو ردٌّ.

واذكُروا لأبنائكم وأهليكم سيرة أصحاب النبي ﷺ وما كانوا عليه - رضي الله عنهم - من صدق الإيمان بالله - تعالى - وكمال الاتِّباع لرسوله المصطفى، وما كانوا عليه من الأخلاق الكريمة، وما قاموا به من الأعمال العظيمة؛ من العبادة والجهاد، وبذل المال طلبًا لمرضاة رب العباد، حتى أظهر الله بهم الإسلام، وحقَّق بهم الإيمان، وكسر بهم الأوثان والأصنام، فقد جاهَدُوا - رضي الله عنهم - المشركين كافَّة، حتى لا تكون فتنة وكان الدين كلُّه لله، فهم حقًّا العظماء النبلاء، الذين فازوا بقصب السبق في أعمال الدنيا والآخرة، وحسبهم شهادة الله لهم بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29].

أيُّها المؤمنون:

وعلِّموا أولادكم الصدق في الأقوال والأعمال، فإذا حدَّثتموهم فاصدُقوا، وإذا وعَدتموهم فأوفوا، ولا تقرُّوهم على كذبٍ أو خلفٍ، ورَغِّبوهم في أداء الأمانة، وازجروهم عن الخيانة، وعوِّدوهم الإحسانَ إلى الخلق، وفعل المروءة، وحذِّروهم من الاعتِداء والظُّلم، وأصِّلوا في قلوبهم محبَّة المؤمنين، ومحبَّة الصُّلح بين المتخاصِمين، والنجدة إلى إغاثة الملهوفين ونُصرة المظلومين، وأنَّ الواجب على المسلمين أنْ يكونوا مُتحابين مُتآلِفين مُتوادِّين، وأنَّ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضًا، وأنهم كالجسد الواحد إذا اشتَكَى منه عضوٌ تَداعَى له سائر الجسد بالحمَّى والسهر، وأصِّلوا في قلوبهم بُغضَ الأخلاق الذَّميمة؛ كالبخل والجبن والكسل والغش والخيانة ونحو ذلك من سَجايا الأشرار.

ونشِّئوهم على بُغْضِ وعَداوَة الكفَّار لما هم عليه من الكفر والشِّرك والإلحاد، وفروع تلك العقائد من أخلاق أهل الفساد، ولما يسعَوْن إليه من الإفساد، واذكُرُوا لهم النصوص على ذلك من الكتاب والسنَّة، وبيِّنوا لهم عَداوَة الكفَّار لأهل الإسلام، وما فعَلُوه من العَظائم والفِتَن في مختلف الأيَّام، وحذِّروهم من التشبُّه بالكفَّار وسائر الأشرار؛ فإنَّ التشبه في الظاهر ينتج عنه ميلٌ في الباطن، ومَن تشبَّه بقومٍ فهو منهم، ومَن تشبَّه بقومٍ حُشِر معهم.

عباد الله:

اجتَهِدوا في تربية أبنائكم على نحو ما جاء في الكتاب والسنَّة، وما أُثِر عن السلف الصالح من هذه الأمَّة، وليعلم الله منكم الإخلاص لوجهه، وحسن الظنِّ به، والصدق في طلب فضله، يؤتِكم الله من فضله فوق ما تأملون، ويؤمِّنكم ممَّا تحذَرُون، ويجمعكم بأولادكم وأهلكم في جنَّات ونهرٍ، في مقعد صدق عند مَلِيك مُقتدِر.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: 21].

بارَك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ورزَقَنا الاهتداءَ بما فيه من النور والبيِّنات، وأستَغفِر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين، فإنَّه - سبحانه - هو الغفور الرحيم.

(الاعتبار بمضي الأيام "بمناسبة نهاية العام")

الحمد لله مُسيِّر الأزمان، ومدبِّر الأكوان، أحمَدُه - سبحانه - يسألُه مَن في السموات والأرض كلَّ يوم هو في شان، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلَق كلَّ شيءٍ فقدَّرَه تقديرًا، وجعَل في السَّماء بروجًا وجعَل فيها سِراجًا وقمَرًا مُنِيرًا، وهو الذي جعَل الليل والنهار خِلفةً لِمَن أراد أنْ يذكَّر أو أراد شكورًا، وأشهَدُ أن محمدًا عبده ورسوله بعَثَه بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعدُ؛ فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله، واتَّقوا يومًا تُرجَعون فيه إلى الله، فإنَّكم الآن في زمان هدنة، وإنَّ السَّير بكم لَسريعٌ، فالأيَّام تُطوَى، والأعمار تفنَى، وقد رأيتُم الليلَ والنهارَ كيف يَتراكَضان تراكُض البريد، فيخلقان كلَّ جديد، ويُدنِيان كلَّ بعيد، ويأتيان بكلِّ موعود، وفي ذلكم - يا عباد الله - ما يُلهِي عن الشهوات، ويُرغِّب في الباقيات، فإنَّ في سرعة مُضِيِّ الليل والنهار، ومرور الشُّهور والأعوام ما يُذكِّر العاقل اللبيب بسرعة تصرُّم الأعمار، وقرب حلول الآجَال، وبغتة ساعة الارتِحال، وأنَّ عليه أنْ يتأهَّب للمَسِير، ويتزوَّد للرَّحِيل بصالح الزاد، فالسعيد مَن أخَذ من نفسه لنفسه، ومهَّد لها قبل يوم رمسِه.

عبادَ الله:

تذكَّروا أنَّ العمر أنفاس مَعدودة وَشِيكة النَّفاد، ولحظات معدودة، وأنَّ كلَّ امرئ على ما قدَّم قادِم، وعلى ما خلَّف نادِم، وأنَّ ما مضَى من العمر في طاعةٍ فهو أربَح التِّجارة، وما خَلا منها فهو نقْص وخسارة، وما مضَى في ضدِّها فهو مصيبة وخِزي ومعارة، فخُذُوا الأُهبَة لأزف الرحلة، وأعدُّوا الزاد الصالح لقُرب الرحلة، ألاَ وإنَّ خير الزاد التقوى، وخيرَ العمل ما كان على نهج النبيِّ المصطفى، وأعلَى الناس منزلةً عند الله - تعالى - أعظمهم له رَجاءً، وأشدهم منه خوْفًا، وبرهان ذلك استبِاق الخَيْرات، والإحجام عن مُواقَعة الحرمات، والتوبة إلى الله عن قريبٍ من الخَطِيئات.

معشرَ المسلمين:

إنَّ الأشياء ثلاثة: أمرٌ استبَان رشدُه فاتَّبعوه، وأمرٌ استبَان غيُّه فاجتَنِبوه، وأمرٌ اشتبَه عليكم

حكمُه فلا تُواقِعوه، حتى يتبيَّن لكم شأنُه بردِّه إلى الكتاب والسنَّة، وما أُثِر عن السلف الصالح من هذه الأمَّة، فإن لم تكونوا أهلاً لمعرفته واستِنباط حكمه من هذه المصادر، فارجِعُوا فيه إلى أهل العلم الأكابر، أولي النهى والبصائر، عمَلاً بالقرآن، وطلبًا للهدى من الرحمن؛ قال – تعالى –: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 43 – 44].

وعليكم – عبادَ الله – بأمرَيْن خفيفة مؤونتُهما، عظيم أجرُهما، لم يلقَ الله بمثلهما: الصمت وحسن الخلق؛ فإنَّ الناس إنما يؤتون يومَ القيامة من إحدى ثَلاثٍ: إمَّا شبهة في الدين ارتَكَبُوها، أو شهوة للذَّة آثَروها، أو غضبة لحميَّة أعمَلُوها.

فإذا لاحَتْ لكم شُبهةٌ فاجلوها باليَقِين، وإذا عرَضَتْ لكم شهوةٌ فاقذفوها بالزُّهد، وإذا عرضَتْ لكم غضبة فادرَؤُوها بالعفو؛ تفوزوا بجنَّة عرضها السموات والأرض، أُعدَّت للمتَّقين، الذين يُنفِقون في السرَّاء والضرَّاء، والكاظِمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحبُّ المحسنين.

معشرَ المسلمين:

ما أقرب البداية من النهاية! وما أكثر العَوارِض الصارفة عن جليل الغاية! فها أنتم تودعون عامًا قد انقضَتْ أيَّامُه ولياليه، وطُوِيت صحائف ما عَمِلتُم فيه، وكم فتنة في الدين والدنيا تعرَّضتم لها فيه؛ ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: 126]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: 41].

وكما ودَّعتُم عامًا قد مضى وانقضَى، فقد استقبَلتُم عامًا جديدًا، وسيكون إذا انقلَب عليكم شَهيدًا، ولا تَدرُون مَن منكم يستَكمِلُه، ممَّن تختَرِمه المنيَّة إذا حضَر أجَلُه.

فاجتَهِدوا فيما بَقِي من أعماركم بصالح العمل، وأخلِصُوا النيَّة في كلِّ شيءٍ لله – عزَّ وجلَّ – وتفقَّهوا في الدِّين، وكونوا بالحقِّ والصبر والمرحمة مُتواصِين، واحرِصُوا على ما ينفَعُكم، واستَعِينوا بالله ولا تكونوا ممَّن غفل واتَّبَع هَواه، وكان أمرُه فرطًا، أو رَكِب شططًا، فإنَّ العمر ثمين ينبَغِي أنْ يُصان عن تضييعه في البطالة، أو أعمال أهل السَّفَه والهوى والجهالة، بل اغتَنِموا لحظاته في عِبادة الله بما شرَع، والحذر عن الشرك وأنواع البِدَع، فإنَّكم لم تُخلَقوا عبثًا،

ولم تُترَكوا سُدًى، وإنما خلقتم للعبادة ووُعِدتم عليها الجنة والرضوان، ونُهيتم عن المخالفة والعصيان، وتوعّدتم عليها بشدَّة العذاب والخِزي والهَوان، ومَن يُهِن الله فما له من مُكرِم، إنَّ الله يفعل ما يشاء.

فلا يلهينَّكم عريض الأمَل، عن صالح العمَل، والتوبة إلى الله من أنواع الزَّلَل؛ فإنَّ لكلِّ شيءٍ حسيبًا، وعلى كلِّ شيء رقيبًا، ولكلِّ حسنة ثوابًا، ولكلِّ سيئة عقابًا، ولكلِّ أجلٍ كتابًا؛ فأعمالكم محصاة، ولكلِّ عمل جزاء؛ فلن يُهمَل منها صغير لصغره، ولا كبير لكبره، في يوم يَحكُم الله - تعالى - فيه بين العِباد، وقد خابَ وخَسِر مَن خرَج من رحمة الله التي وَسِعَتْ كلَّ شيء، وحُرِم جنَّة عرضها السموات والأرض، إذا عصى مَوْلاه، وشقي بسوء ما قدَّمت يداه؛ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30].

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: 37].

بارَك الله لي ولكم في القُرآن العظيم، ونفَعَنا جميعًا بما فيه الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كلِّ ذنب، فاستَغفِروه يَغفِر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(في توديع العام المنصرم وأهم أحداثه)

الحمد لله مُسَيِّر الأزمان ومُدبِّر الأكوان، يسأَلُه مَن في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن، ولا يشغله شأن عن شأن، أحمده - سبحانه - هو العفوُّ الغفور، الحي القيُّوم على مَرِّ الدهور وكَرِّ العصور، يَعلَم خائنة الأعين وما تُخفِي الصدور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، الملك العظيم الذي منه المبتدَأ وإليه المآب، جعَل الشمس ضياءً والقمر نورًا، وقدَّره منازل لتعلَمُوا عدد السنين والحساب، وجعَل الليل والنهار خِلفةً ليذكر ويشكر أولو الألباب، الذين يعلَمون أنَّ الدنيا دارُ عملٍ واكتساب، وأنَّ الآخرة دار جزاءٍ وثواب، وأنَّ مردَّهم إلى الله وهو سريع الحساب.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله، المبعوث بالحقِّ بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدِّين وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعدُ، فيا **أيها الناس**:

اتَّقوا الله وخذوا من تعاقُب الليالي والأيام، وتصرُّم الشهور والأعوام، أعظمَ العبر وأبلغ العظات؛ لتنتَفِعوا من ذلك ما دمتُم على قيد الحياة، بالتوبة إلى الله من الزلاَّت، والاجتِهاد في أنواع الطاعات، والمنافسة في جليل القربات، وما يوصل إلى رفيع الدرجات، قبل الفَوات وحصول الحسرات على عظيم الهفوات.

أيُّها الناس:

ألاَ ترَوْن أنَّ الليل والنهار يَتراكَضان تراكُضَ البريد، فيقربان كلَّ بعيد، ويخلقان كلَّ جديد، ويأتيان بكلِّ موعود، وأنَّكم بمرورهما في آجالٍ منقوصة، وأعمالٍ محفوظة؟ فالأعمار تَفنَى، والآجال تُدنَى، وصحائف الأعمال تُطوَى، والأبدان في الثَّرى تَبلَى، أليس في ذلك للعاقل أعظم العبر وأبلغ العظات؟

أيها المسلمون:

ألاَ ترَوْن أنَّكم في هذه الحياة تتقلَّبون في أسْلاب الهالكين، وستَذهَبون رغمًا عنكم وتُورِثونها لخلفكم اللاحِقين؟ وها أنتم في كلِّ يومٍ تُشيِّعون منكم غاديًا ورائحًا إلى الله - عزَّ وجلَّ - قد قضَى نحبَه ومضى حقًّا إلى ربِّه، فتودِعونه وتدَعُونه في صدع من الأرض غير

مُوسَّد ولا مُمهَّد، قد خلَع الأسباب، وفارَق الأحباب، وسكَن التراب، وواجَه الحساب، غنيًّا عمَّا خلَّف، فقيرًا إلى ما أسلَف، أليس في ذلكم مُعتَبر، وعن الغيِّ مُزدَجر؟ فاتَّقوا الله يا أولي الألباب؛ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

أيها المسلمون:

إنَّ لكلِّ شيءٍ بدايةً ونهاية، وإنَّ نهاية عامنا قد أوشكت على الاقتراب، فقد آذَن عامُنا بالرَّحِيل وولَّى الأعقاب، وإنَّ هذا الرحيل لَيترُكُ في النُّفوس عظيمَ الحزن، وبليغ الأسى، على جزءٍ من العمر قد انقضَى، وتصرَّم ومضى، في غير طاعةٍ للمولى، وربما في مقارفة بعض الذنوب واتِّباع الهوى، وإنَّ عامكم الذي قد انقضتْ أيَّامه ولياليه، وطُوِيت صحائفه على ما تَحوِيه، قد مضى فلا يُمكِنكم ردُّ شيءٍ ممَّا فيه، أو إصلاحه وتلافيه، إلا بالتوبة الصادقة والندم على ما كان، والرُّجوع حقًّا إلى الملك الديَّان، فاستدرِكوا ما مضى بالتوبة وصدق الأوبة، فوالله لا خيرَ في الحياة إلا لتائبٍ إلى ربِّه من الزلاَّت، وعبد مُخلِص لله في عمل الصالحات، ومُسابِق إلى رفيع الدرجات.

أيها المسلمون:

وكم في النُّفوس من لوعةٍ على فراق أحبَّةٍ لنا مضَوْا خلال العام راحِلين، وانقَطَع ذكرُهم وما أمَّلوا وغدَوْا أثرًا بعد عين، رجال طالما انتظروا الصلاة بعد الصلاة، وطالما لهجوا بتلاوة الآيات، وعمَّروا الأوقات بجليل الطاعات وعظيم القربات، مجالستهم تزيد الإيمان، ورؤيتهم تُذَكِّر بالرحمن، وكان وجودُهم بين ظهراني المجتمع أمنةً للناس وصمام أمان، فاستلوا من بيننا دون اختيار، ومضَوْا إلى الواحد القهَّار، وإنَّ في الله عزاءً من كلِّ مصيبة، وجبرانًا من كلِّ نقيصة، وخلفًا من كلِّ فائت، فاللهمَّ اغفر لهم أجمعين، وارفَع درجتهم في المهديِّين واخلفهم في عقبهم في الغابرين، واغفِر لنا ولهم يا ربَّ العالمين، وافسح لهم في قبورهم، ونَوِّر لهم فيها، وارحمنا إذا صِرنا إلى ما صاروا إليه يا أرحم الراحمين.

أيُّها المسلمون:

وكم من أهوالٍ عظام، وأحداث جِسام، مرَّت بنا خلال العام، أقضَّت المضاجع، وأفرغت القلوب في الهواجع، من ظلم الظالمين، وإفساد المفسِدين، وتخريب المجرمين، الذين عاثُوا في

الأرض الفساد، وخرَّبوا البلاد، وشرَّدوا العباد، ورمَّلوا النساء، ويتَّموا الأولاد، وانتَهكُوا الحرمات، وهمُّوا بالإلحاد في المقدَّسات، وفتَنُوا الناس في الدين، وشتَّتوا شملَ المسلمين، فأخَذَهم الله أخْذَ عزيزٍ ذي انتِقام، وجعلهم عبرةً للأنام، ونصَر أهل الإسلام، بحوله وقوَّته وبما سخَّر - سبحانه - من الوسائل والجنود، وإنَّ الله ليؤيِّد هذا الدين بالرجل الفاجر، فاشكُرُوا الله على هذا الإنعام.

أيها المسلمون:

وكم مَرَّ بالأسماع من الزلازل العنيفة، والفيضانات المروِّعة، والمجاعات المخيفة، والفتن المهلِكة؛ ليُذِيقهم بعضَ الذي عملوا لعلَّهم يرجعون؛ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [النحل: 61]، ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: 31].

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 2].

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: 126].

أيها المسلمون:

إنَّ تغيُّر الأحوال، وانقضاء الآجال، وانقِطاع الأعمال والآمال، وما يحدُث من الفواجع والأهوال، وما يُنزِل الله من الألطاف بالمسبِّحين له في الغدوِّ والآصال، كل ذلك ممَّا يُشعِر بعجز المخلوق وضعفه وشدَّة حاجته وافتِقاره إلى خالِقِه ومولاه ومعبوده وحدَه دون مَن سواه، ويُحفِّز العاقل على الرجوع إلى ربِّه والتعلُّق به وحدَه والتمسُّك بدينه والسَّير إليه على هدْي نبيِّه ﷺ ومُلازَمة تقوى الله في سائر الأحوال، فإنها عنوان السعادة وسبيل الفلاح، فالدنيا محفوفةٌ بالأنكاد والأكدار، والشرور والأخطار، ولا يهذبها ويصفِّيها ويسلِّم العبد من شرِّ ما فيها إلاَّ الاستِقامة على الدين، والاستِعانة بما فيها على طاعة ربِّ العالمين؛ كما قال - تعالى - في كتابه المبين: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى * وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: 81 - 82].

وقوله - سبحانه -: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96].

فاتَّقوا الله عباد الله، واغتنِموا فرص الحياة فيما يُقرِّبكم إلى الله، وليكن لكم من مرور الليالي والأيَّام، وتصرُّم الشهور والأعوام، وما يحدث في طيَّاتها من الحوادث الجِسام والأهوال العِظام، عبرٌ ومُزدَجرٌ وعمل صالح تجدون ثوابَه عند الله مدخرًا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: 18 – 20].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(يوم عاشوراء)

الحمد لله ربِّ العالمين، الرحمنِ الرحيم، مالكِ يوم الدين، أحمَدُه - سبحانه - على ما اختَصَّ به بعضَ الأوقات من مَزيد الفضل والحرمة، وأشكُرُه على ما أسبَغَ علينا من نعمة، وصرف عنا من نقمة، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له الملك الكبير، المتفرِّد بالخلق والتدبير، ناصر أوليائه، ومُهلِك أعدائه، فنعم المولى ونعم النصير، لا إله إلا هو له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيء قدير.

وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين، وخيرة الله من خلقه أجمعين، وسيِّد الأنبياء والمرسلين، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد، فيا **أيها الناس**:

اتَّقوا الله - تعالى - واذكُرُوا آلاءَه لعلَّكم تُفلِحون، واذكُرُوا أيَّامَ الله بنصْره لرسله وأتباعهم المؤمنين لعلَّكم تشكُرُون، وتذكَّروا خذلانه - تعالى - لأعدائه ومن والاهُم لعلَّكم تعتَبِرون وتحذَرُون.

أيها المسلمون:

إنَّ انتصار الله - تعالى - للحق وجنده المؤمنين، وانتِقامه - سبحانه - من الباطل وحزبه المستكبِرين في كلِّ زمان ومكان - هو نصرٌ للحق وذلَّةٌ للباطل، وغيظٌ للمتكبر، ونعمةٌ من أجلِّ نِعَمِ الله - تبارك وتعالى - تتجدَّد على المؤمنين على مرِّ الزمان، وفي كلِّ مكان، يقوى بذكراها الإيمان، ويتمكَّن اليقين بنصر الله - تعالى - لعباده المؤمنين ما نصَرُوه وصبَرُوا، واتَّقوه وجاهَدُوا، وأحسَنُوا وتوكَّلُوا، وحذروا أعداءهم وتميَّزُوا، ولم تأخُذْهم في الله لومة لائم مهما استَحكَمتْ من الشدائد الحلقات، وتَراكَمت من الباطل الظلمات، ومهما كان له ولأهله من صَولات وجَولات، فإنَّ الله - تعالى - قد وعَد المؤمنين الصادقين وبشَّرهم بالنصر المبين في محكم الآيات؛ كقوله - تعالى -: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: 51].

وقوله - سبحانه -: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: 173].

وقوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 105 - 106].

أيها المؤمنون:

وفي قصة موسى - عليه السلام - مع فرعون - والتي وقَعتْ في هذا الشهر الحرام - عبرةٌ يعتَبِر بها كلُّ ذي عقل سليم، ويُوقِن أنَّ النصر للمؤمنين ولو بعد حين، وأنَّ العاقبة أبدًا للمتَّقِين، فإنَّ الله - تعالى - نصَر موسى - عليه السلام - وأتْباعه المؤمنين؛ إذ كانوا على الحق المبين، على فرعون اللعين وملئه المستكبرين المتجبِّرين، وذلك ما أشار الله إليه في عدد من قصص القرآن عن موسى وفرعون؛ كقوله - سبحانه - في سورة طه قال - يعني: فرعون - لموسى: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى * فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ [طه: 57 - 60].

ومضى - سبحانه - في ذكر القصة حتى يُبيِّن نتيجةَ المعركة وثمرة الصِّراع بقوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: 67 - 70].

فنصَر الله - تعالى - كليمَه موسى ومَن معه من جند الهدى على فرعون الذي طغَى وبغَى، حتى قال: أنا ربُّكم الأعلى، نصَر الله - تعالى - موسى بعصاه حيث انقَلبَتْ حيَّة عُظمَى هائلة تَسعَى، فجعلت تتبع عصي السحرة وحبالهم التي جاؤوا بها نصرةً للباطل، وكيدًا للحق، وفتنةً للناس، فلم تترك شيئًا ممَّا جاؤوا به يمكرون، إلا تلقَّفَتْه وابتلعَتْه والناس يَنظُرون، بقدرة الله الذي إذا أراد شيئًا فإنما يقول له: كن، فيكون، ورأى الناس ذلك عيانًا جهْرة نهارًا ضحوة، فقامت المعجزة واتَّضح البرهان، وظهَر الحق وبطل كيْد أهل الشرك والكفران، والعِناد والبهتان، فآمَن السحرة وكانوا فيما قيل ثمانين ألفًا، وانتَصَر موسى - عليه السلام - وجنده أهل الإيمان، وذلَّ فرعون وقلب الله كيده عليه، وغلبه غلبًا لم يشهد العالم مثله، فالحمد لله ربِّ العالمين الذي صدَق وعده، ونصَر عبده، وأَعزَّ جنده، وهزَم الأحزاب وحدَه، فلا إله غيره.

أيها المسلمون:

وفي يوم عاشوراء من هذا الشهر نصَر الله - تعالى - موسى والمؤمنين معه مرَّة أخرى في

آيةٍ كبرى، كما بيَّن - سبحانه - ذلك في آياتٍ على مرِّ الزمان تُتلَى؛ قال - تعالى -: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 52 - 62].

وذلك أنَّ الله - سبحانه - أمَر موسى أنْ يتوجَّه إلى حيث أمَر الله، فعند ذلك استنفَر فرعون جندَه - لعَنهم الله - وساروُا في أثر موسى ومَن معه من المؤمنين؛ يُريدون إبادَتَهم والقَضاءَ عليهم عن آخِرِهم، غير مستثنين، فانتَهَى موسى - عليه السلام - بمَن معه من المؤمنين إلى البحر، ولحق بهم فرعون وجنده، وهنالك تزايَد قلق قوم موسى واشتدَّ خوفُهم من عدوِّهم، فالعدوُّ خلفَهم والبحر أمامَهم، ولا وسيلةَ لهم لمجاوزته، فعندئذٍ قالوا لموسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: 61]، فأجابهم إجابةَ المتوكِّل على ربِّه الواثق بنصره: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 62].

فعندئذٍ أوحى الله إلى موسى: ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: 63]، فصار البحر فيما ذكَر أهل التفسير اثني عشر طريقًا، لكلِّ سبط من بني إسرائيل طريقٌ، وبعَث الله ريحًا على قعر البحر فلفحته فصار يبسًا كوجه الأرض، وأمَر الله موسى وقومَه أنْ يَسيرُوا عليه، ودخَل فرعون وجنودُه خلفَهم على الطريق مطمئنِّين إليه، فلمَّا تَتَامَّ أصحاب موسى خارِجين وتَتَامَّ فرعون وجندُه داخِلين اضطمَّ عليهم البحر فأغرَقَهم الله في الماء الذي كانوا به يفتَخِرون، بعد أنْ أنجى الله موسى وقومه، وأمنهم ممَّا كانوا يحذرون؛ قال - تعالى -: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 64 - 67].

فما أعظم المعجزة! وما أجلَّ العبرة! لكن لِمَن ألْقَى السمع وهو شهيد، فاللهم لك الحمد على عظيم نصرك لأوليائك، وشديد انتقامك من أعدائك، ولك الشكر على جزيل جودك وعظيم عطائك لصالح عبادك.

أيها الناس:

إنَّ إهلاكَ الله – تعالى – لفرعون الطاغية اللعين، ومَن تَبِعه من ملَئِه المستكبِرين، وإنجاءَه – سبحانه – موسى – عليه السلام – ومَن معه من المؤمنين نعمةٌ تُذكَر فتُشكَر، وموعظةٌ لكلِّ مَن طغَى وتجبَّر، فالحقُّ منصورٌ، والباطلُ مبتورٌ؛ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: 48 – 49]، وقال – تعالى – : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 18].

فانصُرُوا الله ينصُركم، واشكُرُوه على نِعَمِه يزدكم، والجؤوا إليه في الرَّخاء والشدَّة يحبكم ويعطكم ويحفظكم، ولا تُخالِفوا من جند الباطل وجيوش الضَّلال، فإنهم أتْباع الشيطان، وقد وصَف – سبحانه – كيْد الشيطان بالضعف؛ فقال – تعالى –: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(موعظة في توديع العام والاعتبار بسرعة مضيه)

الحمد لله الحيِّ القيُّوم على مرِّ الدهور وكرِّ العصور، أحمَدُه - سبحانه - ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: 19].

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ﴿جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: 61 - 62].

وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله، المبعوث بالحقِّ بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه على هداه إلى يوم الدين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد؛ فيا أيها الناس:

اتَّقوا الله واتقوا يومًا تُرجَعون فيه إلى الله، ثم توفَّى كلُّ نفسٍ ما كسبت وهم لا يُظلَمون، وتزوَّدوا بعملٍ صالح تُسَرُّون به ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: 30].

أيها المسلمون:

إنَّ كثيرين من الناس تَمضِي عليهم الأيَّام والشُّهور، وتنصَرِم عليهم الأعوام والدُّهور، وهم بين السهو والغَفلة، واللهو وكثْرة المشاغل، والانهِماك في مُتَع الحياة حتى يفجأهم الموت وهم على غير استعداد، قد شغَلَهم الأمل عن صالح العمل، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 99 - 100].

فيغبن أحدهم في فرصة العمر المديد التي وهَبَه الله إيَّاها؛ ليتزوَّد فيها من الصالحات قبلَ انقِضاء الحياة؛ ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: 37].

وكم وجَّه الله - تعالى - أنظارَ عبادِه إلى الاستعداد ليوم المعاد، والتزوُّد له بخير الزاد؛ إذ يقول - سبحانه -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا

إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: 9 - 11].

ويقول - سبحانه -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: 18 - 20].

أيها الناس:

ألاَ ترَوْن أنَّ الأيَّام تُطوَى، والأعمار تفنَى، والأبدان في الثرى تبلَى، وأنَّ الليل والنهار يَتراكَضان تَراكُض البريد، فيُقرِّبان كلَّ بعيد، ويخلقان كلَّ جديد، ويأتيان بكلِّ موعود، وأنَّكم في الأيَّام الماضية ودَّعتُم عامًا جديدًا لا تدرون كم تبلغون منه من الآمال، ألاَ ترَوْن أنَّكم في أسلاب الهالكين، وسيرثها بعدكم الباقون، وفي كلِّ يوم تشيِّعون غاديًا ورائحًا منكم إلى الله، قد قضَى نحبَه فتودعونه، وتدعونه في صدعٍ من الأرض غير مُوَسَّد ولا مُمهَّد، قد خلَع الأسباب، وفارَق الأحباب، وسكَن التراب، وواجَه الحساب، غنيًّا عمَّا خلف، فقيرًا إلى ما أسلف، أليس في ذلك أجلُّ العِبَر وأبلغ العِظات؟

فاتَّقوا الله عِباد الله، واغتَنِموا الأعمارَ فيما يحبُّه الله ويَرضاه؛ بالنيَّة الحسنة، والكَلِم الطيِّب، والعمل الصالح؛ فقد رُوِي أنَّه ما من يومٍ ينشقُّ فجرُه إلاَّ نادَى منادٍ من قِبَل الحقِّ: يا ابن آدم، أنا خلقٌ جديد، وعلى عملك شهيد، فتزوَّد منِّي بعمل صالح، فإنِّي لا أعود إلى يوم القيامة.

أيها الناس:

إنَّكم في ممرِّ الليالي والأيَّام، وفي آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتةً، فمَن استَطاع أنْ يقضي الأجل، وهو في صالحٍ من العمل، فليَفعَل، ولن تنالوا ذلك إلاَّ بالله - عزَّ وجلَّ - وإنَّ الله - تعالى - أثنى على زكريا - عليه السلام - وأهلِ بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90].

فازرَعُوا خيرًا يكن لكم عند الله ذخرًا؛ فإنَّ لكلِّ زارعٍ ما زرَع، فمَن زرَع خيرًا يُوشِك أنْ يحصد رغبة، ومن زرَع شرًّا يوشك أن يحصد ندامة، ولا يسبق بطيء بحظه، ولا يُدرِك حريصٌ بحرصه، ما لم يقدر له، فمَن أعطى خيرًا فالله أعطاه، ومَن وُقِي شرًّا فالله وَقاه، وإنَّ المؤمن بين مخافتين: بين أجلٍ قد مضى لا يَدرِي ما الله صانعٌ فيه، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما

الله قاضٍ فيه، فليأخذ العبد لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الهرَم، ومن الصحَّة قبل السَّقَم، ومن الإمكان قبل الفَوْت، ومن الحياة قبل الموْت، فوالله ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دارٍ إلا الجنَّة أو النار، فعليكم بالآخرة تتبعكم الدنيا، فإنَّ الله - تعالى - قد خطَّ آثارَكم، وقدَّر أرزاقكم، فلا تميلوا إلى الدنيا فتميل بكم عن قصدكم، وتستبدل بكم غيركم، واطلُبُوا ما عند الله، وآثِرُوه على ما سواه، ولا تتشاغَلُوا بما لم تُؤمَروا به عمَّا كلَّفكم به الله؛ فإنَّه لا يُنال ما عند الله إلا بطاعته، والله غنيٌّ عن العالمين.

أيها الناس:

أقبِلُوا على ما كُلِّفتموه من إصلاح آخِرتكم، وأَعرِضوا عمَّا ضمن لكم من أمر دنياكم، ولا تستَعمِلوا جوارح خلَقَها الله وغذاها بنعمته، بالتعرُّض لسخطه بمعصيته، واجعَلُوا شغلكم بالتِماس مغفرته، واصرِفوا هممكم بالتقرُّب إليه بطاعته، فإنَّه من بدأ بنصيبه من الدنيا فاتَه نصيبُه من الآخِرة، ولم يُدرِك منها ما يُرِيد، ومَن بدَأ بنصيبه من الآخِرة وصَل إليه نصيبُه من الدنيا، وأدرَك من الآخرة ما يُرِيد، فلا تشغلنَّكم دنياكم عن آخرتكم، ولا تُؤثِروا أهواءَكم على طاعة مولاكم، ولا تجعَلُوا إيمانكم ذريعةً إلى معاصيكم، وحاسِبُوا أنفسكم قبل أنْ تُحاسَبوا، ومهِّدوا لها قبل أن تُعذَّبوا، وتزوَّدوا للرَّحِيل قبل أنْ تزعجوا، فإنما هو موقف عدل واقتِضاء حق، وسؤال عن واجب، وقد أبلَغ في الإعذار مَن تقدَّم بالإنذار، ألاَ وإنَّ أفضل الناس عبد عرف ربَّه فأطاعه، وعرف عدوَّه فعصاه، وعرف دار إقامته فأصلَحَها، وعلم سرعة رحلته فتزوَّد لها، ألاَ وإنَّ خير الزاد ما صحبه التقوى، وخير العمل ما تقدَّمه صالح النية، وأعلى الناس منزلةً عند الله أخوفهم منه.

ابن آدم، مسكينٌ أنت! تؤتى كلَّ يوم برزقك وأنت تحزن، وينقص كل يوم من عمرك وأنت تفرح، أنت فيما يَكفِيك، وتَطلُب ما يُطغِيك، لا بقليلٍ تقنع، ولا من كثيرٍ تشبع.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: 37].

بارَك الله لي ولكم في القُرآن العظيم، ونفَعنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنبٍ، فاستَغفِروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(تفسير سورة الفاتحة)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 2 – 4].

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحْدَه لا شريك له، هو الإله المعبود الحق الذي لا يستحقُّ غيره شيئًا من عبادته، والمستعان الذي لا تتحقَّق عبادته إلا بإعانته.

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، الهادي من اتَّبعه إلى الصراط المستقيم، والمنذِر لِمَن بلَّغه من عذاب الجحيم، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أُنزل معه، أولئك هم المفلحون.

أما بعدُ؛ فيا أيها الناس:

اتقوا الله – تعالى – حقَّ التقوى، واستمسكوا بكتابه فإنه يهدي للتي هي أقوم وأبقى، وتدبَّروا آياته، تصيبوا من بركاته، وتذكَّروا به، تنتفعوا بعِظَاته وتفوزوا بهداياته، فاتْلوه حقَّ تلاوته واعملوا به، تكونوا من أهل شفاعته؛ فإنَّه يأتي شفيعًا لأهله يوم القيامة، وقائدًا لهم إلى دار الكرامة.

عباد الله:

إنَّ القرآن هو حَبْلُ الله المتين، ونوره المبين، وصراطه المستقيم، فيه نبأُ ما قبلكم، وخَبر ما بعدكم، وحُكْم ما بينكم، هو الفصْل ليس بالْهَزْل، مَن قال به صَدَق، ومَن حَكَم به عَدَل، ومَن عَمِل به أُجِر، ومَن دعا إليه هُدِي إلى صراطٍ مستقيم، ومَن تَرَكه مِن جَبَّار قَصَمَه الله، ومَن ابتغى الهدى من غيره أضلَّه الله، فالسعيد في الدارين من اتَّبع هداه، وأخْلَص دينه لله، والشَّقِي مَن أعْرَض عن ذِكْره فكَفَر بمولاه، واتَّخذ إلهه هواه.

عباد الله:

فـ"الحمد" معناه: الثناء على الله – تعالى – بصفات الكمال ونعوت الجلال، والله هو ذو الألوهيَّة والعبودية على خَلْقه أجمعين، فالألوهيَّة صفته، وهي: التفرُّد المطلق بكلِّ كمال، والتنزُّه عن صفات النقْص والعيب والْمِثال، والعبوديَّة حقَّة على عباده في جميع الأحوال.

والـ"ربُّ": هو الخالق الرازق المتصرِّف، المربِّي لجميع العالمين بأصناف النِّعَم، ولعباده خاصَّة بالإيمان والتوفيق لِخِصال الإحسان.

و"العالمين": جمع: عالَم، وهم أصناف مَخلوقات الله في السموات والأرض، والبَرِّ والبحر،

المتقدِّم منه والمتأخِّر، فهي أصناف كلٌّ منها قَد عمَّه ربُّه بأنواعٍ من الإحسان والألطاف، وهدى كلَّ نوعٍ منها لِمَا خَلَقه له بلا اختلاف.

وقد جمَع الله - تبارك وتعالى - معاني القرآن كلَّها في سورة الفاتحة التي سُمِّيتْ بذلك؛ لأنه افتتح بها؛ فهي بابُه والمدخل إليه، وتُسمَّى: بأُمِّ الكتاب؛ لاشتمالها على مقاصده ومعانيه، وهي: السبع المثاني؛ لأنها سبع آيات تُثنى، أي: تُكرَّر، فتقرأ وجوبًا في كل ركعة من ركعات الصلاة، وهي: الرقية؛ لِمَا فيها من شفاء أمراض القلوب والأبدان، والحمد؛ لأنها مفتتحَة به، وهو الثناء على الله بالألوهيَّة والربوبيَّة والرحمة، وأنه الملك الدَّيَّان، فهذه الأسماء دالَّة على صفات الكمال ونعوت الجلال، ومَن هذا شأْنُه فإنه هو الإله الحق الذي ينبغي أن يُخلِصَ له العباد في جميع عباداتهم في سائر الأحوال، وأنْ ينزِّهوه عن النِّدِّ والشِّرْك والسَّمِي والمثال، فإنَّه - تعالى - لا إله غيره، كما أنَّه خالقٌ ولا ربَّ سواه.

معشر المسلمين:

لقد اشتَمل القُرآن على الدعوة إلى التوحيد وذكر حقيقته وفضائله، والنهي عن الشِّرْك وبيان شُعَبه وغوائله، والترغيب في التوبة إلى الله من الشرك وما دونه، ووعَدَ التائبين بحسن المثوبة وعظيم الكرامة، وتوعد المصرِّين والمعاندين بأليمِ العقوبة والحسرة والندامة يوم القيامة، وفيه الحثُّ على إخلاص العبادة لله، التي تزكو بها النفوس، وتحيا بها القلوب، وتَقْوى معها الرهبة والخشية مِن علاَّم الغيوب، وفيه بيان سبيل السعادة، الموصل إلى النعيم الْمُقيم، ورضوان الربِّ العظيم في الدَّارين، وذكر الأخبار والقَصص عن المهتدين الذين أطاعوا مولاهم، فزادهم هدًى وآتاهم تقواهم، ونَصرهم في الحياة الدنيا والآخرة وأكرم مثواهم، وسوء عاقبة الذين أساؤوا واتَّبعوا أهواءَهم، وكيف وثقوا في الدنيا وكانت النار مثواهم.

فـ«إيَّاك نعبد»؛ أي: تفرد يا ربنا بالقَصْد في عباداتنا كلِّها.

«وإيَّاك نستعين»؛ أي: نطلب إعانتك على طاعتك وعلى أمورنا كلِّها، والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبديَّة، وحُسن العاقبة في جميع الأمور، والنجاة في الدارين من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما، ولا وصولَ إلى الجنة وما فيها من النعيم المقيم ورضوان الربِّ العظيم إلا بالْجَمع بينهما، والعبد مضطر إلى توفيق الله له أن يعبده بما شَرَع، وأن يجنِّبه الشِّرْك والبِدَع، وهذا يحتاج إلى هداية إلى العلم النافع والعمل

الصالح، وهو طريق الهدى الذي سَلَكه مَن أنعم الله عليهم واصطفَى؛ ولهذا اختُتمتْ هذه السورة بصدق الضراعة إلى الله بسؤال الهدى.

و: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6]؛ أي: طريق من أنعمتَ عليهم بالعِلم والعمل، وعَصَمْتَهم من الضلال والزَّلل؛ كاليهود الذين ضلُّوا قصدًا عن سواء السبيل، والنصارى الذين يتعبَّدون على غير هدًى ودليل؛ ولذا قال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 7].

أيُّها المؤمنون:

وأمَّا ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 3]، فاسمان دالان على أنه - تعالى - ذو الرحمة الواسعة، والنعمة السابغة؛ فرحمته وسعتْ كلَّ شيءٍ، ونعمته عمَّتْ كلَّ حيٍّ، فهو رحمن بِخَلْقِه في الدنيا عامَّة، ورحيم في الدنيا والآخرة بالمؤمنين خاصَّة.

وأمَّا ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4]، فالمراد به: مالك يوم القيامة، يوم الحساب، هو يوم الثواب والعقاب، يجزي الذين أساؤوا بما عَمِلوا، ويجزي الذين أحسنوا بالْحُسنى، ومَن هذا شأنه فهو المستحقُّ أن يُفْرَد بجميع أنواع العبادة؛ وهي غاية الحبِّ مع غاية الذُّلِّ والخضوع، وبالاستعانة به وحْدَه، وهي: الاعتماد على الله وحدَه؛ اعتمادًا عليه في جَلْب المنافع ودَفْع المضار، وثِقَةً به فإنه الواحد القهار، مع غاية الرغبة والاضطرار إليه وكمال الانكسار، فلا تحصيل للمقصود، إلا بإخلاصٍ للمعبود.

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإيَّاكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنبٍ، فاستغفروه يغفر لكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

(الحث على الانتفاع من المال قبل ذهابه)

الحمدُ لله الذي آتانا المال، وجعَلَنا فيه مُستَخلفين، وأمَرَنا بإنفاقه ابتغاء وَجهه، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: 39].

أحمَدُه – سبحانه – جعَل إنفاق المال في سبيله برهانًا على صدق الإيمان، ودليلاً على صفة الإحسان، وسببًا من أسباب نيل الرضوان، وبلوغ أعلى دَرجات الجِنان.

وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، يحبُّ المتَّقين، ويَجزِي المتصدِّقين، فلا يُضِيع أجرَ المحسِنين، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، كان أجودَ الناس وكان أجود ما يكون في رمضان وكان أجود بالخير من الرِّيح المرسَلة، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أئمَّة المتصدِّقين وأسوة المحسِنين

أمَّا بعد؛ فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله وحَصِّنوا أموالَكم بالزكاة، واطلُبوا زيادتها وبركتها بالصدقات، واعلَموا أنَّ الصدقة تُطفِئ غضَب الرب، وتَدفَع ميتة السوء، وأنَّ كلَّ امرئٍ في ظِلِّ صدقته يوم القيامة حتى يُقضَى بين الناس، وهي سترةٌ بين المتصدِّق وبين النار عندما يجوز الصراط، فاتَّقوا النار ولو بشِقِّ تمرة، فإنْ لم تجدوا فبكلمةٍ طيِّبة.

أيها المسلمون:

إنَّ الله – تعالى – جعَل هذا المال محنةً لأقوامٍ ومِنحَةً لآخَرين؛ فقد أعطَى عباده الخير الكثير والمال الوفير، ليمتَحِن بذلك إيمان المدَّعِين، فيَظهَر جود الكِرام المحسنين، ويبيِّن بخل الأشحَّاء الهَلِعين؛ فمنهم مَن يتَّخِذ ما يُنفِق مَغرَمًا ويتربَّص بالمسلمين الدوائر؛ ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 98 – 99].

أيها الناس:

إنَّ ما بأيديكم من أموالٍ عاريةٌ لله عندكم، كانت بأيدي مَن سبَقَكم، وستنتَقِل إلى مَن بعدَكم، فانتَفِعوا منها ما دامت في أيديكم، فقد صَحَّ عن نبيِّكم ﷺ أنَّه قال: ((إنَّ الدنيا

حلوةٌ خضرة وإنَّ الله – تعالى – مستخلفُكم فيها فينظر كيف تعمَلون)).

وفي "صحيح مسلم" عن عبدالله بن الشِّخِّير – رضي الله عنه – قال: انتهيتُ إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: ((أَلْهاكُم التَّكاثُر؛ يقول ابن آدم: مالي، مالي، وهل لك من مالك إلاَّ ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأبليتَ، أو تصدَّقتَ فأمضيتَ، وما سوى ذلك فذاهبٌ وتارِكُه للناس)).

وفي "صحيح البخاري" عن عبدالله بن مسعودٍ – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: ((أيُّكم مالُ وارِثِه أحبُّ إليه من ماله؟))، قالوا: يا رسول الله، ما منَّا أحدٌ إلاَّ ماله أحب إليه، قال: ((فإنَّ مالَه ما قدَّم ومالُ وارِثِه ما أخَّرَ)).

وعند الترمذي عن عائشة – رضِي الله عنها – أنهم ذبحوا شاةً فتصدَّقوا بها إلاَّ كتفها، فقال النبي ﷺ: ((ما بقي منها؟))، قالت: ما بقي منها إلاَّ كتفها، قال: ((بقي كلُّها غيرَ كتفها)).

وفي الصحيحين أنَّ النبي ﷺ سُئِل: أيُّ الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: ((أنْ تصدَّق وأنت صحيحٌ شحيحٌ تخشى الفقر وتأمل الغِنَى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان كذا)).

فاتَّقوا الله أيُّها المسلمون، وانتَفِعوا من أموالكم ما دامَتْ في أيديكم؛ بالتقرُّب إلى الله، والمسارعة إلى ما فيه رِضاه؛ ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: 7].

ابتغوا بأموالكم الضُّعَفاء والمساكين، فإنما تُنصَرون وتُرزَقون بضُعَفائكم، أنفِقُوا عليهم طيِّبات ما كسَبتُم وممَّا أخرج الله لكم من الأرض؛ ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: 267].

فإنَّ الله طيِّبٌ لا يَقبَل إلا طيِّبًا، وما تصدَّق أحدٌ بعدل تمرة من كسب طيِّب إلاَّ أخَذَها الرحمن بيمينه، فتربو في كفِّ الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل.

أيها المؤمنون:

تحرَّوا بصدقاتكم ونفقاتكم الفُقَراء، وهم كلُّ مَن لا مال له ولا حرفة ولا وظيفة، والمساكين هم مَن لهم شيءٌ من ذلك، لكن لا يقوم بحاجاتهم ومؤنتهم، وآثروا بها مَن كان منهم ذوي القربى؛ فإنَّ الصدقة على ذي الرحم ثِنتان، صدقة وصلة، ولا تغفلوا عن جِيرانِكم منها؛ فإنهم

من أَوْلَى الناس ببرِّكم وإحسانكم، وإنَّ خير الجيران خيرهم لجاره، وأولاهم بذلك أقربهم منكم بابًا، وواسوا بصدقاتكم وزكواتكم المجاهِدين الذين يُجاهِدون الكفَّار، ويتلقَّون بصدورهم الحديد والنار، حماية للدين ودفاعًا عن الأعراض، ومحافظة على كرامة المسلمين؛ تنفيذًا لما جاء من الأمر بالجهاد بالنفس والمال في الكتاب والسنَّة، وطلبًا لعظيم الأجر وجَزِيل المثوبة، ورجاء لحسن العاقبة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 92].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعَنا جميعًا بما فيه من الذكر والهُدَى والبيان، وحبَّب إلينا الإيمان، وكرَّه إلينا الكفر والفسوق والعِصيان، وجعَلَنا من الراشدين، فاستَغفِروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

(نعمة الله على هذه الأمة برسالة النبي وما حصل لها به من التفضيل)

الحمد لله الذي أَرْسَلَ رسوله بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدين كلِّه وكَفَى بالله شهيدًا، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحْدَه لا شريك له إقرارًا به وتوحيدًا، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا مزيدًا.

أمَّا بعدُ؛ فيا أيها الناس:

اتقوا الله واشكروه على جميع نعمه، واسألوه المزيدَ من فَضْله وألوان كَرَمه، واحذروا معصيته ومُخَالفته؛ فإنها سببٌ لِمَقْته وشديد نِقْمته، واذكروا نعمة الله عليكم؛ إذ هداكم للإسلام، وجَعَلكم من أُمَّة محمد ﷺ فإنَّ الناس كانوا قبل بعثته في جاهليَّة جَهْلاء، وضلالة عمياء، مشركين بربِّهم، متوجِّهين بالعبادة وطلب النَّفْع ودَفْع الضُّرِّ إلى مَن يضرُّهم ولا ينفعهم؛ من الأموات والجمادات، والأرواح الغافلات، وغير ذلك من أنواع المخلوقات.

فصِنْفٌ منهم معرضون عن ربِّ الأرض والسموات، يتبرَّك بنوع من الشجر، والآخر ينادي ميِّتًا في قبر، وثالث يشكو إلى حَجَرٍ عُسْرَ الأمر، ورابع يسجد للشمس والقمر والنجوم، والكل مُعرض عن ذِكْر الحي القَيُّوم.

وكانوا في أمورهم العامة في أسوأ حال، وأضيق عَيْش، وأشد كَرْب، يَسفكون الدماء عند أتفه الأسباب، ويغتَصِبون الأموال ويَعدُّونه أشرفَ الأكساب، ويتحاكَمون إلى الطواغيت، ويستجيرون بالشياطين والعفاريت، وكانتْ تحكم العالَم آنذاك دولتان غاشمتان ظالمتان: دولة الروم النصرانية الضالَّة، ودولة الفُرس المجوسيَّة الظالِمة المتجبِّرة.

وكان العالَم يعيش في ظلام دامسٍ، وجهل خانقٍ، وخُرافة متحكِّمة، وبَلْبَلة وفِتنة مستحكمة، حتى أَذِن الله – تعالى – وله الفضل والْمِنَّة ببعثة خاتم النبيين، وإمام المرسلين، محمد ﷺ رحمةً للعالمين، وحُجَّة على الْخَلق أجمعين، أرسله بالهدى ودينِ الحقِّ بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فأنقَذَ به – وله الحمد والشكر – مِن الجهالة، وهَدى به من الضلالة، وبَصَّر به من الْعَمَى، وعَصَم به من الرَّدَى، وأعزَّ به من الذِّلَّة، وأغْنَى به من القِلَّة، وأخْرَج به من الظلمات إلى النور، ويَسَّر به الأمور، ولَم يَزَلْ – صلوات الله وسلامه عليه – مُجتهدًا في تبليغ الدين، وهداية العالمين، وجِهاد الكفار والمنافقين؛ حتى أشرقت الأرض بنور الله ابتهاجًا، ودخَلَ الناس في دين الله أفواجًا، ورَجَع

الكفر خاسئًا حَسيرًا أدراجًا، وتحقَّقت مِنَّة الله على المؤمنين؛ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: 2 - 4].

أيها المسلمون:

حقٌّ على كل مؤمن بالله واليوم الآخر، ويؤمن بالعَرْض على الله يوم تُبْلَى السرائر، أن يشكرَ الله على بِعثة هذا النبي الكريم، والرسول العظيم، وأن يحبَّ الله لِمَا أَجزَل من نعمه التي لا تحصون؛ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 151 - 152].

وعلامة حُبِّ الرحمن، اتِّباعُ النبي الكريم المرْسَل إلى جميع الإنس والجان؛ فإن ذلك هو الامتحان المنصوص عليه في القرآن؛ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

ولهذا أمر الله المؤمنين باتِّباعه وطاعته، وحذَّرهم من مُخالفته ومشاقَّته، وشَرَع لهم تعزيرَه وتوقيرَه، وتعظيمه وتكريمه، ورفَع له ذكرَه، وشَرَح له صدرَه، وجعل الذِّلَّة والصَّغار والخيبة والخَسار على مَن خالف أمرَه، وأوجبَ عليهم محبَّته أعظم من محبَّة أنفسهم ووالديهم وأولادهم والناس أجمعين، وجعل ذلك من أعظم القُربات إليه وأسباب الزُّلْفَى لديه يوم الدِّين.

أيها المؤمنون:

لقد رَحِم الله أُمَّة محمد ﷺ باتِّباعه رحمة عظيمة، فما جعَل الله عليهم في دينه حرجًا، بل جَعَل لها فيه عند كلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وعند كلِّ ضائقة مَخرجًا، ويسَّر لها الأحكام، ونوَّع أسباب تكفير الآثام، وضاعَف لها على الأعمال الصالحة القليلة الأجور، ولَطف بها عند وقوع المقدور، وأعطى نبيَّها لها ألاَّ يُهلكها بسَنةٍ عامَّة، وألا يُسلط عليها عدوًّا من سوى نفسها، ما لَم يختلفوا في الدِّين، ويأخذوا بسُنن المغضوب عليهم والضالِّين؛ فحينئذٍ تحدثُ الطامَّة، وتقع الفتنة التي تصيب الخاصَّة والعامَّة، وأعطى الله هذه الأُمَّة المرحومة شفاعة نبيِّها في

الموحدين، بعد الشفاعة التي يَنال بها المقام المحمود بين العالمين، وكذلك يَشفع النبي ﷺ شفاعة خاصَّة به للمؤمنين في دخول الجنة، وشفاعة أخرى عامَّة له ولغيره في رِفعة المنزلة وعُلوِّ المرتبة داخل الجنة.

وبالجملة، فإنَّ هذه الأُمَّة تُوفِّي يوم القيامة سبعين أُمَّة، هي خيرُها وأكرمُها على الله - عزَّ وجلَّ - وهم أكثر الأمم في الجنة؛ حتى يبلغوا الشطر أو يزيدون، وذلك من فضْل الله ورحمته؛ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 58].

أيُّها المؤمنون:

أدُّوا حقوق نبيِّكم محمد ﷺ تَحْظوا بشفاعته، وتنالوا من الله كرامته، فمن حقوقه عليكم أنْ تُكْثِروا عليه من الصلاة والسلام، وهي من أعظم أسباب استجابة الدعاء ورِفْعة الدرجات وتكفير الآثام، ومن حقِّه عليكم أن تسألوا الله له الوسيلة والفضيلةَ والمقام المحمود بعد كلِّ أذان؛ فإنَّ جزاءَ ذلك أنْ تَحلَّ عليكم الشفاعة فبُشْرَاكم يا أهل الإيمان.

ومِن حقِّه عليكم أن تتمسَّكوا بسُنته؛ لتأْمَنوا من الضلالة، وتنجوا من الفتنة، وأنْ تبلغوا دينه؛ لتفوزوا بنضارة الوجْه يوم القيامة، وأنْ تطيعوه في الصغير والكبير - قولاً ونيَّة وعملاً - لعلكم تفلحون؛ ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: 52].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 66 - 69].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا الله جميعًا بما فيه من الآيات والذِّكْر الحكيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يَغفر لكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله يهدي من يشاء بفَضْله إلى صراط مستقيم، ويُضل مَن يشاء بعَدْله عن النَّهْج القويم، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحْدَه لا شريك له الرحمن الرحيم، وأشهد أنَّ محمدًا عبده

ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به، وعزروه ونصروه، واتَّبعوا النور الذي أُنزل معه، أولئك هم المفلحون.

أما بعدُ:

فيا أيها الناس، اتقوا الله – تعالى – حقَّ التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعُروة الوثْقى، واذكروا ما عَهِد إليكم نبيُّكم ﷺ ووصَّى؛ إذ يقول: ((إنه مَن يَعِش منكم، فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومُحْدَثات الأمور؛ فإن كلَّ مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة))، وفي رواية: ((وكل ضلالة في النار)).

فإيَّاكم والابتداع في الدين؛ فإنه من عمل المغضوب عليهم والضالِّين، وقال ﷺ: ((مَن أحْدَثَ في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رَدٌّ)).

فالابتداع في الدين مُخالفة لنَهْج النبيِّ الأمين، وأخْذٌ بمسلك المغضوب عليهم والضالين، وموجب لردِّ العمل وغَضَبِ ربِّ العالمين، واعلموا أنَّ من أخطر المبتدعات، ما أحْدَثَه بعض المنحرفين من أهل الخُرافة والمتصوفة من الاحتفال بمولد النبي ﷺ وإطرائه في هذه الاحتفالات؛ حتى يرفعوه من مرتبة العبودية إلى مرتبة الألوهيَّة؛ حيث ينسبون إليه شيئًا من خصائص ربِّ الأرض والسموات، ويضرعون إليه بخالص الدعوات، ويصرفون له شيئًا من أنواع العبادات، ويصفونه بأوصاف لا تتَّفق مع الوَحي المنزَّل، وليس فيها توقيرٌ للنبي المرْسَل، عليه أكمل الصلاة والتسليم من الله – عزَّ وجلَّ.

وكل هذه الأمور – يا عباد الله – من الْمُحْدَثات وأنواع الضلالات التي تُبَدِّل الدِّين، وتُوجِب العقوبة من ربِّ العالمين؛ ولذلك نَهَى عنها النبي الناصح الأمين، وحذَّر منها جميع المسلمين؛ قال ﷺ: ((مَن أحْدَثَ في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رَدٌّ))، وقال: ((لَعَن الله من آوى مُحدِثًا))، يعني: دافَعَ عنه ونَصَره، ووافق على بدعته، وقال ﷺ: ((لا تطروني كما أطْرَتِ النصارى ابنَ مَريمَ؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله)).

فهؤلاء الضُّلاَّل جمعوا بين الضلالتين – كما تسمعون منهم هذه الأيام – وفتنوا المسلمين في الدين، وذلك من أعظم الآثام، وأشد أنواع الإجرام، وأخذوا بمناهج اليهود والنصارى باحتفالاتهم بأعياد أنبيائهم وعُظَمائهم، ومَن تشبَّه بقومٍ، فهو منهم، فصَدَق عليهم قوله ﷺ:

((لَتَتَّبِعُنَّ سَنن مَن كان قبلكم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ لدخلتموه))، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: ((فمَن؟)).

فإيَّاكم وما هم عليه من الضلالات وأنواع المبتدعات؛ ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63].

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: 201].

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكرْكم، واشكروه على نعمه يزدْكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

(الاستعداد للموت والعناية بالوصية)

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا.

أمَّا بعد؛ فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281]، ولا تغرَّنَّكم بسطة العيش وسعة الآمال، وما فُتِنَ به الكثيرون من الأشغال، التي ألهَتْهُم عن تذكُّر هول الرُّجوع والقِيام بين يدي الكبير المتَعالِ.

عبادَ الله:

أمَا رأيتُم المأخوذِين على غِرَّة، المزعجين بعد الطمأنينة، الذين أقاموا على الشُّبهات، وجنَحُوا إلى الشَّهوات، حتى أتَتْهم رُسُلُ ربهم؟ فلا ما كانوا أمَّلوا أدرَكُوا، ولا إلى ما فاتهم رجعوا، قدموا على ما عملوا، وندموا على ما خلفوا، فلم يُغنِهم الندم، وقد جفَّ القلم، فرحم الله امرأً قدَّم خيرًا، وأنفق قصدًا، وقال صدقًا، وملك دواعي شهواته ولم تملكه، وعصى إمرة نفسه فلم تهلكه، وأخذ بالحزم في كلِّ شانه، فلم يفرط فيه ثم يتمنَّاه وقد فات أوانه.

ألاَ فحاسبوا أنفسكم قبل أنْ تحاسبوا، ومهِّدوا لها قبل أنْ تعذَّبوا، وخُذُوا بالحزم في أموركم قبل أنْ تفاجؤوا، وتزوَّدوا للرحيل قبل أنْ تُزعَجوا، فإنها موقف عدل، واقتضاء حق، وسؤال عن واجب، ولقد أبلغ في الإعذار، مَن تقدَّم في الإنذار؛ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ * إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 33 - 34].

أيها الناس:

إنَّ المسلم العاقل ينبغي له أنْ يأخذ بالحزم، وأن يتحلى بحلى أولي العزم؛ من التوثق في أمور حياته، لما بعد وفاته؛ لما ثبت في الصحيح من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -

أنَّ النبي ﷺ قال: ((ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أنْ يُوصِي به يَبِيتُ ليلتين - وفي رواية: ثلاث - ووصيَّته مكتوبة عند رأسه))، قال ابن عمر: فلم تمض عليَّ ليلة إلاَّ ووصيَّتي مكتوبة عند رأسي، وهكذا كان السلف الصالح - رحمهم الله - يتأهَّبون بكتابة وَصاياهم وتخليدها في حال صحَّتهم، عملاً بوصيَّة رسول الله ﷺ وأخذًا بالحزم في شؤونهم.

أيها المسلمون:

تتأكَّد الوصيَّة في حقِّ مَن عليه حقوق للناس غير موثقة، وأحقُّ شيء يُوصِي به الشخص هو الخروج من المظالم وأداء الديون وسائر حقوق الناس؛ فإنَّ هذه الأمور لا يترك الله منها شيئًا، كما في "صحيح مسلم" عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((لتؤدنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)).

وفي "صحيح البخاري" عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أيضًا عن النبي ﷺ قال: ((مَن كانت عنده مَظلَمة لأخيه من عرضه أو من شيء، فليتحلَّله منه اليوم قبل ألاَّ يكون دينار ولا درهم، إنْ كان له عمل صالح، أخذ منه بمقدار مظلمته، وإن لم يكن له حسنات، أخذت من سيِّئات صاحبه فحمل عليه)).

وقد سُئِل ﷺ عن الشهيد يُقتَل في سبيل الله صابرًا محتسبًا مُقبِلاً غير مُدبِر: أتُكفَّر عنه خَطاياه؟ فقال: ((نعم، إلاَّ الدَّين)).

فالواجب على المسلم المؤمن بالموت والبعث والجزاء أنْ يؤدِّي حقوق الناس إليهم، وأنْ يخرج من مظالمهم في حال صحَّته وحياته، وما عجز عنه كتبه في وصيَّته؛ لعلَّ الله أنْ ييسِّر أداءه على يدي ورثته بعد وَفاته؛ ففي الترمذي وغيره عن النبي ﷺ قال: ((نفس المؤمن مُعلَّقة بدَيْنِه حتى يُقْضَى عنه)).

وبلَغ من تشديد النبي ﷺ في أمر الدَّين بادئ الأمر أنَّه كان لا يُصلِّي على مَن مات وعليه دين حتى يتحمَّل عنه، ولَمَّا ضمن أبو قتادة - رضي الله عنه - دَيْنَ ميت ليصلِّي عليه النبي ﷺ كان النبي ﷺ يسأله إذا لقِيَه: ((هل أدَّيت دين الميت؟))، فلمَّا قال: نعم، قال: ((الآن بردت عليه جلده)).

فاتَّقوا الله - عباد الله - في ديونكم وأماناتكم، وحقوق الناس وودائعهم عندكم، أدوها إليهم في حال صحَّتكم وقوَّتكم وغِناكم، ولا تُماطِلوا فيها؛ فإنَّ مطل الغني ظُلْمٌ يُبِيح عرضه

وعقوبته، وما عجزتم عنه لفَقرِكم، أو تعذَّر وصوله إلى أهله في حَياتكم، فاكتُبُوه في وَصاياكم، واسألوا الله أنْ يوفِّيه عنكم؛ فإنَّ الله مع المدِين ما دام ينوي أداء حقوق الناس، وفي الحديث: ((مَن أخَذ أموالَ الناس وهو يريد، أداءها أدَّى الله عنه، ومَن أخذها وهو يريد إتلافها، أتلفه الله)).

أيها المسلمون:

وممَّا ينبغي للتقي الغني أنْ ينفق من ماله في وجوه الخير وأبواب البر؛ من صلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران والأيتام، والإعانة على طلب العلم والجهاد في سبيل الله، وبناء المساجد، وإغاثة الملهوفين، وإسعاف المنكوبين، وقَضاء دين المعسرين، وستر المعوزين المتعفِّفين؛ فإنَّ أفضل الصدقة أن تَصَّدَّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان.

وفي الصحيح أنَّ أبا طلحة - رضي الله عنه - قال: يا رسول الله، إنَّ الله - تعالى - يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92]، وإنَّ أحب أموالي إليَّ بَيْرُحاء، وإنها صدقةٌ لله أرجو برَّها وذخرها، فضعْها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبي ﷺ: ((بخ بخ، ذاك مال رابح، ذاك مال رابح، وإني أرى أنْ تجعلها في الأقربين))، فقسمها أبو طلحة في أقاربه.

وقد دلَّت الأحاديث على أنَّ الصدقة على القريب صدقة وصلة، فتقرَّبوا إلى ربكم ببذل أموالكم في مَرضاته ما دامَتْ في أيديكم قبل بعدها عنكم.

أيها الناس:

وقد لطف الله بعِباده فتصدَّق عليهم بثلث أموالهم أو الربع، يوصون به عند وفاتهم لتُبذَل في وجوه الخير وأنواع البر؛ زيادة في الصالحات، وطلبًا لمضاعفة الحسنات، وسببًا لرفعة الدرجات، يتزوَّد بها المرء لآخِرته قبل انقِطاع عمله بموته، لكن بشرط أن تكون بالثلث فأقل، وألاَّ تكون لأحدٍ من الورثة؛ فإنَّ الله قد أعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه فلا وصيَّة لوارث، فأوصوا بما يتيسَّر من أموالكم لغير الوارثين من قراباتكم وفي سائر وجوه الخير؛ طلبًا لمرضاة ربكم، وسَعيًا في تحصيل عظيم الأجور، والتجارة التي لن تبور، وإيَّاكم والجور في الوصيَّة بأنْ تخصُّوا أحد الورثة بشيءٍ دون الآخرين؛ ففي الترمذي وغيره عن أبي هريرة - رضِي الله عنه -

مرفوعًا: ((إنَّ الرجل أو المرأة ليَعمَلان بطاعة الله ستِّين سنة، فيُضارَّان بالوصيَّة؛ فتجب لهما النار))، ثم قرأ أبو هريرة: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ * تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: 12 - 14].

وفي "مصنف عبدالرزاق" عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كانوا يكتبون في صدور وَصاياهم: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به فلان بن فلان: أنَّه يشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأنَّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور، وأوصى مَن ترَك من أهله أنْ يتَّقوا الله، ويُصلِحوا ذات بينهم، ويُطِيعوا الله ورسوله إنْ كانوا مؤمنين، وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوبُ ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 132].

وقال أحد السلف في وصيَّة: "هذا ما أوصى به فلان، وأشهد الله عليه وكفى بالله شهيدًا، وجازيًا لعباده الصالحين مثيبًا: أنِّي رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا، وأنِّي آمُر نفسي ومَن أطاعني أنْ يعبد الله في العابدين، ويحمده في الحامدين، وأنْ ينصح لجماعة المسلمين"، ثم يذكر ما عليه للناس وما عندهم له.

فاتَّقوا الله - عباد الله - وخذوا أهبتكم للوقوف بين يدي الله؛ فإنَّكم إلى ربِّكم مُنقَلبون، وبأعمالكم مجزيُّون، وعلى تفريطكم نادِمُون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227].

بارَك الله لي ولكم في القُرآن العظيم، ونفعَني وإيَّاكم بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كلِّ ذنب، فاستغفروه يغفر لكم، إنَّه هو الغفور الرحيم.

(الترغيب في طلب العلم النافع، علم الكتاب والسنة)

الحمد لله الذي يُفقِّه مَن أراد به خيرًا في الدِّين، ويرفع درجات العلماء العامِلين، فيجعلهم أئمَّة للمتَّقين، وهُداة للعالمين؛ ﴿لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24].

وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له؛ ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن : 1 - 4].

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله، الذي أنزَلَ الله عليه الكتاب والحِكمة، وعلَّمه ما لم يكنْ يعلم، وكان فضْلُ الله عليه عظيمًا، وبعثَه في الأُميين رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويزكِّيهم، ويعلِّمهم الكتاب والحِكمة، وإنْ كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين، وآخرين منهم لَمَّا يَلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم، ذلك فضْل الله يُؤْتيه مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

أما بعدُ؛ فيا أيها الناس:

اتقوا الله - تعالى - وأقبِلوا على تعلُّم ما أنزَلَ الله عليكم من الكتاب والحِكمة، والتفقُّه فيهما، والعمل بهما، يعلِّمكم الله ويجعل لكم فرقانًا ونورًا تمشون به، ويُكفِّر عنكم سيِّئاتكم، ويَغفر لكم والله ذو الفضل العظيم؛ فإنهما قد اشتَملاَ على العلم النافع، المثْمِر لكلِّ عمل صالِح، والدال على كلِّ خير في العاجلة والآجلة، والموصِّل إلى رضوان الله وجنته؛ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: 15 - 16].

أيها المسلمون:

تعلَّموا العلم الموروث عن نبيِّكم ﷺ من الكتاب والسُّنة، وعلِّموه أهليكم وذويكم؛ فإنَّ حاجتكم إليه شديدة، وضرورتكم إليه عظيمة، أعظم من حاجتكم إلى الغذاء والدواء، والهواء والضياء، فإنَّه نور يُهتدى به في الظلمات، وسببٌ يُتوصَّل به إلى الخيرات، به يُعرف حقُّ الله على عباده، وما للمُتَّقي عنده من الخير يوم معاده، وبه تُعرف الأحكام، وتُوصَل الأرحام، ويُفرَّق بين الحلال والحرام، وهو الباعث على الإحسان في العمل والإخلاص، وهو

لكلِّ كَلِم طيبٍ وعمل صالحٍ أساس، وهو أفضل مُكتَسب، وأشرف مُنتسب، وأنْفس ذخيرة تُقْتَنى، وأطيب ثمرة تُجْتَنى، وهو وسيلة الفضائل، وسببٌ يُلحق بالسابقين الأوائل.

فتعلَّموا هذا العلم، وأخلصوا لله فيه، تكونوا لربِّكم - تعالى - مُتَّقين، ولنبيِّكم ﷺ وارثين، وبأشرف الحظوظ آخذين، ولطريقِ الجنة سالكين، وإنَّما العلم بالتعلُّم، والفقه بالتفقُّه، ومَن يُرد الله به خيرًا، يُفقِّهه في الدِّين، فمَن عَلِم الله فيه خيرًا سمَّعه، ومَن اتَّقى الله - تعالى - كان معه، فإنه - سبحانه - يُسمع مَن يشاء، ويهدي من يشاء، ويُؤتي الحِكمة من يشاء، ومَن يُؤْتَ الحِكمة، فقد أُوتِي خيرًا كثيرًا، وما يذكَّر إلا أولو الألباب.

أيها المسلمون:

إنَّما يُراد من العلم خشية الله - تعالى - فكلُّ علمٍ لا يُورث صاحبَه الخشية، فهو تعبٌ على صاحبه في تحصيله وجَمْعه، وضرره عليه أكثر من نفعه، فاطلبوا من العلم ما يُثمر خشية الله - تعالى - ولن تجدوا ذلك إلاَّ في كتاب ربِّكم - تبارك وتعالى - وسُنة نبيِّكم محمد ﷺ ألا وإنَّ العلم النافع نورٌ يَقذفه الله في قلب العبد، إذا سلَكَ سبيلَه، ورغب تحصيله، وأخلص لله قصدَه، وبذَلَ من أجْله غاية جُهدِه، فإذا استقرَّ ذلك النور في القلب، صلَح به القلبُ، وانشرح به الصدر، وزكت به النفس؛ فطابت الأقوال، وكرمتِ الأعمال، وحَسُنتْ به السريرة، وجملتْ به السيرة، فأضحى صاحبه وارثًا للنبوَّة، سالكًا طريقَ الجنة، إمامًا يُقتدى به إلى آخر الدهر، فلا يعلم إلاَّ الله ما ينال من الأجر؛ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: 21].

فاتقوا الله - أيها المؤمنون - وامضوا أعمارَكم في طلب العلم النافع، تحصلوا على جميع المنافع، لا سيَّما وقد يسَّر الله لكم في هذا الزمان سُبلَه، وهيَّأ لكم وسائله، فقد شاعَ العلم في سائر الأقطار، وبلغَ ما بلَغ الليل والنهار، يسير فوق الرياح، ويُسْمَع في الغدو والرَّواح، يدخل خَفي البيوت، ويَسْرح في الفلوات؛ فقد - والله - قامتْ في هذا الزمان علينا الحُجة، واتَّضحتْ لنا المحجَّة، فاذكروا نعمة الله عليكم، واشكروا جميل إحسانه إليكم، واستعملوا نعمَه في طاعته، ولا تجعلوها وسيلةً لمخالفته ومشاقته، ولا تُعرِضوا عن ذِكْره، ولا تخالفوا عن أمره، بل اتَّبِعوا هُداه، واتَّصفوا بتقواه، وتفقَّهوا في دينه، وأنذروا قومَكم لعلَّهم يَحذرون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ

وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122].

بارَكَ الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه يغفر لكم؛ إنَّه هو الغفور الرحيم.

(في الذكرى بمضي الأيام وتصرم الأعمار)

الحمد لله الذي حكَم بالفَناء على أهْل هذه الدار، وهدَم بالموت مشيَّد الأعمار، وأخبر أنَّ الآخِرة هي دار القَرار، أحمَدُه - سبحانه - حمدًا يُبلِّغ رضاه، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له فلا معبود بحقٍّ سواه.

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ومُصطَفاه، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه أبدًا على هُداه

أمَّا بعد؛ أيها الناس:

اتقوا الله - تعالى - تقوى مَن آمَن به وأيقن أنَّ مرجعه إليه وحسابه عليه، فعمل بطاعته وشكَر نعمته، واتَّقاه وتوكل عليه؛ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 2 - 3].

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4].

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 5].

وقد كتَب الله للمتقين النَّجاة من النار، وضمن لهم الجنَّة فنعم عُقبَى الدار ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 54 - 55].

أيُّها المسلمون:

إنَّ الله - تعالى - جعَل الليالي والأيَّام مواقيت للأعمال، ومقادير للآجال، وهي تنقَضِي جميعًا، وتمضي سريعًا، والذي أوجدَها وقدر ما فيها باقٍ لا يَزُول، ودائمٌ لا يَحُول، وأمَّا الخلق فمصيرُه في هذه الدار للذهاب، وكل ما على صعيد الأرض كائنٌ للتراب؛ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 26 - 27].

وها أنتم تودعون عامًا قد انقَضَى، وجزءًا من العمر قد مضَى، قد تولَّت لحظاته، وبقيت أرباحُه وتبعاتُه، فيا سعادة المتَّقِي يوم لِقاه، ويا خَسارة مَن شقي يومَ ينظر المرء ما قدَّمت يداه، ذهبت لذَّة المعصية وحَلاوتها، وبقيتْ تبعتها ومَرارَتُها، وذهَب نصب العِبادة، وبقي عند الله ثوابُها من الحسنى والزيادة.

عباد الله:

كل شهر يستهلُّه الإنسان ويستكمِله يُدنيه من أجله، ويُقصِيه عن أمله، ويُبعِده عن ضيعته، ويُقرِّبه من آخرته، وغدًا تُوفَّى النفوس ما عملت، ويحصد الزارعون ما زرعوا؛ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7 – 8].

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30].

وما من ميت يموت إلا ندم، فإنْ كان محسنًا ندم ألاَّ يكون ازداد، وإنْ كان مُسِيئًا ندم ألاَّ يكون استعتب؛ أي: تاب وأصلح واعتذر.

رؤي بعض الموتى في المنام فقال: ما عندنا أكثر من الندامة، ولا عندكم أكثر من الغفلة.

ورؤي آخر فقال: ندمنا على أمرٍ عظيم نعلَم ولا نعمَل، وأنتم تعمَلون ولا تعلَمون، والله التسبيحة أو التسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في صحيفة أحدِنا أحبُّ إليه من الدنيا وما فيها.

أيها المسلمون:

المؤمن لا يزيده عمره إلا خيرًا، والفاجر لا يزيده عمره إلاَّ شرًّا، فخيرُكم مَن طال عمرُه وحسن عملُه، وشرُّكم مَن طال عمرُه وساء عملُه، فلئنْ صارَع المرء في عنفوان شبابه الشهوات والصبوات، وكان له مع الشيطان مُغامرات وجولات وكرَّات وفرَّات، فإنَّ مَن فسَح الله له في أجله، ومدَّ له في عمره – قد خصَّه الله بمزيدٍ من فضله فله في بقيَّة عمره فرصةٌ يأخُذ فيها من نفسه لنفسه، ويتوب إلى الله من سيِّئ عمله قبل يوم رَمسِه، فقد أعذَرَ الله إليه إذ فسَح له في الأجل، ومكَّنه من صالح العمل؛ ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: 37]، فخُذُوا عباد الله بالأُهبَة للرحيل، فإنَّ العمر مهما طال فهو قليل، وعند الله غدًا المقيل.

أيها المسلمون:

روي عن الحسن – رحمه الله – أنَّه قال: ما من يومٍ ينشقُّ فجرُه إلا نادَى منادٍ من الله: يا ابن آدم، أنا خلقٌ جديد، وعلى عملك شهيد، فتزوَّد منِّي بصالح العمل، فإنِّي لا أعود إلى يوم القيامة.

ورُوِي عنه أنَّه قال: إنَّ الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت، فقال: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ

حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99]، وفي ذلك ما يُوجِّه الأنظار إلى اغتِنام فرصة الزمان، والتزوُّد منها بصالح الأعمال، للوقوف بين يدي الملك الديَّان، وإنَّ في استدامة الطاعة وصدق الإقبال عليها حرزًا من الشيطان، يَعصِم الله به أهلَ التقوى والإيمان؛ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 65].

أيها المسلمون:

ما أقرب الحياة من الممات، فما بينهما إلاَّ أنْ يقال: فلان مات، وهذا محتملٌ في سائر الأوقات؛ فكلُّ ما هو آتٍ آت، وإنَّ هذا الموت الذي تخافونه وتفزعون منه ليس هو فناء أبدًا، ولكنَّه انتقالٌ من دارٍ إلى دارٍ، وانقلابٌ من حالٍ إلى حال، فهو إبدالُ حياةٍ بحياة أخرى؛ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: 31].

والأعمال بالخواتيم، فمَن أصلحَ فيما بقي غُفِر له ما مضَى، وكلُّ إنسان يُبعَث على ما مات عليه.

فاتَّقوا الله وتوبوا إليه، وصلُّوا على نبيِّكم محمد ﷺ والذي لا خيرَ إلاَّ دلَّكم عليه، ولا شرَّ إلا حذَّركم منه؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

حقيقة الحكمة وثمراتها وأماراتها

الحمد لله العليم الحكيم الذي وَسِعَ كلَّ شيء عِلمًا، وأحاطَ بكلِّ شيءٍ عِزَّة وحكمًا، وأتقَنَ ما صنَع، وأحكَمَ ما شرَع، أحمَدُه - سبحانه - حمدًا كثيرًا طيِّبًا مُبارَكًا فيه، مِلءَ السَّموات ومِلءَ الأرض ومِلءَ ما بينهما، ومِلءَ ما شاء من شيءٍ بعدهما.

وأشهَدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريك له، هو ربِّي لا إله إلا هو عليه توكَّلت وإليه مَتاب؛ يُؤتِي الحكمة مَن يَشاء، ومَن يُؤتَ الحكمة فقد أُوتِي خَيرًا كثيرًا، وما يَذَّكَر إلاَّ أولو الألباب.

وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، ومُصطفَاه وخَلِيلُه، هو أكمَلُ مُرسَل، أنزَلَ عليه أشرَفَ كِتاب، وبعثَه إلى الناس كافَّة آخِرِ الدَّهر ليُنذِر يومَ الحساب، وخاطَبَه ربُّه - ممتنًّا عليه - فقال قولاً كريمًا: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113]، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أئمَّة الهدى، وبدور الدُّجَى.

أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناس، اتَّقوا الله - تعالى - وأَطِيعوه، وارغَبُوا إليه واخشوه، وتدبَّروا كتابه، وأَخلِصُوا له في العمل، واقتَدُوا بمحمدٍ ﷺ فإنَّه إمامُكم وأخشاكم وأتقاكم لله - عزَّ وجلَّ - تكونوا من خِيار الأمَّة، الذين امتَنَّ الله عليهم بما أنزل عليهم من الكتاب والحكمة، فإنَّ الله - سبحانه وتعالى - قد قال في مُحكَم الكتاب: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 269].

وكَفَى بذلك تنبيهًا على كريم العَطاء، وجَلِيِّ الاصطِفاء، وحَضًّا للمُخاطَبين واللاحِقين من قُرُون الأمَّة على علوِّ الهمَّة، وبذْل الوسع في تحرِّي الحكمة؛ التماسًا للخير الكثير، وأن يكون المرء من أولي الألباب المنتَفِعين بالتذكير.

فاعرِفُوا الحكمةَ يا أولي الألباب، وتحروها واتَّصِفُوا بها تكونوا ممَّن وُفِّق للصواب، فإنَّ الحكمة ضالَّة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحقُّ بها، وإنَّه مَن يتحرَّ الخيرَ يَلْقَه، ومَن يَتَوقَّ الشرَّ يُوقَه، ومَن سارَع إلى الخيرات سبَق، ومَن أخَذ بنهْج السَّلَف الصالحِين لحق.

أيُّها المسلمون:

الحكمة مشتقَّة (لغةً) من المنع الذي يُراد به الإصلاح؛ ولذا وُصِف بها مَن يمتنع من الجهل والظُّلم وأخلاق الأراذل، ومَن يَقول الصواب بلفْظٍ قليلٍ ومعنى جليل.

وأجمَعُ تعريفٍ للحكمة: أنها وضْع الأمور في مَواضِعها اللائقة بها، فهي فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي؛ ولذا فسر قول الله - تعالى -: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 269]، بأنَّها معرفة الحقِّ والعمل به، والإصابة للحق بالقول والفعل؛ وهذا لا يكون إلاَّ بفهْم القرآن والسنَّة، والفقه في شَرائِع الإسلام وحَقائق الإيمان؛ ولذا قال - سبحانه -: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: 269].

فمَن حازَ العلم المشتَمِل على معرفة الله - تعالى - بأسمائه الحسنى، وصفاته الكاملة العليا، الدالَّة على كماله - سبحانه - في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه وقدره، ومعرفة حقِّه - تعالى - على عِبادِه، وفضله وإحسانه على مَن أدَّى حقَّه، وعدله فيمَن عَصاه مع نَفاذ البَصِيرة، وتهذيب النَّفس، وتحقيق الحقِّ للعمَل به، والكف عن ضدِّ ذلك ابتِغاء وجه الله - تعالى - وعلى السُّنَن المأثورة عن نبيِّه ﷺ فقد حازَ الحكمة؛ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: 21].

فاللهمَّ زِدْنا علمًا وهُدًى، وآتِنَا الحكمةَ والتقوى، واجعَلْنا مُبارَكين أينما كُنَّا، ومن أئمَّة المتَّقين في الدنيا والآخِرة.

أيُّها المسلمون:

رأس الحكمة مَخافَة الله - تعالى - فأحكَمُ الناس مَن عرَف الله - تعالى - معرفةً صحيحةً تامَّة، تُورِثه خشيةَ الله - تعالى - وخوفه وتعظيمه وإجلاله، وتغرس في قلبه محبَّة الله - سبحانه - لما يغذوه به من نِعَمِه، وأسبَغَ عليه من فضْله وإحسانه، بحيث يحبُّ الله - تعالى - ويَرضَى عنه، ويُنِيب إليه، ويَرغَب إليه، ويتوكَّل عليه، ويذلُّ له، ويَخضَع لعظمته، مُستَسلِمًا له مُنقادًا لِمُرادِه، فيتقرَّب إليه بصالح العمَل، ويَتُوب إليه من الزَّلَل، ويعتَذِر إليه من الخطأ والتقصير في حقِّه - عزَّ وجلَّ - مُقِرًّا له - سبحانه - بالربوبيَّة وكماله - تعالى - في ذاته وأسمائه وصفاته العُليَا، وأنَّه - جلَّ ذكرُه - المتفرِّد بالإلهيَّة، فلا يستحقُّ أحدٌ سِواه شيئًا من العبوديَّة؛ فإنَّه - تعالى - هو الذي أوجَدَنا من العدم، وأحسَنَ الخلق وغذانا بألوان النِّعَم، وجادَ بأصناف الكرَم، فيا سعادة مَن خَشَعَ له وسلَّم، وانقاد له بالعبوديَّة طوعًا - محسنًا -

واستَسلَم؛ ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 112].

أيُّها المسلمون:

وأسعَدُ الناس بالحكمة أكمَلُهم معرفةً وإيمانًا بالنبيِّ ﷺ واتِّباعًا له؛ فإنَّه هو الذي أنزَلَ الله عليه الكِتاب والحِكمة، وبعَثَه رحمةً لهذه الأمَّة، وحفَّه بالعصمة، فإنَّه نبيُّ الله حَقًّا، ورسوله صدقًا، وإمام أهلِ التُّقى، وهو خاتم النبيِّين، وسيِّد المرسَلين، وخليل ربِّ العالمين، فمَن عرفه ﷺ حقَّ المعرفة، وآمَن به، وانقادَ له ظاهرًا وباطنًا، وحقَّق ذلك بتَصديقِه ﷺ فيما أخبَر، وطاعته فيما أمَر، واجتِناب ما نهى عنه وزجَر، وعبَد الله – تعالى – مُخلِصًا له بما شرَع، وجانَب ما خالَف ذلك من الأهواء والبِدَع، فقد لبس الحِكمَة، وتَدَرَّع بأعظم دُرُوع العصمة؛ وبذلك يكون المرء من أهل الصَّلاح والإصْلاح في الأرض ومُحارَبة الفَساد، والساعِين في جلْب المصالِح للأنام في المعاش والمعاد، فكان ممَّن ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: 207].

أيُّها المسلمون:

ومن أمارات الحكمة أنْ يكون المرء رشيدًا في تصرُّفاته كلِّها، فيبدأ بالأهمِّ فالأهم، ويأخُذ بالأصلح فالأصلح، فإذا كان أمامَه مصلحتان ولا يمكن تحصيلُهما جميعًا، سعَى في تَحصِيل أكبرهما وأنفعهما، وإذا تعارَضتْ مَصلَحتان: عامَّة وخاصَّة، قدَّم العامَّة؛ لأنَّها أنفع وأشمل، والأجر فيها أكمل، وإذا دارَ الأمران بين أنْ يَفعَل واجبًا أو تطوُّعًا ولا يُمكِنه القِيام بهما جميعًا، قدَّم الواجِب على التطوُّع؛ لأنَّه آكَدُ، وفاعِله بثَوابِه يوم القيامة أسعدُ، وإذا تبيَّن له أنَّه يترتَّب على بعض تصرُّفاته مصلحةٌ ومفسدةٌ مُتَساويَتان، قدَّم ما فيه درْء المفسدة؛ لأنَّ درْء المفسَدة – عند التكافؤ – مُقَدَّم وأَوْلَى من جلْب المصالِح، وإذا كان لا بُدَّ من ارتِكاب إحدى مفسدتَيْن – لا مفرَّ من ذلك – ارتَكَب أخفَّهما ضررًا، وأقلَّهما خطرًا.

أيُّها المسلمون:

ومن أمارات الحكمة ألاَّ يدخل العاقل في أمرٍ حتى يَنظُر في عَواقِبه، ويعرف سبيل الخَلاص منه، فأحزَنُ الناس مَن لم يرتَكِب عملاً حتى يُفكِّر ما تجري عَواقِبه، وإذا فتَح الله على العبد بابَ عملٍ صالح أو طريق خيرٍ ديني أو دنيوي أنْ يجدَّ فيه ويُحافِظ عليه، ويجتَهِد في الزيادة

منه في حُدود الشَّرع، فمَن بُورِك له في شيءٍ فليلزَمْه.

أيُّها المسلمون:

ومن الحكمة أنْ تقبل ممَّن نصَحَك نصيحتَه، وتشكُر له إحسانَه وشَفَقتَه؛ حيث أعانَك على نفسِك، ونبَّهَك لتتَّقي ما يضرُّك، فإنَّ من حقِّ الناصح أنْ يُقابل بالشكر، فإنَّ شكْر الناصِح فضيلة للمنصوح، وتشجيعٌ للناصح، وليس من أخْلاق ذَوِي الحكمة أنْ يَركَب المرء رأسَه، ويعبُد هَواه، وتَأخُذه العزَّةُ بالإثم، فيَمضِي على خطئه، ويصر على ضَلالِه، بل الحق ضالَّة المؤمن، أنَّى وجدَها فهو أحقُّ بها، ولا يمنَعُه من قبول الحق منصبٌ أو جاه؛ قال - تعالى -: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم: 76].

عباد الله:

ومن أعظم مَظاهِر الحكمة حسنُ مُعاشَرة الزَّوجة ومُصاحَبتها بخير؛ قال - تعالى -: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 129].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: ((استَوصُوا بالنِّساء خيرًا؛ فإنَّ المرأة خُلِقت من ضِلَعٍ، وإنَّ أعوَجَ ما في الضِّلَع أعلاه، فإنْ ذهَبتَ تُقِيمه كسرته - وفي رواية: وكسرُها طلاقُها - وإنْ تركتَه لم يزل أعوج، فاستَوصُوا بالنساء))؛ متفق عليه.

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يَفرَك مؤمنٌ مؤمنة؛ إنْ كره منها خلقًا رَضِي منها آخَر - أو قال: غيره))، وقال ﷺ: ((أكمَلُ المؤمنين إيمانًا أحسَنُهم خلقًا، وخِيارُكم خِيارُكم لنسائهم))؛ رواه الترمذي.

فاتَّقوا الله عِبادَ الله، وتحلوا بالحكمة في سائر الأحوال، واسأَلُوا الله المزيدَ منها فإنها من أعظم النَّوال، واحذَرُوا ممَّا ينقصها أو يُضادُّها؛ فإنَّ السَّفَه من أسباب مُجانَبة الصَّواب، ونقْص الثواب، والخسران يوم الحساب؛ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: 180 - 182].

التشاؤم خصلة جاهلية

الحمد لله الذي لا إله غيره ولا ربَّ سواه، أحمده - سبحانه - مَن توكَّل عليه كفاه، ومَن لاذَ بجنابه حَفِظه وحماه، وسدَّده وتولاَّه، ومَن تعلَّق بغيره فليس له من دونه وليٌّ يتوَّلاه.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، هو الملك الكبير، السميع البصير، الحكيم الخبير، له مُلك السموات والأرض وما بينهما وهو على كلِّ شيءٍ قدير.

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله بعثَه الله رحمةً للعالمين، وإمامًا للمتَّقين، فثبَّت به قواعد الملَّة الحنيفيَّة وأقام به الدِّين، وهدَمَ به معالِمَ الوثنيَّة وعقائد الجاهليَّة ومناهج المغضوب عليهم والضالين، وحرَّر به الإنسانيَّة من رِقِّ العبودية للطواغيت مِن الكَهَنة والعرَّافين، والسَّحَرة والمنجِّمين، والمترأَّسين من الشعوبيين وأصناف المنحرفين، وترَكَ الأُمَّة على بيضاء نقيَّة لا يزيغ عنها إلا هالكٌ إلى يوم الدين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الصالحين بالهدى والدِّين إلى يوم يُبعثون.

أمَّا بعدُ؛ فيا أيُّها الناس:

اتقوا الله - تعالى - وأطيعوه، واغتبطوا بفضْله ورحمته - سبحانه - واشكروه؛ إذ ذكَرَكم بدين الإسلام الذي أكملَه وارتضاه، وأتمَّ به النعمة على مَن له هداه، وجعَلَه الدِّين الخالد إلى يوم لقاه، فلا يقبل من أحدٍ دينًا سواه؛ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

فافرحوا بهذا الدين، وانشروه بين العالمين؛ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 57 - 58]، ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام : 161 - 163].

أيها المسلمون:

إنَّ أساس دينِ الإسلام أنْ يسلمَ المرءُ وجهَه لله، وأن يتحرَّر من رِقِّ العبودية لمن سواه؛ قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: 22]، وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ

وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125]، وقال - تعالى -: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 112].

وإسلام الوجه لله: هو إخلاص القصْد لوجْهه، وإفراده وحدَه بعبادته؛ اعترافًا بربوبيَّته وإلهيَّته، وكماله في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، فلا ندَّ له، ولا سَمِي له، ولا كُفء له، ولا شريك له في ألوهيَّته وعبادته، كما أنَّه لا شريك له في ربوبيَّته وكماله في ذاته وأفعاله وصفاته.

والإحسان في عبادته لا يتحقَّق إلاَّ بالاقتداء برسوله ﷺ ومتابعته، فلا يعبد إلاَّ الله، ولا يعبد الله إلا بما شَرَع، فلا شِرْك ولا إلحاد، ولا بدع ولا إفساد؛ قال - تعالى -: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: 112]، وقال - تعالى -: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الشورى: 15].

فشأنُ المسلم كمال الإخلاص لله، والتعبُّد له - سبحانه - بشرْعه وهُداه، والحذر من التوجُّه إلى غير الله، أو أن يتَّخذ المرءُ إلهَه هواه.

أيها المسلمون:

إنَّ الاعتقاد الصحيح يفرض على المرءِ أن يكون مُقبلاً على ربِّه مُتوجِّهًا إليه، مؤمنًا به متوكِّلاً عليه، مُخلصًا له في العبادة رغبة ورهبة؛ إجلالاً له، ورجاءً له ومَحبَّة، وخوفًا منه ورهبة، ومَن كان كذلك، كان أجملَ الناس سيرةً، وأشكرهم لنعمة ربِّه، وأطيبهم حياة، وأحسنهم عاقبة، وأعظمهم مَثوبة؛ قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: 28 - 29]، وقال - تعالى -: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

أيها المسلمون:

إنَّ مِن لازِم الإخلاص لله - تعالى - وصِدق متابعة الرسول ﷺ أنْ يتجنَّبَ المرءُ كلَّ ما يؤثِّر في اعتقاده، أو ينافي إيمانه، ومن ذلك:

الحذَر من الخرافة بجميع صُورها، وأنْ يبتعدَ عن الضلالة بشتَّى أشكالها؛ سواء منها ما كان تقليدًا موروثًا له أصلٌ في عقائد الجاهلية الأولى، كخرافة التشاؤم لشهر صفر، أو يوم

الأربعاء، أو نحوهما من أجزاء الدَّهر، وأصوات الغربان والبوم وسوانح الطير، أو ما كان منها وليد اختِراع من تلقينات العجائز الفاسدة، أو مفاهيم العوام الضالَّة، كالتشاؤم بصباح صاحب التعاسة، والمنظر المكروه، والحادثة السيِّئة، أو كلمة يسمعُها المرءُ من شخص لا يَعنيه، كأنْ يسمع وهو في طريقه لحاجته مَن ينادي بالخيبة، أو يدعو على نفسه بالتعاسة، فيحزُّ ذلك في نفس الشخص، ويُحدِث له ضيقًا في صدره، ورُبَّما ردَّه ذلك عن حاجته، أو جعله يُسيء الظنَّ بربِّه، فيظل طوال يومه مَهمومًا، ويقبع في بيته بسبب تشاؤمه بما سَمِع من أصوات، أو ما رأى من حوادثَ وذَوِي عاهات، أو بالأزمنة واللحظات، وهذا كلُّه ضلالة وجاهليَّة؛ لأنَّه في الحقيقة مما ينافي التوكُّل على الله؛ لما فيه من التعلُّق بغيره، واعتقادِ مُدبِّرٍ في الملكوت سوى الله.

أيها المسلمون:

إنَّ التشاؤم من خصال الجاهليَّة، ومِن فاسد عقائد أهل الشِّرْك والوثنيَّة؛ فلقد كان أهل الجاهليَّة يستسلمون للخيال، ويسلِّمون أمورَهم لشرار الضلال، ويُصدِّقون الأوهام، ويَركنون إلى الموروثات عن الأسلاف أشباه الأنعام؛ ولقد عابَ الله عليهم ذلك إذ يقول: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170].

فكانت الخرافة تفتُّ من عَزْمهم، وتحوِّل اتجاههم، وتَحُول بينهم وبين حاجاتهم ومصالحهم، وتقطعُ عليهم آمالَهم، فجاء الشرْع المطهَّر بإبطال ذلك كلِّه، وهدْمِ بُنيانه من أساسه، جاء بتحرير العقول من رِقِّ الوثنيَّة، وخُرافات الجاهليَّة، وتوجيه القلوب إلى ربِّ الأرباب، ومُسبِّب الأسباب، الذي كلُّ شيءٍ بقضائه وقدره، فهو معلومٌ له وبإرادته، ومُثبت في الكتاب عنده: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51].

وقال ﷺ: ((لا عَدوى ولا طِيَرة، ولا هامَة ولا صَفَر))؛ متفق عليه، وهذا منه ﷺ إبطالٌ لخُرافات الجاهلية، ونفْي لما كان يعتقده الجاهليون في هذه الأشياء من أنها يقينٌ بالمكروه، أو أنَّها تدلُّ على أنه سيحلُّ بهم.

فبيَّن ﷺ أنَّ هذه ليستْ مؤثِّرة في نفسها، ولا دالة على ما قدَّرَه الله وقضاه، وفي التنزيل: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: 2].

وقال ﷺ: ((واعْلم أنَّ الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبَه الله لكَ، ولو اجتمعوا على أنْ يضرُّوك، لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبَه الله عليك، جَفَّت الأقلام، وطُويتِ الصحف)).

فبهذه النصوص وأمثالها – ممَّا هو كثيرٌ في الكتاب والسُّنَّة – تُجتثُّ جذور الوثنيَّة، وتُقطعُ أسباب الوهم التي طالَما فتكتْ في البريَّة، وتُرشِدُ إلى إخلاص التوحيد لله، والاعتماد عليه دونما سواه.

فاتَّقوا الله – عباد الله – واتَّجهوا في جميع أموركم إليه، وأخْلِصوا له في عبادته وتوكَّلوا عليه، واحذروا من التوجُّه لِمَن سواه أو الاعتماد عليه؛ ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 17 – 18].

باركَ الله لي ولكم في القرآن، وثبَّت في قلوبنا الإيمانَ، وكَرَّه إلينا الكفرَ والفسوق والعصيان، وجعلَنا من الراشدين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين والمؤمنين، فاستغفروه يغفر لكم؛ إنَّه هو الغفور الرحيم.

(في تربية الذريَّة والعناية بها)

الحمد لله الذي خلَقنا في أحسن تقويم، وربَّانا على مَوائِد برِّه وخيره العميم وإحسانه العظيم، أحمَدُه - سبحانه - إذ جعَل لنا من أنفُسِنا أزواجًا لنسكُن إليها وجعَل بيننا مودَّة ورحمة، وجعَل لنا من أزواجنا بنين وحفدة، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريك له، جعَل الأولاد فتنةً يختَبِر بها العباد؛ ليبين مَن يقوم بحقِّهم فيصونهم عن الفَساد، ممَّن يضيعهم فيخسرهم ويَشقَى بهم في المعاش والمعاد، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله إمام المرسلين وخاتم الأنبياء، وخير الآباء، وأصلح الأبناء، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم خيرُ صحب الأنبياء، وهم بعدهم أئمَّة الأتقياء.

أمَّا بعد؛ فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله - تعالى - في سائر أحوالكم، واشكُرُوه على إنعامه عليكم، واذكُروا قوله - سبحانه -: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: 11]، فاستَوصُوا بأولادكم خيرًا، وأحسِنوا إليهم يُقابِلوكم بذلك برًّا، وادَّخِروا حسن تربيتهم ووقايتهم من النار عند الله - تعالى - ذخرًا.

أيُّها المسلمون:

إنَّ أولاد الرجل من كسبه، وعملهم الصالح من عمله إنْ كان بسببه، ودُعاؤهم من خير ما ينتفع به الأبُ بعد موته، وكم من أبٍ كان مغمورًا فصار مشهورًا، وبالخير مذكورًا، وحلَّ في الجنة قصورًا، بسبب ابنٍ اعتنى بتربيته، فأصلَحَه الله على يدَيْه، فصار مُبارَكًا على نفسه، وعلى والدَيْه وذَوِيه، وعلى الإسلام وأهله، وذلك فضلُ الله يُؤتِيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم، نسأل الله الكريم من فضله.

أيُّها المسلمون:

إنَّ صَلاح الذريَّة كان محلَّ اهتِمام سادات النبيِّين والمرسَلين، وأتباعهم من عِباد الله الصالحين، فهذا خليلُ الله إبراهيم يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: 100]، كما ذكَرَه الله في القُرآن العَظيم، ويلحُّ على الله بسؤال الثَّبات له ولذريَّته على الإسلام، وأنْ يجنِّبهم عِبادة الأصنام، فيقول: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: 40]، ويقول: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35].

وذاك زكريَّا يَضرَع إلى الله يسألُه صالح الأبناء، فيقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً

إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: 38].

وذكَر الله - عزَّ وجلَّ - عن عِباد الرحمن الذين يَبِيتون لربِّهم سجَّدًا وقيامًا، أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74].

وذكَر - سبحانه - عن الذين وعَدهم أنْ يتقبَّل عنهم أحسَنَ ما عملوا ويَتجاوَز عن سيِّئاتهم في أصحاب الجنَّة التي كانوا يُوعَدون، قول أحدهم: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: 15].

فسؤال الله الذريَّة الصالحة من دَعوات الأنبيَاء، وخِصال الأتقِيَاء، التي يتقرَّبون بها إلى ربِّ الأرض والسَّماء، ويدَّخِرونها ذُخْرًا، في الدنيا والأُخرَى.

أيُّها المسلمون:

وممَّا ذكَرَه الله عن عِباده من النبيِّين والمرسَلِين والصدِّيقين والشُّهَداء والصالحِين اهتمامُهم بتربية ذريَّاتهم بعد ثباتها على توحيد الله، والإخلاص له في الأقوال والأعمال وسائر الأحوال، وترك الشِّرك بذي الكرم والجلال، والبراءة ممَّا عليه أهلُ الضلال، كما أثنى الله على خليله إبراهيم في القرآن العظيم: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 130 - 132].

هكذا تثبيتٌ على التوحيد، وتربيةٌ عليه، ووصيَّة به، بل تتعدَّى إلى الامتِحان للتأكُّد من سَلامَة الاعتِقاد؛ حذرًا من الرَّديء في الدنيا ويوم القيامة؛ ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133]، كلُّ ذلك خوفًا من النَّدامَة، وطلبًا لأنواع الكَرامة في الدنيا ويوم القيامة؛ فإنَّ الصالحين من الوالدين والبنين يجمَعُهم الله في دار كرامته، كما قال - سبحانه -: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: 21]، وقال - عزَّ مِن قائل -: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ

يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 23 - 24].

فاتَّقوا الله أيُّها المسلمون، ونفذوا وصيَّة الله في أولادكم، لعلَّكم بهم تسعَدون في الحال والمآل، فضلاً من ذي الكرم والجلال، واعلَموا أنَّ صَلاح الذريَّة له أسبابٌ يَعقِلها الوالدان؛ من أهمها: التربية الصالحة، والقدوة الحسنة، والدُّعاء بالصَّلاح، وتوفير وسائل الإصلاح، كما أنَّ فَساد الذريَّة من أسبابه: الإهمال، والقدوة السيِّئة، والغَفلة عن صالح الأعمال، والاستِهانة بقُرَناء السُّوء وأعمال أهل الضلال.

فاتَّقوا الله في ذريَّاتكم، ومُرُوهم بطاعة الله كما أمَرَكم؛ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: 132].

وجنِّبُوهم أسبابَ غضَب الجبَّار، والتعرُّض لعذاب النار مع الكفار؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6].

ولعلَّ فيما ذكَرَه الله - تعالى - من موعظة لقمان - عليه السلام - لابنِه بأسس العقائد وأسباب الصَّلاح والفَلاح في المعاد، وأخلاق أهل الرَّشاد، ما يُبيِّن الصراط المستقيم في تربية الذريَّة على الدِّين القويم، والخلق المستقيم؛ ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 13 - 19].

بارَك الله لي ولكُم في القرآن، ونفَعَنا بما فيه من الهدى والبَيان، أقول قولي هذا وأستَغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين.

(الحث على التفقه في الدين)

الحمد لله الذي رفَع أقدار ومنازل أهل العلم والإيمان، وجعَلَهُم أئمَّةً يَهدُون عبادَه بالقرآن، وما جاء عن المعصوم ﷺ من بَيان، ووعَدَهم في الآخرة بالمنازِل العالية من الجِنان.

أحمَدُه - سبحانه - على جَزِيل نِعَمِه، وأسألُه المزيد من جُودِه وكرَمِه، وأشهَدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريك له، الملك القدُّوس السَّلام، الذي جلَّى الأحكام وأوضح الحلال والحرام، وكثر ويسَّر مُوجِبات مَغفِرة الذُّنوب ومحو الآثام، وأبان الطَّرِيق الموصلة إلى الجنَّة دار السلام.

وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، أفضل نبيٍّ، وأكمل مرسل، وأعظم شفيعٍ لأهل التوحيد بين يدي الله - عزَّ وجلَّ - صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تَسلِيمًا.

أمَّا بعدُ؛ فيا أيها الناس:

اتَّقوا الله - تعالى - وأطيعوه، واشكُرُوا نِعَمَه عليكم ولا تَكفُروه، واستَقِيموا على طاعته والإيمان به والتوبة إليه من سوء ما اقتَرَفتُموه، واعلَموا - عبادَ الله - أنَّه لا يتمُّ للمرء الاتِّصافُ بحقيقة التَّقوى والاستِمساكُ التامُّ بالعروة الوثقى إلاَّ بالعلم الشرعي المنزَّل على محمد ﷺ فإنه بهذا العلم يَعرِف المرء حقَّ الله على عباده، وما لكلِّ عاملٍ أو عليه عند الله يوم معاده، فمن سعادة المرء أنْ يكون فقيهًا في دينه، عامِلاً بعلمه، وداعيًا إليه ابتِغاءَ وجهِ ربِّه؛ ولذا قال ﷺ: ((مَن يُرِد الله به خيرًا، يُفَقِّهه في الدِّين)).

فالفقه في الدِّين والعمل به عن إخلاصٍ لربِّ العالمين من آيات السعادة، ومن أسباب نَيْلِ الحسنى والزِّيادة؛ إذ الفقه في الدِّين سببٌ لمعرفة الحكم والأحكام، والتمييز بين الحلال والحرام، وأداء حقِّ الله على وجهٍ صحيح، والتوبة إلى الله من القبيح؛ ولذا امتنَّ الله - تعالى - على سليمان - عليه السلام - بما خصَّه به من الفَهْم، وأمر محمدًا ﷺ أنْ يطلب المزيد من العِلم، فكان ﷺ يقول: ((اللهم علِّمني ما ينفَعُني، وانفَعني بما علَّمتني، وزِدني عِلمًا)).

والحمد لله على كلِّ حال، ذلكم - يا عبادَ الله - لأنَّ العلم النافع والعمل الصالح داخِلان في معنى الحكمة المنصوص عليها في مُحكَم الكتاب: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 269].

عباد الله:

تعلَّموا العلم؛ فإنَّ تعلُّمه لله خشية، وطلبَه عبادة، ومُذاكَرته تسبيحٌ، والبحث عنه جِهادٌ،

وتعليمه لِمَن لا يعلَمُه صدقة، وبذله لأهله قربة؛ لأنَّه معا لم الحلال والحرام، ومَنار سبيل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدِّث في الخلوة، والدليل على السرَّاء والضرَّاء، والسِّلاح على الأعداء، والزَّين عند الأخلاَّء، يرفَعُ الله به أقوامًا فيجعلهم في الخير قادَةً تُقتَفَى آثارهم، ويُقتَدى بفعالهم، ويُنتَهى إلى رأيهم، وترغَبُ الملائكة في مُجالَستهم، وبأجنحتها تحفُّهم، ويستَغفِر لهم كلُّ رطبٍ ويابس، وحِيتان البحر وهوامه، وسِباع البر وأنعامه؛ لأنَّ العلمَ حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلَغُ العبد بالعلم منازل الأخيار والدَّرجات العلى في الدنيا والآخِرة، التفكُّر فيه يعدل الصيام، ودِراسته تعدل القيام، به تُوصَل الأرحام، وبه يُعرَف الحلال من الحرام، وهو إمام العمل والعمل تابعه، يُلهَمه السُّعَداء، ويُحرَمه الأشقياء.

أيها المسلمون:

تعلَّموا كتابَ الله وعلِّموه أولادَكم ونساءَكم؛ فإنَّه أفضَلُ الحديث، وتفقَّهوا فيه؛ فإنَّه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره؛ فإنَّه شفاءٌ لما في الصدور، وأحسِنُوا تلاوته؛ فإنَّه أحسن القصص، وإذا قُرِئ عليكم فاستَمِعوا له لعلَّكم تُرحَمون، وما هُدِيتُم لعِلمِه فاعمَلُوا به لعلَّكم تهتدون.

ألَا وإنَّ العَالِم العامل بغير علمه، كالجاهل الحائر الذي لا يستَقِيم عن جهله، بل إنَّ الحجَّة أعظَمُ والحسرة أدوَمُ على هذا العَالِم المنسَلِخ من عمله، من ذاك الجاهل المتحيِّر في جهله، وكلاهما مُضلٌّ مثبور، والسعيد مَن علم خيرًا فعمل برًّا، وقدَّم ذخرًا، وورث هُدًى ينتَفِع به من بعده، جعلَنِي الله وإيَّاكم من السُّعَداء في الدُّنيا والآخِرة، وأعاذَنا من حال الجاهِلين، ومآل الأشقِياء الخاسرين.

أيها المؤمنون:

رُوِي عن أمير المؤمنين عليٍّ - رضي الله عنه - أنَّه قال: "الناس ثلاثة: فعا لِمٌ رباني، ومتعلِّم على سبيل نَجاة، وهمج رعاع أتباع كلِّ ناعق، يَميلون مع كلِّ ريح، لم يستَضِيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى رُكنٍ وَثيقٍ، العلم خيرٌ من المال؛ العلم يحرُسك وأنت تحرُس المال، والعِلم يَزكُو مع الإنفاق والمال تنقصه النَّفَقة، العلم حاكمٌ والمال محكومٌ عليه، ومحبَّة العلم دين يُدان لله بها، والعلم يكسب العا لم الطاعة في حَياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، وضيعة المال تزول بزَواله، مات خُزَّان الأموال وهم أحياء، والعُلَماء باقون ما بقي الدَّهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في

القلوب موجودة".

أيها المؤمنون:

مَن أورَثَه الله علمَ الكتاب والسنَّة فقد اصطفَاه، ومَن استَشهَد به على توحِيده وصدق وعده فقد عدَّله وزكَّاه وارتَضاه، ومَن شهد الله له بكمال الخشية منه فقد أحبَّه وأدناه، وما أعظم ما أعدَّ له من النَّعِيم وألوان التَّكرِيم والرِّضوان في أخراه، وكيف لا وقد جعَلَه الله في الدارَيْن في درجةٍ تَلِي درجة النبيِّين؟ وكلُّ ذلك ممَّا اختصَّ الله به العُلَماء العاملين، وذلك هو الفضل المبين.

يقول - تعالى -: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: 32]، وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: 49]، وقال - سبحانه -: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18]، وقال - سبحانه -: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 28].

وقال - جل ذكره -: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: 52]، وقال - تعالى -: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: ((مَن سلَك طريقًا يلتَمِس فيه عِلمًا، سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة)).

وقال ﷺ: ((إنَّ العُلَماء ورَثَة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يورثوا دِينارًا ولا دِرهمًا؛ إنما ورثوا العلم، فمَن أخَذَه أخَذَ بحظٍّ وافر))، وجاء عنه ﷺ في الشَّفاعة: أنَّ أوَّل مَن يَشفَع الأنبياء، ثم العُلَماء، ثم الشُّهَداء.

ففي هذه النُّصوص الكريمة ما يُحفِّز العاقل ذا الهمَّة العالية على طلب العلم والاشتِغال به، فإنْ أدرَكَ ذلك فازَ بتلك الكَرامات، وإنْ مات قبل بُلوغ الغاية فحسبُه أنَّه مات في طريق الجنَّة والأعمال بالنيَّات، فتعلَّموا العلم عبادَ الله صِغارًا وكِبارًا، ورجالاً ونساءً، تعرفوا أحكام دينكم، وتفوزوا بما وعَدَكم ربكم من الخير في العاجل والآجل، جعلني الله وإياكم من العُلَماء العاملين المخلصين، وجنَّبنا طريق المغضوب عليهم والضالين، وحشَرَنا في زُمرة الأئمَّة المتَّقين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: 19].

نفعني الله وإيَّاكم بهدي كتابه، وجعَلَنا من خاصَّة أوليائه وأحبابه.

أقول قولي هذا وأستَغفِر الله لي ولكم من كلِّ ذنب، فاستَغفِروه يغفر لكم، إنَّه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا طيبًا مباركًا كثيرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له كفى به بذنوب عِباده خبيرًا، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله المبعوث بالحق بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله:

إنَّ كثيرًا من الناس اليوم أعرَضُوا عن العلم الشرعي النافع المبارَك؛ لأنَّه - في نظرهم - لا يخدمهم في أمور الحياة، فشغلوا أوقاتهم بغيره، وصدُّوا عن طاعة الله وذكره، وضيَّعوا أوقاتهم في العكوف على الملاهي، وصارَ الواحد يُجاهِر بمعصية الله ويُباهِي، ويتنافَسُون في معرفة اللغات الأجنبيَّة، والمسالك الكفريَّة؛ من أجل التجارات، وتحقيق المباهاة، ويبذلون جُهدهم في ذلك، ويخسرون كثيرًا من أموالهم في سبيل ذلك، وكم يتعرَّضون له من أجلها من أنواع الضلال وأسباب المهالك، وغاية ما هم عليه أنْ ينال أحدُهم شيئًا من عرض الدنيا، وماذا يُغنِيه لو حصَّله وقد عرَّض نفسه للخسارة في الأخرى؟

فاتَّقوا الله - عباد الله - في أنفُسكم وفي أولادكم وذَوِيكم، واعلَموا أنَّه لا سعادة لكم إلاَّ في أنْ تعبدوا الله على بصيرة، ولا سبيل لذلك إلاَّ بالفقه في الدِّين، ومعرفة سنَّة النبي الأمين، ومَن أراد الآخِرة فازَ بالدُّنيا والآخرة، ومَن أراد الدُّنيا فاتَتْه الآخرة، ولم يأتِهِ من الدنيا إلاَّ ما كُتِبَ له، فتَفقَّهوا في دينكم، والزَمُوا هدي نبيِّكم، وأخلِصُوا العملَ لوَجْه ربِّكم، تكونوا من السُّعَداء في الدُّنيا والآخرة.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: 201].

عباد الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

فاذكُروا الله العظيمَ الجليل يَذكُركم، واشكُرُوه على نعمه يَزِدكم، ولذكر الله أكبر، والله يَعلَم ما تَصنَعون.

(شرف العبادة وحقيقتها وثمرتها)

الحمد لله العليم الحليم، الرَّؤوف الرحيم، ذي السُّلطان والمنِّ القديم، المتفضِّل بأنواع الجُود والإحسان، والمسبغ للنِّعم الكثيرة الغزيرة المترادِفة الحِسان، أحمده - سبحانه - على أحْكامه وحُكمه، وأشكره - تعالى - على سوابغ نِعَمه وألوان جُوده وكَرمه، وأعوذ به - جلَّ ذكرُه - من أسباب سخطِه ونقمه.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له في عبادته وأنواع طاعاته، كما أنَّه لا شريكَ له في خَلقه ومُلكه وتدبيره لمخلوقاته، ولا شريك له في أسمائه وصفاته، وفي أفعاله وكمالاته.

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأمينه على وحْيه، بعَثَه الله بالحقِّ إلى الجنِّ والإنس بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فبلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصَحَ الأُمَّة، وجاهَدَ في الله حقَّ جهاده، وعبَدَ الله - تعالى - على وجْه التمام والكمال، حتى أتاه اليقين من ذي العظمة والجلال، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، ومَن اهتدى بهَدْيه، واقتَفَى أثَرَه بإحسان إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد:

فيا أيها الناس، اتَّقوا الله - تعالى - واعبدوه؛ بأنْ تطيعوه ولا تعصوه، وتَذْكُروه ولا تنسوه، وتشكروه ولا تَكْفروه؛ فإنه - سبحانه - أهلٌ لأن يُعبَدَ ويُتَّقى، ويُخشى ويُرضى، وألاَّ يُشْرَكَ معه في حقِّه من خَلْقه أحدٌ.

أيها المسلمون:

إنَّ عبادة الله - تعالى - وحدَه لا شريكَ له هي أعظم الحقوق، وآكَدُ الواجبات، وأساس الطاعات، وأعظمُ الحسنات، وسببُ مغفرة الذنوب وتكفير الخطيئات، ومضاعفة الأجور ورِفعة الدرجات، كما أنَّ الشِّرْك بالله هو أعظم الذنوب وشرُّ المهلكات، وأشنعُ أنواع الظلم وأقبح الجنايات، وسببُ منْع المغفرة، وحبوط الأعمال في الدار الآخرة، وموجِب الحِرمان من الجنة، والخلود في النار، وبئس القرار؛ فتقرَّبوا إلى الله بطاعته، وأخْلِصوا له في عبادته، واستقيموا له كما أمر، واتَّبعوا نبيَّه محمدًا ﷺ سيِّدَ البشر، واحذروا الشِّرْك به، وهو دعوة غيره معه، وتسوية غيره به، فذلك شرُّ المعصية وعبادة الطاغوت، وموجب الندامة يوم القيامة؛ ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي

أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ * وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر : 11 – 18].

أيها المسلمون:

إنَّ عبادة الله – تعالى – اسمٌ جامع لفِعْل كلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه؛ ممَّا شرعه من الاعتقاد الصحيح، والقول السديد، والعمل الصالح، وترْكِ كلِّ ما يكرهه الله ويأْباه؛ وهو ما حرَّمَه – تعالى – من أنواع الشِّرْك والضلال وفروعهما؛ مِن فاحش القول، وسيِّئ العمل، وقبيح الاعتقاد، ونحوها من موجبات الشقاء والخسران في المعاش والمعَاد، فمَن فعَلَ ما شرَعه الله وترَك ما حرَّمه الله على وجه القربة، وعلى الوجه الذي شرع، وحذر من الأهواء والبِدَع، فهو عبد الله حقًّا، المؤمن به صِدقًا، وقد ضَمِن الله له طيبَ الحياة، والسعادة بعد الممَات، وأنْ يجعلَه الله من محاوريه في أعلى الجنات، وأن يحلَّ عليه رضوانه وهو من النعيم أكبر الدرجات.

أيها المسلمون:

إنَّ عبادة الله – تعالى – هي حقُّه على المكلَّفين، ومن أجْلِها خَلَق الثقلين، وللدعوة إليها بعَث جميع النبيِّين والمرسَلين، وأنزَلَ بها كُتبَه ذِكرًا للعالمين؛ قال – تعالى –: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 56 – 58].

وقال – سبحانه –: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36].

وقال – جل ذكره –: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25].

وقال – تبارك اسمه –: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا

حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ * إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود : 1 – 4].

عبادَ الله:

ولقد ضمِنَ الله – تعالى – الرزقَ للجن والإنس، وأخبَر أنه هو الرزَّاق ذو القوَّة المتين؛ لأجل أنْ يتفرَّغوا للعبادة، وليستعينوا به على الطاعة، وليتميَّز أهلُ الشكر والإحسان، من ذوي الجحود والكفران، فتبًّا لمن شغلَه أمرُ الرزق عن عبادة الرازق، ويا خسارة من أبطرتْه النعمة فاستعملَها في معصية المحسن الخالق، ومَن تجرَّأ على الحرام، فقد أساء الظنَّ بالملك القدُّوس السلام.

معشر المسلمين، حقٌّ على كلِّ مؤمن بالله واليوم الآخر من الثَّقَلين أنْ يجتهدَ وسعه في أداء العبادة لله – تعالى – على وجْه الإخلاص، سليمة من الزيادة أو الانتقاص، بل يقوم بواجبات الطاعات، ويُكملها لتتميم نقْصها وتكميل أجْرِها بالنوافل والمستحبَّات، على وجْه الخضوع والتذلُّل والمحبَّة لله، والرغبة والاضطرار إليه وحدَه دون مَن سواه، ويتجنَّب المحرَّمات، ويحتاط لذلك باتِّقاء الشبهات؛ تعظيمًا لله وإجلالاً له، وخوفًا منه ورَهبة، فلا يتعلَّق القلب ولا ينشغل اللبُّ من العبد إلاَّ بالله – تعالى – فإنه – سبحانه – هو الذي خلَقَه من العدم، وربَّاه بأنواع النعم، وأنشأ له السمع والبصر والفؤاد، وبصَّره من العمى، وهداه من الضلالة، فما أعظم نِعمه على العباد!

فحقٌّ على العبد ألاَّ يدعو ولا يستغيث، ولا يستنصر ولا يستجير، ولا يحلف ولا يستخير إلاَّ بالله، وألاَّ ينحر ولا يَنذر، وألاَّ يركعَ ولا يسجد أو يخضع إلاَّ لله، ولا يخاف ولا يخشى على وجْه الإجلال والتعظيم إلاَّ الله، ولا يرجو ولا يحب إلا الله، وهكذا إنْ أصابه خيرٌ شكَرَ الله، وإنْ أصابَه ضرٌّ الْتَجأ إلى الله، وشكا الحال إلى مَولاه.

فعبدُ الله – حقيقةً – قلبُه متعلِّق بالله وحدَه، يرغب إليه ويستعين به في تحصيل كلِّ محبوب، ويهرب إليه ويستجير به مِن كلِّ مرهوب، ويتوجَّه إليه في جميع مقاصده وإراداته، ويُخلص له في دعائه وصلاته، ويتقرَّب إليه بزكاته وصَدَقاته، وسائر نَفَقاته، ويتجنَّب الرفثَ والفسوق والجِدال في حَجِّه وصيامه، ويُنمي الخير ويَسعى للإصلاح في كلامه، ويحتسب عند الله – تعالى – الثواب على حركاته وسكونه ومنامه، ويغتبط ويرى أنَّ المنَّة لله عليه؛ إذ شرَّفه

بعبادته، وجعله أهلاً لطاعته، ووعدَه على ذلك بجزيل ثوابه، وحذَّره وزَجَره من موجبات عقابه، فيجمع المؤمنُ بين إحسان العمل وابتغاء وجْه الله - عزَّ وجلَّ - والخوف والشفقة خشية من ردِّ العمل؛ لعِلْمه بكثرة أسباب الزَّلَل، وموجبات الخَلل، ولا حول ولا قوة إلا بالله - عزَّ وجلَّ.

فاتَّقوا الله - عباد الله - واستمسكوا بذِكْره وهُداه، وأخْلِصوا دينكم لله، ولا تكونوا ممن آثَرَ دنياه، واتَّبع هواه، فاستحْوَذَ عليه الشيطان فأنساه ذِكْرَ الله، أولئك حزب الشيطان، ألا إنَّ حزبَ الشيطان هم الخاسرون؛ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَنا بما فيه من الهدى والتذكرة والبيان، وجعلَنا مِن أهلِ عبادته بإحسان؛ فإنَّه - سبحانه - هو اللطيف بعباده الرؤوف الرحيم الرحمن، وأستغفرُ الله لي ولكم من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ربِّ العالمين، الرحمن الرحيم، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له؛ إله الأوَّلين والآخرين، وقيُّوم السموات والأَرَضين، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله النبي الأمين، والناصح المبين، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ:

فيا أيها الناس، اتقوا الله - تعالى - حقَّ تُقاته، وعظِّموا أوامرَ ربِّكم وشعائره وحُرماته، واحذروا الشِّرْك به - سبحانه - فإنه يحبط ما تقومون به من طاعته؛ فإنَّ الشِّرْك ظلْمٌ عظيم، وجُرم أثيمٌ، وهو يُبطل العبادة؛ كما يُبطل الحَدَثُ الطهارة.

عباد الله:

كلُّ مَن دعا غير الله في أمرٍ لا يَقدر عليه إلاَّ الله، أو فعَل شيئًا ممَّا يُبتَغَى به وجه الله، يتقرَّب به أو يعظِّم به أحدًا سواه، فقد أشرَكَ بالله، ويا سوء ما جناه؛ فإن الذين كفروا بربِّهم يَعدلون، جعلوا لله - تعالى - أندادًا وهم يعلمون، وسَوَّوا غيرَه به، فيا ويحَهم يوم يوافون حين يدخلون النار؛ ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ

بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء : 96 - 98].

ربَّنا آتِنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقِنا عذابَ النار.

عباد الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكرْكم، واشكروه على نعمه يزدْكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

(في خطر ظهور المعاصي في المجتمعات وعدم إنكارها)

إنَّ الحمد لله نَحْمَدُه، ونستعينُه ونستغفرُه، ونستهديه ونتوب إليه، ونعوذ بالله مِن شرور أنفسِنا وسيِّئات أعمالنا، مَن يهدِه الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحْدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا.

أما بعد:

فأيُّها الناس، تُوبوا إلى الله قَبْل أن تموتوا، وبادِروا بالأعمال الصالحة قبلَ أن تُشغَلوا، صِلُوا بينكم وبيْن ربِّكم بكَثْرة ذِكْركم له تَسْعَدوا، وأكْثِروا الصدقة تُرزَقوا، وأمروا بالمعروف وانهوا عنِ المنكر تُنصَروا، ولا تستعملوا جوارحَ غُذِيَتْ بنِعم الله في التعرُّض لسخطِ الله بمعصيته، ولا تَشتغلوا بأموالكم بما فيه ظلمُ عبادِه ومحاربتُه، واجعلوا شُغلَكم بالتماس مغفرته، واصرفوا هِممَكم بالتقرُّب إليه بطاعته، وإيَّاكم ومحقّراتِ الذنوب؛ فإنَّها متى يؤاخذْ بها صاحبها تُهْلِكْه.

أيها المسلمون:

احذروا معاصي الله وظُلم عباده؛ فإنَّها تُزيل النِّعم الحاضرة، وتَقْطع النِّعَم الواصِلة؛ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 53]، وقال سبحانه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: 160 - 161].

إنَّ المعاصي وظُلمَ العباد يُزيلان النِّعَم الحاصِلة، ويمنعان النِّعَمَ الواصلة، فإنَّ نِعَم الله تعالى ما حُفِظ موجودها، ولا استُجلِب مفقودها بمثل طاعته، فإنَّ ما عندَ الله لا يُنال إلا بطاعته، فطاعةُ الله تَحْفَظ النِّعَمَ الموجودة، وتجلب النِّعَمَ المفقودة، وأمَّا المعاصي فإنها تُزيل النِّعَم الموجودة، وتمنع النِّعَم المنتظَرَة؛ إذ إنَّ الله تعالى قد جعَل لكلِّ شيءٍ سببًا يَجْلبه، وآفةً تُذهِبه، فالطاعاتُ أسبابٌ جالِبة لنِعَمه، والمعاصي آفاتٌ مُذهِبة لنِعمه، جالِبةٌ لنِقَمه، فهي تُزيل الخيرات، وتَجلِب العقوبات، وتحلُّ البليات، وقد خَلَتْ من قبلكم المثلات، وفي زَمانكم فيمَن حولَكم عِبرةٌ لمن اعتبر، وذِكْرى لمن ادَّكر.

أيها المسلمون:

إنَّ الناسَ إذا فَعلوا المعاصي وارْتكبوا المنكرات، فلم يَتقيَّدوا بالأمر والنهي عن المنكر بحسبِ الاستطاعة، ولم يَقُمْ أولو الغَيْرة والسلطان بالإصلاح، والأخْذِ على أيدي السفهاء، وأَطْرِهم على الحقِّ أَطْرًا، فإنَّ الله يحلُّ بالمجتمع عقوباتِه الكونية القَدرية مثلما أحلَّ بالأُمَم الخالية، والقرون الماضية.

والعقوبات الكونيَّة أعظمُ مِن العقوبات الشرعيَّة أَخْذًا، وأخْطَر عاقبة، ومِن ذلكم: الختْم على القلوب، وصَمُّ الأسماع، وطَمْس الأبصار، حتى يُحالَ بيْن المرْء وبيْن قلْبه، ويَغفُل عن ذكْر ربِّه، وينسَى نفْسَه، ويُثبَّط عن طاعةِ مولاه، وتُمحَق بركةُ عمرِه ووقته، وسعيه في دِينه ودُنياه، فيفرِّط في الأمانات، وتَضيع عليه بلا فائدة جملةُ الأوقات، وتَذهَب نفسُه عليه عندَ الموت حسرات.

ومِن العقوبات الكونيَّة القدرية العامَّة ما يَبتلي الله بها الناسَ عندَ ظهور المنكرات؛ مِن شيوعِ الفواحِش والجرائم، ونسيانِ ما ذُكِّروا، وفرَحِهم بما أُوتوا، واغترارِهم بالدُّنيا وزُخرفها، وظنِّهم أنهم قادرون عليها؛ مِن ظهور الأمراض الغريبة، واستفحال الأوجاع المستعصية، ومَنْعِهم القَطْر من السماء، وأخْذِهم بالسِّنين، والغلاء وجَوْر السلاطين.

حدَّث عبدُالله بن عمر - رضي الله عنهما - عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: ((ما ظَهرتِ الفاحشةُ في قوم حتى أعْلَنوا بها إلا ابْتُلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافِهم الذين مَضوا، ولا نقَص قوم المكيالَ إلاَّ ابتلوا بالسِّنين (أي: القحط) وشِدَّة المؤونة (أي: غلاء الأسعار) وجَوْر السلطان (أي: ظُلْمه لهم، وقَهْره إيَّاهم)، وما منع قومٌ زكاةَ أموالهم إلا مُنِعوا القَطْرَ من السماء، ولولا البهائمُ لم يُمطَروا)).

فانظروا معاشرَ المسلمين صِدْقَ الحديث عنِ المعصوم ﷺ الذي لا يَنطِق عن الهوى، إنْ هو إلا وحيٌ يُوحَى.

في واقِع مُعظمِ العالَم الإسلامي اليوم ظَهَر الزِّنا، وأُعلِن عنه، ووُجِد مِن القوانين الوضعيَّة التي يحكُم بها الظَّلَمةُ الناس ما يَحْمي الزُّناة، ويعفيهم مِنَ العقوبة الشرعيَّة التي حكَم الله بها، وأقامَها رسولُه ﷺ فظهَرَ مِن الأسقام ما عرَفه الناس مِنَ الزنا: كالزُّهري والسَّيلان والإيدز، الذي يُسمُّونه مرَضَ عدم المناعة، والذي قرَّر المختصُّون أنَّه لا مخرجَ منه إلا بالموت، ولا طريقةَ للوقاية منه إلا اجتنابُ الزِّنا.

وتجرَّأ كثيرٌ مِنَ الناس في سائرِ الأمصار، على نقْص المكيال وبخْسِ الموازين، وأخْذ أموالِ الناس وأكْلها بالباطِل، عن طريقِ الرَّشاوى، واستحلال الرِّبا، والتعامل بالغِشِّ والخيانة وسائرِ الحيل الملتوية، فأصاب الناسَ نوعٌ من القحط، وحلَّ بهم الجَدْبُ وزيادة الأسعار، وساءتْ منهم الظنون، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30].

ومنَع كثيرون زكاةَ أموالهم فمُنِعوا القَطْرَ مِن السماء بحسبِ ذلك، فمِنهم مَن لم تُمطِر السماءُ عليه هذا العام، ومنهم مَن حُبِس عنهم المطرَ منذ سِنين، ومنهم مَن جاءَهم المطرُ الغزير على حين غفْلة أو في حال قلَّة، فأخذتْهم الفيضانات التي أهلكتِ الحرْثَ والنسْلَ، وأذهبت الأخضر واليابس.

أيها المسلمون:

إنَّنا لو تأمَّلْنا هذا الواقِع وقايسناه بأعمالنا ومعاصينا التي نرتكبها عمدًا وعن بصيرة، لوجدْنا أنَّنا نستحقُّ أكثرَ مِن هذا، ولكن كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [فاطر: 45].

أيها المسلمون:

إنَّ الكثيرين مِن الأثرياء في السِّنين الماضية قد قامتْ معظم ثرواتهم على القروض الرِّبويَّة؛ فمَحقَهم الله، وإنَّ الكثير منعوا الزكاة وبَخِلوا بالصدقات؛ شحًّا بالأموال، أو تساهلاً في إحصائها، وتهاونًا بشأنها، أو يَصرفونها في غيرِ مصارفها؛ فهلكتْ أموالهم بالسَّرِقة والحرائق وأنواع الهلاك.

وإنَّ الكثير الآن لَيتبايعون البيوعَ الباطلة المحرَّمة وهم يعلمون، يَتبايعون بأنواعٍ مِن المعاملات الربويَّة، ويأكل بعضُهم أموالَ بعض في بيْع البضائع المنقوصة والمغموسة على أنَّها تامَّةٌ موفورة بواسطة التواطُؤِ مع وكيل البضاعة، أو جهة الصناعة.

ومِنهم الذين يشترون لزبائنهم قِطعَ الغيار ونحوها من الموادِّ بأسعار مناسِبة، ثم يبيعونها عليه بأسعارٍ غالية، مع أنَّهم قد اشتروها بالسِّعْر الأوَّل له وباسمه، ومِن التجَّار مَن يُعطي سماسرةَ المشترين نِسبةً من الأرباح، ويُسجِّل في الفاتورة على حسابِ العميل، فيقول: السِّلعة بكذا، وهي في الحقيقة أقل مِن ذلك بنِسْبة مئوية معينة، ولكنَّه جعلَها لصالِح السمسار وسجَّلها في

الفاتورة.

ومِنهم مَن يُعطي السماسرةَ مبلغًا مِن المال من عنده مِن أجْل أنه يَجلِب له الزبائن بحيث لا يشترون إلا مِن عندِه، ولا يخفى ما في ذلك مِن المضرَّة للآخرين.

وهذا كلُّه مِنَ الاحتيال على الله، والظُّلم لعباده، وأكْل أموال الناس بالباطِل؛ مِن الغشِّ، والكَذِب، والخيانة، والخديعة، ونحو ذلك.

فاتَّقوا الله أيها المسلمون، وتُوبوا إلى الله جميعًا أيُّها المؤمنون لعلَّكم تفلحون: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَنا جميعًا بما فيه الآيات والذِّكْر الحكيم.

أقول قولي هذا، وأستغفِرُ اللهَ العظيم الجليل لي ولكم ولسائرِ المسلمين والمؤمنين من كلِّ ذنْب، فاستغفِروه يغفرْ لكم، إنَّه هو الغفور الرحيم.

(فضل لين القلوب ورقَّتها وأسبابه)

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُه ونستَعِينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونَعُوذ بالله من شُرُور أنفُسِنا وسيِّئات أعمالنا، مَن يَهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، ومُصطفاه وخليله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا.

أمَّا بعدُ؛ فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله - تعالى - واجتَهِدوا في الأخْذ بما فيه صَلاح قُلوبكم وأعمالكم؛ فإنَّ القلب هو محلُّ نظَر الله من العَبد، وبصَلاحِه تستَقِيم الجوارح، وتصلُح الأعمال، وتُسدَّد الأقوال؛ ففي الصحيح عن النبي ﷺ قال: ((إنَّ الله لا يَنظُر إلى أجسامكم ولا إلى صُوَركم، ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم))؛ رواه مسلم.

وفي الصحيحين من حديث النُّعمان بن بشير - رضِي الله عنهما - قال: سمعتُ رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ الحلال بيِّن، وإنَّ الحرام بيِّن...)) الحديث، وفيه قال ﷺ: ((ألاَ وإنَّ في الجسد مضغةً؛ إذا صلَحَتْ صلَح الجسد كلُّه، وإذا فسَدت فسَد الجسد كلُّه؛ ألاَ وهي القلب)).

وكم في الكتاب والسنَّة من آياتٍ صَرِيحة، وأحاديث صَحِيحة، اشتَمَلتْ على التَّنوِيه بشَرَفِ القلب الصالح، وأنَّ صلاحه أصلُ كلِّ عَمَلٍ صالح؛ ذلكم - يا عبادَ الله - لأنَّ القلب هو أشرَفُ ما في الإنسان، ومَحِلُّ العلم منه والعِرفان، فإذا صلَح قلبُ المرء استَنارَتْ بَصِيرته، وطابَتْ سَرِيرَتُه، وخلصت نيَّته، وعظُمت في الله معرفته، وامتَلأ من تَعظِيم الله وهيبَتِه، وخوفه ومحبَّتِه، ورجائه وخشيَتِه؛ ولهذا بُعِثتْ إليه الرُّسل من الرحمن، وخُوطِب بالقُرآن؛ لإخلاص التوحيد وتحقيق الإيمان، وكان أشرف العَطايا وأجلَّ المِنَح، والمبارك على الجسد إذا صلَح، وإنما الجوارح أتْباعٌ للقلب يستَخدِمها استِخدامَ الملوك للعَبِيد، فسُبحان مُقلِّب القلوب، ومُودِعها ما يَشاء من الأسرار والغُيوب، الذي يَحُول بين المرء وقَلبِه، ويعلَمُ ما ينطَوِي عليه من طاعته وأسباب حبِّه؛ ولذا كانت أكثر يمين النبيِّ ﷺ: ((لا، ومُقلِّب القُلوب))، ومن مأثور دعائه: ((اللهم مُصرِّف القلوب، صَرِّفْ قلوبَنا على طاعتك))، وكان أكثر دُعائه: ((يا مُقلِّب القُلوب، ثبِّت قَلبِي على دِينِك)).

أيُّها المسلمون:

إنَّ القَلب الصالح هو الخاشع اللين الوَجِل عند ذِكر الله، الرحيم الرقيق لعباد الله، وهو الموعود بكلِّ خير من الله في دُنياه وأُخراه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 2 - 4].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: 28 - 29].

وفي "صحيح مسلم" من حديث عِياض بن حِمارٍ المجاشعي أنَّ رسول الله ﷺ قال ذاتَ يومٍ في خطبته: ((ألاَ إنَّ ربِّي أمرَني أنْ أُعلِّمكم ما جَهِلتُم ممَّا علمني يومي هذا...)) الحديث.

وفيه قال ﷺ: ((وأهل الجنَّة ثلاثة: ذو سُلطان مُقسِط مُتصدِّق مُوفَّق، ورجل رحيم رقيق القلب لكلِّ ذي قُربَى ومسلم، وعَفِيف مُتعفِّف ذو عيال))؛ رواه مسلم.

عباد الله:

إنَّ القلوب اللَّيِّنة الرقيقة الرحيمة الوَجِلة هي القلوب الصالحة القريبة من الله، التي تَخشَع إذا سمعت القرآن يُتلَى؛ فتنتفِع بالذِّكرى، وتَزداد من الهُدَى، وتشتَمِل على التَّقوى، وتِلكُم هي القُلوب المرحومة التي تُحرَّم أجسادُها على النار، وتُفتَح لها أبواب الجنَّة ونعم دار المتَّقين الأخيار.

فخُذُوا - عبادَ الله - بأسباب لين القلوب، واسألوا الله أنْ ينفَعَكم بها فيلين قلوبكم؛ حتى تُرحَموا، وعلى النار تُحرَّموا، وبلِقاء ربِّكم وجنَّته تفرَحوا.

أيها المسلمون:

إنَّ تلاوة القرآن واستماعَه رغبةً في الهدى، وطلبًا للزُّلفى - من أعظم أسباب لين القلوب ورقَّتها؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37]، وقال - تعالى -: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الزمر: 23].

ومن أعظم ما يُلين القلوب ويُذهِب قسوَتَها ذِكرُ الموت، وشُهُودُ الجنائز، وزِيارة القُبُور؛ قال ﷺ: ((أكثِرُوا ذِكرَ هادم اللذَّات)).

وجعَل ﷺ الصلاةَ على الجنازة وتشييعها إلى المقبرة من حُقُوق المسلم على أخيه؛ لما يترتَّب عليها من لين القَلب، والتَّزهِيد في الدُّنيا.

وقال ﷺ: ((كنتُ نهيتُكم عن زِيارة القبور فزُورُوها؛ فإنها تُذكِّركم الآخِرة)).

ومن أعظم ما يلين القلوب كثْرةُ ذِكر الله، وحضور مجالس الذِّكر؛ فإنها تجلو عن القلوب صَداها، وتُذكِّرها بحقوق مَولاها، وتُحرِّضها على شُكر نعماها، والتوبة إلى الله من خَطاياها؛ قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: 28 - 29].

ومن أعظم أسباب لين القلوب زِيارَةُ المرضى، ومُخالَطة المساكين والفُقَراء والضُّعَفاء، والاعتِبار بحال أهل البَلاء.

ولهذا قال - تعالى -: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28].

وقال ﷺ: ((انظُروا إلى مَن هو أسفَل مِنكُم، ولا تَنظُروا إلى مَن هو فوقَكُم؛ فإنَّه أجدَرُ ألاَّ تزدَرُوا نِعمةَ الله عليكم)).

ومن أعظم ما يلين القلوب الاعتِبارُ بما جرَى ويَجرِي على المكذِّبين؛ من الماضِين والمعاصِرين، من أنواع العُقوبات، وشَدِيد الأخذات؛ قال - تعالى -: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 45 - 46].

معشر المؤمنين:

وأسباب لين القلوب ورقَّتها كثيرة، وهي بحمْد الله محبوبةٌ مَيسورة، ومن أهمها: أكلُ الحلال، والتقرُّب إلى الله بنوافِل الأعمال، والإلحاح على الله بالدُّعاء، والعَطف على المساكين والأيتام والضُّعفاء، والرَّحمة بالحيوان، ومُجالَسة أهْل العِلم والإيمان، وكُلُّ ذلك بحمد الله من أبواب

الخير، وخِصال البرِّ، مَن تحرَّاها وجَدَها، ومَن أخَذ بها حمدها.

فاتَّقوا الله - عِبادَ الله - وتحرَّوا ما يلين قُلوبَكم ويُحيِيها، واحذَرُوا من كُلِّ ما من شَأنِه أنْ يُظلِم بصيرتها ويقسيها؛ فإنَّكم إلى ربِّكم مُنقَلِبون، وبأعمالكم مجزِيُّون، وعلى تَفرِيطكم نادِمُون: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227].

بارَك الله لي ولكم في القُرآن، ونفَعَنا بما فيه من الهُدَى والبَيان.

أقول ما تسمَعُون، وأستَغفِر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه وتُوبوا إليه، إنَّه يحبُّ التوَّابين وهو الغفور الرحيم.

فهرس

الموضوع	الصفحة
معنى كلمة التوحيد وفضلها والحذر ممَّا ينافيها ويضادها	2
من شأن المؤمن استشعار معية الله والطمأنينة إليه	6
متى يكون العمل عبادة مقبولة؟	9
خطر البدع والتحذير منها ومن أهلها	13
معايير الحق والتحذير من البدع	17
فضل التقوى وحال أهلها	23
الحث على التمسك بالدين والبشارة بظهوره وعزة المسلمين وفشل كل دين سواه	31
الغبطة بالدين والحذر من كيد المفسدين	35
التحذير من السفر إلى بلاد الكفار	41
خطبة الشيخ عبدالله القصير بمناسبة الأحداث هذه الأيام في عدد من الدول	45
التحذير من مخالطة الكفار ومعاشرتهم	49
مهمات من منهاج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الحكَّام	53
التحذير من التشبه بأعداء الله	62
الحذر من أصناف الأعداء	65
التحذير من البدع ودعاتها	69
الحذر من كيد أهل النفاق ودعاة الفتن	74

الصفحة	الموضوع
78	فضل العلم
82	الجمعة: فضلها وآدابها
86	التذكير بنعمة الله، والزجر عن التخلُّف عن الصلاة
91	من أوصاف المؤمنين في القرآن
95	وسائل الأسفار وما ينبغي أن يقصده السُّفار
99	الإصلاح بين الناس
102	من أضرار المعاصي وأخطارها الخاصة والعامة
106	خطر المجاهرة بالمعاصي
111	التحذير من خطر قسوة القلوب
115	التذكير بمناسبة الإجازة الصيفية
119	في الاجتهاد بالخير في رمضان
122	التذكرة فيما بعد رمضان
125	استقدام الأجانب: خطره وأخطاء الناس فيه
130	التثبُّت عند الحوادث، والتروِّي في إشاعة الأخبار
133	الأمانة: شرف أدائها، وخطر خيانتها
137	تربية الأهل والأولاد على الإسلام والإيمان
141	الاعتبار بمضي الأيام "بمناسبة نهاية العام"
144	في توديع العام المنصرم وأهم أحداثه
148	يوم عاشوراء
153	موعظة في توديع العام والاعتبار بسرعة مضيه

الموضوع	الصفحة
تفسير سورة الفاتحة	155
الحث على الانتفاع من المال قبل ذهابه	158
نعمة الله على هذه الأمة برسالة النبي وما حصل لها به من التفضيل	161
الاستعداد للموت والعناية بالوصية	166
الترغيب في طلب العلم النافع، علم الكتاب والسنة	170
في الذكرى بمضي الأيام وتصرم الأعمار	173
في تربية الذريَّة والعناية بها	184
الحث على التفقه في الدين	187
شرف العبادة وحقيقتها وثمرتها	192
في خطر ظهور المعاصي في المجتمعات وعدم إنكارها	197
فضل لين القلوب ورقَّتها وأسبابه	201
فهرس	207–205